الدر النضيد على كتاب التوحيد

للإمام المجدد

شيخ محمد بن عبدالوهاب

رحمه الله

شرح وتعليق

سعيد بن عبد العزيز الجندول

حقوق الطبع محفوظة ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م

شركاء التنفيذ:

دار الإسلام | جمعية الربوة | رواد الترجمة | المحتوى الإسلامي

يتاح طباعة هذا الإصدار ونشره بأي وسيلة مع
الالتزام بالإشارة إلى المصدر وعدم التغيير في النص.

Telephone: +966114454900
ceo@rabwah.sa
P.O.BOX: 29465
RIYADH: 11557
www.islamhouse.com

الإهداء

• إلى القائد الرائد.

إلى من وقف صامدًا أمام التحديات العالمية ليرفع صوت الإسلام مدافعًا عنه، وموضحًا حقيقته وأهدافه.

وإلى من انتزع الاعتراف من زعماء غير مسلمين بأن الإسلام لا يحول بين الإنسان وبين التطور العلمي، والتقدم الحضاري.

• إلى الذى شق طريقه بين الصفوف ليعلن الدعوة إلى تضامن المسلمين ووحدة كلمتهم.

• وإلى الذى وقف وسط الزحام فى شجاعة المؤمن ليؤكد إن لا عز للمسلمين الا بالتمسك بالإسلام، والثبات على العقيدة الخالصة لله وحده.

• إلى الرجل الذى أخذ مكانه بين زعماء العالم عن جدارة واستحقاق.

• والى الرجل الذى علم ويعمل بجد وإخلاص لإسعاد أمته ووطنه..

• إلى داعية التوحيد، فيصل بن عبد العزيز أهدي فى تقدير واحترام مجهود فكري..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي الكتاب

حينما يُفكر أخى فضيلة الأستاذ الشيخ/ سعيد بن عبد العزيز الجندول فى وضع شرح مبسط لكتاب التوحيد للعلامة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه... فإنه يضع بتفكيره الاستكمال الطبيعي الواضح للنهج الإسلامي الذى أخذ به نفسه منذ إن كان فتي يافعًا ثم رجلًا مكتمل الرجولة، ثم هو إذ يدفع بتفكيره إلى البروز فيضع الشرح الوافي للكتاب إنما يضع قدمه بإذن الله فى بداية خطوات طوال نحو أهداف كبيرة، ولن يتساءل القارئ أبدًا عن الأهداف لأنها واضحة ومشرقة، عمل كل المصلحين لبلوغها وتحملوا فى سبيلها الكثير من النصب والمشقة والأذى، وستظل القافلة منطلقة بمشيئة الله ما بقيت حياة، وما بقى أحياء.

وأغلى الأهداف وأعلاها منزلة وشأن (تنقية) العقيدة من كل الشوائب، وتصحيح الصلة بين العبد وربه على أساس راسخ ونقي من عبادته وحده لا شريك له، وصرف كل أنواع العبادة له دون غيره والالتزام بما أمر به، وممارسة ذلك واقعًا عمليًا لتسعد بالاحياء حياتهم، وليلتقي الراحلون بفضل من ربهم - بالنعيم المقيم والسعادة الأبدية التي لا تنتهي.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله كان رجلًا يستحق

التاريخ إن يقف بجواره ليحكي للدنيا قصة إيمانه العميق بربه، وعزيمته التي لا حد لها لكي يحول ذلك الإيمان إلى واقع يمارسه كل الناس، وتختفي معه كل الانحرافات والأصنام والطواغيت لأنها باطلة باطلة...

وانتصرت دعوة الشيخ التي كان فيها -رحمه الله- مجددًا لما اندثر من معالم العقيدة الصحيحة مزيلًا لما تعلقها من أباطيل وضلالات، وشاء الله أن يتحقق انتصاره بفضل الله ثم بفضل إيمانه العميق ومؤازرة الأئمة من آل سعود الكرام المجاهدين ليضعوا بذلك مجتمعين اللبنة الأولى للدولة المسلمة التي تنفرد باحتكامها إلى كتاب الله وسنة رسوله قولا وعملا... والكتاب الذى بين أيدينا الآن هو نتيجة دراسة فاحصة واستيعاب واضح قام بهما فضيلة الشيخ سعيد المؤلف الشيخ الإمام رحمه الله انتهت به إلى وضع شرح جيد له يكمل فائدته، ويبسط أهدافه وهو من أقدر رجالنا اليوم على ما فعل وله من إلمامه وقراءاته والتزامه الواضح ما يرشحه لاجادة ما صنع والقدرة على صنع غيره.

نفع الله به واثابه ووفقه ورحم شيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وكل الداعين إلى دين الله على بصيرة.

وزير التعليم العالى

الشيخ حسن بن عبد الله ال الشيخ

بسم الله الرحمين الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد وأصلي واسلم على خاتم النبيين والمرسل إلى الناس أجمعين.

وبعد:

فمنذ مدة غير قصيرة وأنا تراودني فكرة القيام بعمل يجعل كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتابا يعيش أحداث هذا العصر بالإسلوب واللغة التي يفهمها العالم والمتعلم ومنذ عام أو يزيد بدأت فى القاء الأضواء على هذا الكتاب باسلوب جديد وصياغة جديدة، وطريقة مبتكرة، واستطعت بعون من الله أن أخضع الكثير من مواضيع الكتاب التي كانت تعالج مشاكل معينة فى عصر الشيخ رحمه الله لمعالجة بعض المشاكل المعاصرة

ولاعطاء القارئ إيضاحا أكثر فإن الدافع الذى جعلني أفكر فى عمل كهذا أمور ثلاثة:

الأول: إن صاحب هذا الكتاب رحمة الله عليه رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين أفضل ما يجازى به دعاة الخير ورواد الاصلاح، له الفضل الكبير فى تصحيح عقيدة هذه الأمة وتنوير أفكارها من ظلمات الجهل وعبادة غير الله، حتى تطهرت هذه الأرض من عبادة المخلوقين

وأصبح التوحيد شعار الدولة والأُمة كلها، يلتفون حوله مؤمنين موحدين، ورجل أنقذ الله به هذه البلاد من فساد العقيدة، وكافح وجاهد حتى رجع الناس إلى دينهم الصحيح صابرًا محتسبًا، يستحق منا وفاءًا بحقه وإعترافًا بفضله ان نجدد ذكره فى الأذهان، ونحيي ما خلفه لنا من علم وفكر، ولم أجد ما أُسهم به فى هذا المجال سوى محاولة مخلصة لشرح كتابه هذا بطريقة جديدة تختلف تماما عن الطريقة القديمة المعروفة، وهذا هو كل ما قدرت عليه بالنسبة لرجل مصلح يعيش دائما فى قلوبنا، لأنه اخلص لله فخلد الله ذكره، وسيبقى حيًّا فى النفوس إلى الأبد إن شاء الله.

الثاني: اقتناعي التام بأن كتابًا كهذا كان سببًا فى هداية الكثير من الناس فى هذه البلاد وغيرها لا بد وأن تكون الفائدة منه فى عصرنا هذا أعم وأشمل إذا ما قُدم للقارئ بطريقة مبتكرة، ولقد حاولت أن أسلُك هذا السبيل بقدر ما أملك من طاقة فكرية، ولعلي قد توصلت إلى بعض النتائج المُرضية.

الثالث: الموجات الإلحادية التي تجرف الكثير من أبناء المسلمين لتخرجهم عن إسلامهم عن طريق التشكيك فى العقيدة تارة، والاغراء بالمال وغيره تارة أخرى تحتم على كل غيور على دين الله أن يُقدم لإخوانه المسلمين ما عساه أن يكون عاصمًا لهم عن الانحراف عن عقيدة التوحيد.

وانطلاقًا من صلاح نية المؤلف رحمه الله وما أداه هذا الكتاب من دور كبير فى الحفاظ على صفاء عقيدة التوحيد فى هذه البلاد وغيرها، وإيمانا بأن المسلم بدون عقيدة تربطه بالله مباشرة وبلا واسطة مخلوق لا يستحق إن يسمي مسلما بالمعنى الذى أراده الله.

فقد شاء الله أن يتحول الأمر من فكرة إلى حقيقة.

ولقد كان حرصي شديدًا فى أن يتجه هذا الشرح إتجاهًا يختلف عن الشروح القديمة من ناحية الإسلوب والطريقة، والتعرف لبعض الامور التي رأيت أن الضرورة تدعو إلى ذكرها دون أن أخرج عن إطار الكتاب أو التجاوز عن معاني الآيات والأحاديث الواردة فيه وحسبي من ذلك كله نفعًا عامًا ، والخير قصدتُ - وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

سعيد بن عبد العزيز الجندول

ترجمة موجزة عن المؤلف

◆ نسبه:

هو داعية التوحيد أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي، علم من أعلام الإسلام ومصلح من المصلحين الكبار.

◆ مولده ونشأته:

ولد هذا المجدد رحمه الله فى بلدة من بلاد نجد تسمى «**بالعيينة**» تقع شمالا عن مدينة الرياض - عام ١١١٥ هجرية ونشأ بها ولا يبلغ العاشرة من عمره إلا وقد أكمل القرآن الكريم حفظا.

◆ طلبه للعلم:

وعلى يد والده الذى كان قاضيا آنذاك بدأ يوسع معلوماته فى الفقه وغيره: وجريا على رغبة العلماء فى طلب المزيد من العلم سافر رحمه الله من بلاد نجد إلى الحجاز، وهناك بدأ يتلقى العلوم عن علماء مكة والمدينة، ثم إنتقلت به الرغبة إلى المزيد من المعرفة فذهب إلى البصرة، وتعلم فيها من علم الحديث والفقه والنحو الشيء الكثير.

◆ عودته إلى نجد:

عاد بعد هذه الرحلة إلى بلده واستقر به المقام عند والده ببلدة حريملاء

يواصل طلب العلم عليه، ويعكف على قراءة التفاسير للقرآن الكريم، وشروح السنة وكتب أعلام الإسلام، مثل كتب شيخ الإسلام.

◆ **ابن تيمية وإبن القيم رحمهما الله.**

وهنا صنف كتابه هذا - كتاب التوحيد - وقيل أنه صنفه بالبصرة، وسواءً أكان صنفه بالبصرة أو حريملاء فهو كتاب يحارب ما عليه الناس من بدع وخرافات، تخالف التوحيد الخالص لله...

ولقي الشيخ رحمه الله فى سبيل دعوته الناس إلى التوحيد أنواعا من الأذى مما إضطره إلى الإنتقال من حريملاء إلى العُيينة، وفيها وجد من أميرها ابن معمر مساندة وتشجيعا، فأخذ رحمه الله يدعو إلى الله حتى أزال كل معالم الوثنية هناك، ألا إن هذه المساندة لم تدم، وذلك أن حاكم الإحساء والقطيف سليمان بن عريعر خاف من إنتشار دعوة الشيخ التي قد تكون سببًا فى الإطاحة بسلطانه، فكتب لابن معمر يطلب منه إخراج الشيخ من العيينة وإلا فسوف يقوم بغزو لبلاده، ولما لم يكن ابن معمر قادرًا على الدفاع عن بلده طلب من الشيخ مغادرة العيينة فخرج متجها نحو الدرعية، وفى هذه البلدة تقابل مع أمير ها محمد بن سعود بن مقرن فأكرمه، ووعده بالمعاونة فى نشر دعوته، وهنا أخذ الشيخ رحمه الله يوضح للأمير محمد حقيقة ما يدعو إليه، وإن هدفه الوحيد هو إرجاع الناس إلى العقيدة الصحيحة وترك عبادة الأوثان، فانشرح صدر الأمير، وأستقرت هذه الدعوة فى قلبه، وتعاهد معه على النصرة والحماية والجهاد إلى إن يظهر الله دينه،

وسار الرجلان جنبًا إلى جنب يدعوان الناس إلى دين الله وترك عبادة الأصنام إلى أن تطهرت البلاد من عبادة غير الله.

◆ إنتشار دعوة الشيخ فى الخارج:

ولم تبق دعوة هذا المصلح الكبير رحمه الله محصورة فى نجد بل إنتشرت عن طريق الوافدين إلى مكة للحج والعمرة فى أقطار كثيرة وتأثر بها رجال الإصلاح الإسلامي فى العراق، والشام، ومصر، والهند، كما إنتقلت عن الطريق نفسه إلى كل من السودان وسومطرة، وصار لها أنصار، ومؤيدون - يدعون لها ويدافعون عنها، ولقد بلغ تأثيرها من القوة حدًا لم يبلغه تأثير دعوة أخرى منذ عهد بعيد.

◆ شيوخه:

تتلمذ رحمه الله بالمدينة المنورة على الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف، وأخذ عنه الكثير من العلم وأجازه بالحديث المشهور المسلسل فى الأولية، «الراحمون يرحمهم الر حمن» من طريقين:

أحدهما: من طريق ابن مفلح عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وينتهي إلى الأمام أحمد.

والثاني: من طريق عبد الرحمن بن رجب عن ابن القيم عن ابن تيمية وينتهي إلى الإمام أحمد, كما أجازه الشيخ بكل ما فى ثبت الشيخ عبد الباقي الحنبلي شيخ مشايخ وقته قراءة وعلمًا وتعليقًا, صحيح البخارى

بسنده إلى مؤلفه، وصحيح مسلم وشروح الصحيحين وسنن الترمذي، والنسائي، وأبي داود، وابن ماجة ومؤلفات الدارمي بسنده المتصل إلى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد إلى غير ذلك مما ثبت فى ثبت الشيخ عبد الباقي.

ومن مشايخه أيضًا الشيخ علي أفندي الداغستاني، والشيخ اسماعيل العجلوني، والشيخ عبد اللطيف العفالقي الاحسائي، والشيخ محمد العفالقي الاحسائي، والشيخ محمد المجموعي وغيرهم.

◆ مؤلفاته:

ألف رحمه الله مجموعة من الكتب منها تفسير سورة الفاتحة - مختصر صحيح البخارى - مختصر السيرة النبوية - نصيحة المسلمين أحاديث خاتم النبيين - كتاب التوحيد - أصول الإيمان - كتاب الكبائر - كشف الشبهات - ثلاثة الأصول - مختصر الانصاف والشرح الكبير - آداب المشي إلى الصلاة - أحاديث الفتن - مختصر زاد المعاد - المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، ورسائل عديدة أخرى أغلبها يدور حول موضوع التوحيد.

◆ منهجه فى الدعوة:

لم يكن للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مذهب مختص به كما يزعم ذلك أعداؤه وإنما هو سلفي العقيدة، حنبلي المذهب، والذين يطلقون

على دعوة الشيخ رحمة الله عليه اسم (الوهابية) ويزعمون أنها ابتدعت مذهبا جديدًا - إنما هم أحد رجلين إما جاهل بحقيقة هذه الدعوة أو عدو للإسلام يريد صد الناس عن دعوة الحق - ولقد حاول أعداء هذه الدعوة بأكاذيبهم ومفترياتهم أن يعزلوها عن بقية أنحاء العالم الإسلامي، وأن يحصروها فى نطاق الجزيرة العربية لكن الله الذى يؤيد عباده المصلحين، لم يترك لهذا الحصار أن يدوم طويلًا، فقد هيأ لهذه الدعوة الخالصة لله أن تنتشر فى كل مكان رغم الصعوبات التي وُضعت فى طريقها وشراسة الاعداء الذين يشوهون حقيقتها ولقد تأثر بهذه الدعوة واقتبس من مبادئها رجال لهم مكانة فى الإسلام والدعوة إليه -كجمال الدين الأفغاني- بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق خان فى بهو بال وأمير علي فى كلكته وغير هم.

وعلى هذا فدعوة الشيخ رحمه الله لم تزد على أنها دعوة للمسلمين إلى الرجوع إلى توحيد الله، والإبتعاد عن البدع والخرافات التي طغت على حياتهم فأبعدتهم عن العقيدة الصافية التي كان عليها الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن سار على نهجهم من المسلمين وهذا هو المنهج الذى سار عليه رحمه الله، دعوة إلى التوحيد، وإبتعاد عن الشرك، ونبذ للبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

◆ المفترون عليه:

لقيت دعوة الاصلاح هذه معارضة شديدة من أصحاب البدع والخرافات فراحوا يختلقون ضدها الأكاذيب، ويفترون على صاحبها أشياء ما قالها، ولم يقُلها لينفّروا بذلك الناس عن هذه الدعوة النقية الطاهرة، فقالوا عنه: أنه يكفّر المسلمين، وأن أتباعه لا يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام وأشياء كثيرة ينسبونها إلى صاحب هذه الدعوة، ما كان القصد منها سوى تشويه الحقائق وإبعاد الناس عن إتّباع هذه الدعوة التي كان هدفها الأساسي إنقاذ الناس من الشرك والإتجاه إلى عبادة الواحد الذى لا شريك له، ولقد نجح أولئك المفترون فى تشويه حقيقة هذه الدعوة بإعتبارها مذهبًا جديدًا يخالف المذاهب الأربعة وساعد على ذلك بعض علماء الضلال الذين ألفوا كتبًا نفّرت المسلمين أكثر عن إتباع هذه الدعوة الإصلاحية.

لكن الحقائق لم تلبث أن أظهرت للناس فى جلاء ووضوح أن دعوة الشيخ رحمه الله لم تكن سوى دعوة إلى العقيدة الصافية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن هنا بدأ الناس يفهمون هذه الدعوة على حقيقتها وأعترف لصاحبها بأنه من كبار المصلحين والمجددين رحمه الله ورضي عنه.

◆ **المنصفون له:**

أ: **رأي بعض علماء المسلمين في دعوته:**

قال عنه الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله لم يخلُ قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين كما ورد في الأحاديث.

ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة.

فتنهدت لمناهضته واضطهاده، القوى الثلاث قوة الدولة والحكام، وقوة أنصارهم من علماء النفاق، وقوة العوام الطغاه.

وقال علامة العراق الشيخ محمود شكري الآلوسي رحمه الله كان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب عالمًا فقيهًا على مذهب الإمام أحمد، وكان قاضيًا في بلد العيينة، ثم في حريملاء، وذلك في أوائل القرن الثاني عشر وله معرفة تامة بالحديث والفقه وله أسئلة وأجوبة.

وكان والد عبد الوهاب الشيخ سليمان عالمًا فقيهًا أعلم علماء نجد في

عصره، له اليد الطولى فى العلم وانتهت إليه رياسة العلم فى نجد - صنف ودرس وأفتى.

ألا إن الشيخ محمدًا لم يكن على طريقة أبيه وجده، وكان شديد التعصب للسنة، كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء, والحاصل أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكان يُعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات, وقد جد فى تعليم الناس وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الإسلام وشرائِطه، وسائر أحكام الدين، وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة فى المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح، وبين العِشائين بمعرفة الله، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه ومعرفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته.

وأول ما دعا إليه كلمة التوحيد، وسائر العبادات التي لا تنبغي إلا لله، كالدعاء والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء، والخشية والرغبة، والتوكل، والإنابة، وغير ذلك.

فلم يبق أحد من عوام أهل نجد، جاهلًا بأحكام دين الإسلام بل كلهم تعلموا ذلك، بعد أن كانوا جاهلين، إلا الخواص منهم.

وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة أي سيرته المرضية وإرشاده النافع.

وقال العلامة الشيخ علي الطنطاوي متحدثًا عنه فى كتابه «محمد بن عبد الوهاب» ذكر فشو البدع قبل ولادة الشيخ «محمد» كما قال، واعتقد الناس النفع والضرر بالرسول والصالحين، وبالقبور والأشجار، والقباب، والمزارات، فيطلبون منهم الحاجات، ويرجعون فى الشدائد إليهم، وينذرون لهم، ويذبحون لهم، وأشتد تعظيم الأموات، وكان حظ نجد فى هذه الجاهلية الجديدة أكبر الحظوظ، فقد اجتمع على أهله الجهل والبداوة والفقر والانقسام فى كل ناحية من نواحي نجد من الأمراء بمقدار ما كان فيها من القرى.

ففي كل قرية أمير وفى كل ناحية جمعية أمم، وكان فى كل إمارة قبر عليه بناء أو شجرة لها أسطورة يقوم عليها سادن من شياطين الإنس - يزين للناس الكفر ويدعوهم إلى الإعتقاد بالقبر والذبح له والتبرك به والدعاء عنده، ثم ذكر شجرة تسمى شجرة الذئب، وقبر «زيد بن الخطاب» وذلك على سبيل المثال.

قال: وكان العلماء قلة، والحكام عتاة ظلمة، والناس فوضى يغزو بعضهم بعضا، ويعدو قويهم على ضعيفهم.

فى تلك البيئة نشأ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فرأى شمس الإسلام إلى أفول، ورأي ظلمة الكفر إلى إمتداد وشمول.

وأراد الله له الخير فقدر له أن يكون أحد الذين أخبر الرسول أنهم يبعثون ليجددوا لهذه الأمة دينها، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل من وصُف به في تاريخنا.

فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح والدين الحق، والأُلفة بعد الاختلاف، والوحدة بعد الإنقسام.

ولا أقول: أن الرجل كامل فالكمال لله.

ولا أقول: أنه معصوم فالعصمة للأنبياء.

ولا أقول: أنه عار عن العيوب والأخطاء.

ولكن أقول أن هذه اليقظة، التي عمت نجدًا ثم إمتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة، ثم إلى ما حولها، ثم أمتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام، ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله, وتحدث عنه الدكتور طه حسين.

فقال: إن الباحث عن الحياة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب، لا يستطيع إن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر.

فلفتت إليها العالم الحديث فى الشرق والغرب، وأضطرته إن يهتم بأمرها وأحدثت فيها آثارًا خطيرة، هان شأنها بعض الشيء ولكنها عادت فأشتدت فى هذه الأيام، وأخذت تؤثّر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقاتها

بالأمم الأوربية.

هذه الحركة هى حركة الوهابيين، التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد.

إلى إن قال: قلت إن هذا المذهب الجديد قديم معنى، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم فى حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهّر من شوائب الشرك والوثنية, هو الدعوة إلى الإسلام، كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم خالصًا لله ملغيًا كل واسطة بين الله وبين الناس.

هو إحياء للإسلام وتطهير له، مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب.

فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة، إلى أن قال.

ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه فى داره بقوة وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها - لكان من المرجو جدًا إن يوحد هذا المذهب كلمة العرب فى القرن الثاني عشر، والثالث عشر الهجري كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم فى القرن الأول.

ولكن الذى يعنينا من هذا المذهب أثره فى الحياة العقلية والأدبية عند العرب.

فقد كان هذا الأثر عظيما خطيرًا من نواحٍ مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية فوضع أمامها مثلًا أعلى أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم والسنان، وهو لفت المسلمين جميعًا.

ب: رأي بعض الغربيين فى دعوته:

جاء فى دائرة المعارف البريطانية وهي تتحدث عن الوهابية قولها:

الوهابية: اسم لحركة التطهير فى الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح.

وقال ستودارد الامريكي مؤلف «**حاضر العالم الاسلامي**»: كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدلي والانحطاط أعمق دركه فأربد جوه وطبقت الظلمة على صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب إلى إن قال.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فالبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس، سجفا من الخرافات، وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبونهم فى الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دُفناء القبور.

وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يُشرب الخمر والأفيون فى كل مكان وانتشرت الرذائل وهُتكت ستر الحُرُمات على غير خشية ولا إستحياء. ونال مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام.

وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطًا بعيد القرار.

فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الإسلام، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يعلن المرتدون، وعبدة الأوثان.

وفيما العالم الإسلامي مستغرق فى هجعته، ومدلج فى ظلمته إذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام يوقظ المؤمنين، ويدعوهم إلى الإصلاح، والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم. فكان الصارخ لهذا الصوت إنما هو المُصلح المشهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى أشعل نار الوهابية، فاشتعلت اتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي.

ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد.

تبدت تباشير صبح الإسلام، ثم بدأت اليقظة الكبرى فى علم الإسلام.

وقال برنادلوس العالم الفرنسي فى كتابه العرب فى التاريخ، وبإسم

الإسلام الخالي من الشوائب الذى ساد فى القرن الأول نادي محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أُضيف للعقيدة والعبادات من زيادات بإعتبارها بدعة خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح.

وقال الدكتور داكبرت المؤرخ الألماني فى كتابه عبد العزيز:

كان لآل سعود إلى جانب سيفهم الذى يستخدمونه فى الفتح سلاح معنوي آخر، يدينون له بأعظم قسط من نجاحهم, ذلك السلاح من صنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد رجال الدين المطاردين فى سبيل عقيدتهم، والذي لجأ إلى الدرعية عاصمة آل سعود فى ذلك الحين، فلقى لديهم الحماية والأمان، وكانت تملأ قلب محمد بن عبد الوهاب فكرة تجديد القوى العربية على أساس ديني ناسبًا إلى ابتعادهم عن سيرة السلف الصالح، وانقسامهم إلى شيع، والى ابتعادهم عن خُلُقِهم العربي الأصيل، سبب تلاشيهم الذى جعلهم فى متناول النفوذ الأجنبي، إلى أن قال: ورأي الشيخ أن سبب الإنقاذ هو الرجوع إلى تعاليم الدين المشروعة، إلى تعاليم الرسول الصحيحة، فراح يبشر بوحي من ضميره وعقيدته بمحاربة البدع التي أُدخلت على الإسلام عبر العصور الغابرة، والضال المُضِل من تقارير علماء الدين غير مقيم وزنًا إلا ما نص عليه القرآن صراحة، أو ما يمكن نسبته بصورة قاطعة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة تقديس الأولياء، وجعلهم واسطة بين الله وبين الناس، وينادي بهدم الأضرحة، ومزارات الأولياء، وإزالة معالمها إقتداءً بالنبي الكريم، الذى

حارب بدعة تقديس الهياكل، وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية.

و بعدُ فقد جاهد هذا المُصلِح الكبير رحمه الله فى سبيل ارجاع المسلمين إلى الإسلام الصحيح جهاد الدعاة المخلصين مُعرّضا حياته للخطر صابرا محتسبًا إلى إن توفي عام ١٢٠٦ هجرية فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجمعنا به فى جنات الخلد اللّٰهُمَّ استجب يا رب العالمين.

نبذة موجزة عن شارح الكتاب

الاسم: سعيد بن عبد العزيز الجندول

وُلد في ليلى عاصمة بلاد الأفلاج عام ١٣٦١ هـ

◆ حياته العلمية:

عندما بلغ الثامنة من عمره أدخله والده فى مدرسة يتعلم فيها القرآن الكريم، وبعد أن أكمل حفظ القرآن نظرة بدأ يحفظه عن ظهر قلب وما إن بلغ الثالثة عشرة من عمره إلا وقد أكمل حفظ القرآن الكريم كله.

وبتوجيه من والده الذى حرص أن يحذو حذوه فى طلب العلم أخذ يحفظ بعض الكتب الصغيرة فى الحديث والتوحيد والفقه وخلال هذه الفترة من حياته سافر إلى الرياض حيث كانت ملتقى رواد العلم من جميع أنحاء المملكة وحيث تُعقد حلقات العلم فى المساجد بدأ ينهل فيها من مناهل المعرفة، ولم يكن له من عمل سوى طلب العلم، وفى مسجد من مساجد الرياض، حيث توجد غرف يسكن بها الوافدون إلى هناك لطلب العلم، سكن فى غرفة متواضعة داخل المسجد مستغلّا كل وقته فى طلب العلم، وبقي متنقلا بين حلقات العلم، يختار منها ما يروق له من علوم اللغة والفقه والتوحيد والحديث وغيرها من علوم الشريعة، وبقي فى الرياض يتابع

تعليمه على نظام الحلقات حتى عام ١٣٦٠ هـ، حيث انتقل إلى الحجاز يطلب المزيد من العلم وفى مكة المكرمة أخذ يتابع تعليمه على بعض المشايخ فى المسجد الحرام وبقي بها مدة غير طويلة، انتقل بعدها إلى الطائف وهناك التحق بدار التوحيد وفيها حصل على الشهادة الإبتدائية والشهادة الثانوية وبعد إكماله الدراسة للمرحلة الثانوية انتقل إلى مكة لمواصلة دراسته العالية بكلية الشريعة.

وفى عام ١٣٧٥ هـ، حصل على شهادة كلية الشريعة (الليسانس)، وفى عام ١٣٧٦ هـ، حضر دورة قصيرة فى الجامعة الأمريكية للإطلاع على أحدث الطرق التربوية للتعليم فى المرحلة الإبتدائية.

وفى عام ١٣٨٤ هـ، حصل على شهادة تدريب فى التخطيط التربوي من المركز الإقليمي لتدريب كِبار موظفي التعليم فى الدول العربية.

◆ حياته الوظيفية:

بدأت حياته الوظيفية مع بداية عام ١٣٦٣ هـ، حين أن عُيّن عضوًا فى هيئة الأمر بالمعروف.

وفى عام ١٣٧٥ هـ، وبعد حصوله على شهادة الليسانس من كلية الشريعة بمكة عُين إمامًا وخطيبًا فى المسجد الحرام.

وفى العام نفسه عُين مديرًا للمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.

وفى عام ١٣٨١ هـ، عُين مساعدًا لمدير التعليم بمكة.

ثم نُقل إلى جهاز وزارة المعارف بالرياض فى وظيفة مساعد مدير عام التعليم الثانوي.

وفى عام ١٣٨٦ هـ، نُقل ليعمل مساعدًا لمدير عام التعليم.

وفى عام ١٣٩١ هـ، صدر الأمر الملكي بتعيينه نائبًا لرئيس هيئة التأديب.

◆ بعض مشايخه:

بعض المشايخ الذين أخذ عنهم العلم على طريق الحلقات هم:

١- الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ.

٢ - الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٣- الشيخ محمد بن مانع.

أما الذين تلقى عنهم العلم على الطريقة الحديثة للتعلم فى دار التوحيد وكلية الشريعة فهم كثير وأغلبهم من علماء الأزهر.

◆ النشاطات الأخرى:

شارك فى عدة مؤتمرات تعليمية دولية، وأُسندت إليه مهمات أخرى تعليمية فى بعض الدول العربية.

عضو فى اللجنة الفرعية للتعليم، وأحد أعضاء اللجنة العليا للتوعية الإسلامية.

◆ مؤلفاته:

له من المؤلفات حتى الآن:

١- كتاب التوحيد والتهذيب، كتاب مدرسى - مقرر على طلبة السنة النهائية للمرحلة الثانوية بقسميها العلمي والأدبي.

٢- كتاب مدرسي فى التفسير وعلومه - مقرر على طلبة معاهد إعداد المعلمين.

٣- كتاب الدر النضيد، شرح على كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله.

4 - دفاع عن الإسلام، وهو الآن مشارفٌ على النهاية.

5 - الجنس الناعم فى ظل الإسلام، مُهيأ للطبع.

باب

التوحيد

وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية (٥٥ - الذاريات) وقوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية (٣٦ - النحل) وقوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية (٢٣ - الاسراء) وقوله ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية (٣٦ - النساء) وقوله ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيات (١٥١ -الانعام).

قال ابن مسعود رضى الله عنه، من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِى أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية (الانعام: ١٥١-١٥٢) وعن

معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حِمار فقال لي «يا معاذ أتدري ما حقُ الله على العبادِ وما حقُ العباد على الله، فقلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد إن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله إن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» قلت: يا رسول الله أفلا أُبشر الناس قال «لا تُبشرهم فيتكلوا» أخرجاه فى الصحيحين.

◆ فيه مسائل

الاولى: الحكمة فى خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هى التوحيد لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢].

الرابعة: الحكمة فى إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أُمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ الاية.

الثامنة: أن الطاغوت عام فى كل ما عُبد من دون الله.

التاسعة: عظّم شأن الثلاث آيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات فى سورة الاسراء وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)﴾ وختمها بقوله ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ ونبهنا الله سبحانه على عِظم شأن هذه المسألة بقوله ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تُسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه، إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بِشارة المسلم بما يسرّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الإتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحِمار مع والإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عِظم شأن هذه المسألة.

◆ **الهدف:**

قصد داعية التوحيد رحمة الله عليه من هذا الباب، بيان أن العبادة لا تجوز إلا لله الواحد، خالق هذا الكون ومدبره.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب خمس آيات وحديث واحد.

فالآية الأولى: من هذه الآيات الخمس، توضح أن الحكمة فى خلق الجن والإنس هى أن يعبدوه وحده، وعبادة الله تتمثل فى إتباع أوامره، واجتناب ما نهى عنه مما ورد فى كتابه العزيز أو سنة رسوله الثابتة الصحيحة، وعبادة الله معناها التذلل الكامل، والخضوع التام، والاعتراف الجازم، بأن الله رب كل شىء وخالقه والمتصرف فيه، وأن العبادة لا تصح إلا له دون غيره .

والآية الثانية: فيها إخبار من الله، أنه بعث فى كل جيل من الناس رسولا يدعوهم إلى عبادة الله، واجتناب عبادة الطاغوت[1]، ومعنى هذا أن رسالات الأنبياء كلها من نوح إلى موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام - تلتقي حول نقطة واحدة هى الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والنهى عن عبادة غيره، ومثل هذه الآية قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

والآية الثالثة: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فيها الأمر من الله ألا يُعبد غيره، لأن العبادة نهاية التعظيم، ولا يليق ذلك إلا بالخالق العظيم الواحد الأحد جل جلاله.

وكما أمر بإفراده بالعبادة، أمر كذلك بالإحسان إلى الوالدين، فقال ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يعني وإن تحسنوا إلى الوالدين وتبروهما.

و تفصل الأية بعد ذلك ما يجب من الإحسان للوالدين فتقول: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

يعني إذا بلغ والداك أو أحدهما حالة الشيخوخة وصار عاجزًا فلا تتأفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى منه الناس عادة، ولكن عليك بالصبر وإحتساب الثواب عند الله، كما صبرا عليك فى

(١) الطاغوت: كل معبود من دون الله من أنس أو جن أو صنم أو غير ذلك.

صغرك، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ يعني لا تُسمعهما كلامًا يُسيء إلى مشاعرهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ يعني كلاما حسنًا مشعرًا بالأدب والاحترام، والاعتراف لهما بالفضل والإحسان،﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي تواضع لهما فى رحمة وشفقة ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ فى كبر هما وبعد وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

أما الآية الرابعة: ففيها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وتأتى بعدها الآية الخامسة والأخيرة فى هذا الباب والتي تسمى بآية الحقوق العشرة، وهي قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين إتبعوا أهواءهم بعبادة غير الله، وتحليلهم أو تحريمهم أشياء لم تكن بأمر من الله، أقبِلوا إلَيَّ أقُصُ ما حرم الله عليكم، يقينًا لا ظنًا ولا تخرصًا، وإنما هو وحى من الله الذى يملك حق التحريم والتحليل، وقد بدأت الآية الكريمة بأكبر المحرمات وأشدها إفسادًا للعقل والعقيدة، وهو الشرك فقالت:

١ - ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أي ومما أتلوه عليكم وأوصيكم به، ألا تشركوا بالله شيئا من مخلوقاته التي أوجدها بقدرته وإرادته وأخضعها لسلطانه، وعبوديته ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾.

٢ - ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يعني وأحسنوا بالوالدين إحسانًا، ولعِظم عناية الله ببر الوالدين أن جعله ثاني الوصايا العشر وقرنه بعبادته كما قرن

شكرهما بشكره، فى سورة لقمان بقوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ والمراد ببر الوالدين هنا إحترامهما، والإبتعاد عن كل ما يُسيء إلى مشاعرهما، أو ينغّص عليهما حياتهما وطاعتهما فى كل أمر، إلا إذا كان ذلك الأمر فيه معصية الله فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

٣ - ﴿أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ[1] نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي ومما وصاكم به الله - ألّا تقتلوا أولادكم خوفا من فقر يحل بكم فانى رازقكم وإياهم، وكان الناس قبل الإسلام يئدون بناتهم خشية العار، ويقتلون أبناءهم الصغار خوفا من الفقر فحرم الله ذلك تحريمًا قاطعًا، وأخبر فى آية من كتابه العزيز: أنه ما من دابةٍ فى الارض إلا على الله رزقها ,

٤ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ[2] مَا ظَهَرَ[3] مِنْهَا وَمَا بَطَنَ[4]﴾ أي ابتعدوا عن فعل كل أمر مستقبح فى نظر الإسلام، سرًا أو علنًا فالله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

٥ - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بالإسلام إلا بالحق يعني إلا بسبب جرم أمر الشرع

---

(١) الاملاق: الفقر.

(٢) الفواحش: هي الأمور التي حرمها الإسلام كالزنا، واللواط، وشرب الخمر، والكبر، والحسد، والظلم، بكل أنواعه، والآثام بكل صورها.

(٣) ما ظهر: ما يفعل علناً.

(٤) ما بطن: ما يفعل سراً.

بقتلها من أجله، كما ورد بذلك الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث - الثيب[1] الزاني، والنفس بالنفس[2]، والتارك لدينه المفارق للجماعة[3]) أو التي حرم قتلها بالعهد لما رواه الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قتل معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا»

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي أن الله تعالى وصاكم بهذه الوصايا ليعدكم لتعقل ما فيه الخير فتفعلوه، وما فيه الشر فتتركوه.

6 - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ يعني لا تقربوا مال اليتيم إذا وليتم على أمره أو كانت لكم وصاية عليه إلا بتنميته بالتجارة وغيرها مما يعود عليه بالربح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني حتى يبلغ سن الرشد، فإذا بلغ الرشد وصار أهلًا للتصرف فيه بعقل ومعرفة فسلّموه إليه.

٧- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أي وأتموا الكَيل إذا كِلتم

---

(١) الثيب: هو الذي قد تزوج.

(٢) النفس بالنفس:: معناه قتل القاتل عمدًا بغير حق.

(٣) التارك لدينه: معناه المرتد عن الإسلام..

للناس أو كِلتم عليهم لأنفسكم، وكذلك إذا وزنتم للناس أو وزنتم لأنفسكم وقوله ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل سواء لكم أو عليكم، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا نكلف من يبيع أو يشتري أن يكيل أو يزن بحيث لا يزيد أو ينقص الكيل أو الوزن، حبة أو تمرة، وإنما يتحرى العدل والإنصاف، سوًا ء له أو عليه، فإذا حصل خطأ غير مقصود فإن الله لا يحاسبه على ذلك.

٨- ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يعني كما يجب عليكم العدل فى الأفعال كالوزن والكيل كذلك يجب عليكم العدل فى الأقوال، إذا حكمتم أو شهد تم على أحد، ولو كان المحكوم عليه، أو المشهود له من ذوى القرابة.

٩- ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أي أمركم بالوفاء بعهد الله، وهذا شامل لكل عهد يلتزم به الإنسان أمام الله، وأهم عهد إلتزم به الإنسان أمام ربه حين آمن به وبرسله، هو امتثال أمره واجتناب نهيه، لذا كان لزامًا عليه الوفاء بهذا العهد أينما كان وحيثما وجد، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي ذلكم الذى تلوته عليكم، ووصيتكم به، رجاء أن تتذكروا فتتعظوا، وتتواصوا بترك ما أنتم عليه من أعمال تخالف شرع الله ودينه. ١٠ - ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي وأن هذا القرآن، هو المنهاج المستقيم، الذى دعاكم إليه فاتبعوه، ولا تسلكوا سبل الضلالات فتفرقوا شيعًا وأحزابًا فتضلوا عن طريق الله،

طريق الإسلام فتصيروا إلى الضياع والشقاء والهلاك.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي ذلك الأمر بإتباع الصراط المستقيم، وصاكم عسى إن تتقوا الله فلا تقعوا فى محذور يعرضكم السخطه.

وفى نهاية هذا الباب يأتى حديث معاذ رضى الله عنه وفيه أمور:

أولًا: تواضع نبي الله عليه الصلاة والسلام فى ركوب الحِمار الذى يأنف كثيرٌ من الناس من الركوب عليه ,

ثانيًا: الطريقة التربوية فى إحلال الإستفهام بدلًا من طرح السؤال مباشرة لما فى ذلك من استثارة انتباه المسئول، ورسوخ ما سيُقال فى ذهنه، وذلك فى قول الرسول عليه السلام لمعاذ (أتدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟).

ثالثًا: اعتراف المسلم بعجزه عن الشيء الذى لا يعلم حكمه من شريعة الله، وذلك فى جواب معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال (الله ورسوله أعلم).

الرابع: معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله ألّا يعذّب من لا يشرك به شيئًا) وهذا يعني أن لله حقًا على العباد، وأن للعباد حقًا على الله، إلا أن هناك فرقًا بين حق الله على العباد، وحق العباد على الله، فإفراد الله بالعبادة

حقٌّ واجبٌ على كل المخلوقين من الإنس والجن أما حق العباد على الله فهو حق تفضُّل وإحسان أوجبه الله على نفسه، ووعد الله صدق كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الخامس: استحباب إدخال السرور على نفس المسلم، وذلك فى قول معاذ رضى الله عنه «أفلا أبشر الناس».

السادس: جواز كتمان العلم إذا كان فيه مصلحة وذلك فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ «لا تبشرهم فيتكلوا» يعني لا تُخبرهم فيخفف ذلك من عزيمة التنافس فى أعمال الخير فى نفوسهم، ويمكن أن يكون المعنى لا تخبرهم فيعتقد من لا علم عنده بأن من مات لا يشرك بالله شيئًا لا يعاقبه الله على ما فعل من ذنوب وآثام فيتمادى فى المعصية، ويسير فى طريق الضلال.

- **والخلاصة من هذا الباب:**

أ: أن علم التوحيد هو أصل الدين وأهم العلوم الاسلامية لأنه هو المدخل إلى الإسلام، ولأنه يحدد مكانة الخالق من المخلوق.

ب: إن تعلمه فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

ج: الإقتناع التام بأن الله واحدٌ أحد فرد صمد لا شريك له فى عبادته.

د: أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية يعني الإعتقاد بأن الله ربُ كل شىء وخالقه لكن الإعتراف بهذا النوع وحده لا يكفي لدخول الإنسان فى الإسلام، بدليل أن المشركين قديمًا كانوا يقرون بأن الله وحده خالق كل شىء، ومع هذا إعتبر هم القرآن مشركين، جاء ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

الثاني: توحيد الألوهية - يعني الإيمان بأن الله وحده لا شريك له فى عبادته، وهذا هو التوحيد الذى نزلت به الكتب السماوية، ودعا إليه جميع الرسُل من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات جميع أسماء الله وصفاته التي جاء بها القرآن الكريم، أو وردت فى الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيهٍ ولا تعطيلٍ، كما قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شىء وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

باب

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الاية (٨٢ - الانعام) عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه.

ولهما فى حديث عتبان «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال موسى: «يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسي لا إله إلا الله، قال يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حِبان والحاكم وصححه.

وللترمذي وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تعالى يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة».

◆ **فيه مسائل:**

الاولى: سِعة فضل الله.

الثانية: ثواب كثرة التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي فى سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله ويتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله.

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع إن كثيرًا من يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: إن لهن عمارًا .

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: إنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فى حديث

عتبان «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان».

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة إختصاص عيسى بكونه كلمةُ الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله «على ما كان من العمل».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كِفتان.

العشرون: معرفة ذِكر الوجه.

◆ **الهدف:**

قصد الداعية المجدد رحمه الله بيان أن ما أعد الله من جزاءٍ عظيم للذين خلصت نفوسهم من كل عقيدة إلا عقيدة التوحيد القائمة على العبادة الخالصة لرب العباد.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية وأربعة أحاديث.

فالآية الكريمة مرتبطة بآيتين قبلها هما قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شىء عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

والمعنى الإجمالي لهاتين الآيتين أن قوم إبراهيم عليه السلام جادلوه فى أمر التوحيد حين أنكر عليهم عبادة الأصنام وقالوا له: أنّا سائرون على ما وجدنا عليه آباءنا من إتخاذ الآلهة شُفعاء عند الله، وهذا لا ينافي الإيمان بالله، وخوفوا إبراهيم من أن تمسه آلهتهم بمكروه إذا هو استمر فى إنكار عبادتهم للأصنام والكواكب وغيرها، فرد عليهم إبراهيم عليه السلام جدالهم، كما حكى ذلك عنه القرآن بقوله: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ يعني اتجادلونى فى أمر التوحيد الذى هداني الله إليه، وتخوفونى من أصنامٍ لا تضر ولا تنفع، إنى لا أخاف من معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله، ولن تستطيع إصابتي بسوء إلا بمشيئة الله وإرادته، وإذا فأنا لا أخاف إلا من الله وحده ثم عاد إبراهيم عليه السلام فى تعجب وبحجة مقنعة ليقول لهؤلاء المشركين كما حكى عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ يعني عجبًا لكم أيها المجادلون السالكون غير طريق الله، تطلبون مني أن أخاف من مخلوقات ضعيفة هزيلة ولا تخافون الله فى

شركـكم معه أحدًا فى عبادته، كان ينبغي لكم أن تخافوا من غضب الله وعقابه، فيما إرتكبتموه من جُرم فى حق الله بدلا من تخويفكم لى من أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ثم قال: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ يعني أيهما أحق بالأمن - فريق الموحدين الذين أخلصوا العبادة الله، أو فريق المشركين الذين سلكوا سبيل الضلال ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن كان لديكم علم بذلك,, وهنا يفصل الله بين إبراهيم وقومه فى الأمر فيوضح من يستحق الأمن، من هؤلاء الفريقين إذ يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي الذين آمنوا بالله إيمانًا لا تردد فيه ولا شرك هم الذين يمنحهم أمنه وسعادته، أما أولئك الذين أشركوا مع الله أحدًا فى عبادته فإنه لا أمان لهم من عذاب الله وسيلقون جزاءهم يوم القيامة.

وحينما نزلت الآية الكريمة شَق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم ظنًا منهم، أن الظلم المذكور فيها - هو ظلم الإنسان نفسه، فبيَّن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن الظلم الوارد فى الآية معناه الشرك، وليس كل ظلم يقع فيه المسلم، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله فأيُّنا لا يظلم نفسه فقال: إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (يا بُنِّي لا تشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيم)؟ إنما هو الشرك وبعد هذه الآية الكريمة.

يأتي الحديث الأول فى هذا الباب، وهو حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه، وبه أمور خمسة من آمن بها وعمل بما تدل عليه فى الظاهر والباطن أدخله الله الجنة.

الأول: قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعني من آمن فى صدق ويقين، بأن لهذا الكون إلهًا أوجده من العدم، وإعترف بالوحدانية المطلقة لله وتجرد من كل عبادة لغيره، وعمل بما تدل عليه شهادة أن لا إله إلا الله من إتباع أوامر الله واجتناب نواهيه قولًا وعملًا .

الثاني: قوله «وإن محمدًا رسول الله» يعني من اعتقد إعتقادًا لا يقبل الشك بأن محمدًا عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله أرسله الله إلى الإنس والجن برسالة شاملة كاملة، وأنه خاتم النبيين، وأن رسالته خاتمة الرسالات، وآمن بأنه عبدٌ من عباد الله شرفه الله بحمل رسالته إلى العالم فصدقه فيما أخبر، وأطاعه فيما أمر، وابتعد عما عنه نهى وزجر، وعرف له قدره وأنزله المنزلة الرفيعة التي منحها الله ربه وأحبه أكثر من ولده ووالده، والناس أجمعين.

الثالث: قوله وإن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه يعني من اعتقد أن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من عباد الله ورسول من رسله، وأنه ليس ابن سفاح كما يزعم ذلك اليهود، وليس

هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة كما يزعم ذلك النصارى - بل هو عبد من عباد الله شرفه بحمل رسالته إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وقد جاء إعتراف عيسى عليه السلام بعبودية الله، وهو ما يزال صبيا فى مهده، إذ يقول القرآن الكريم فى ذلك من سورة مريم (٢٩ - ٣٦)
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ
اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الذى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ
سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وأنه وجد من كلمة كُن الدالة على التكوين، وآية الله فى خلق عيسى بكلمته من غير وساطة أب وجعله بشرًا سويًا بما نفخ فيه من روحه، كآيته فى خلق آدم بكلمته، وما نفخ فيه من روحه، فخلقهما جاء على غير الطريقة المألوفة لدى الناس «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون، وإن كلمة ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ لا تدل على أن عيسى عليه السلام جزء من الله كما يزعم ذلك بعض النصارى، بمعنى أنه إبنه تعالى الله الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وإنما المقصود بكلمة ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ أنه روح من تلك الأرواح التي إستخرجها الله من صلب آدم وأخذ عليها

العهد والميثاق بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ - الآية، ومن هنا فإن كلمة ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾

نعم كل المخلوقات كما قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ يعني خلقًا وإيجادًا ، وعيسى كذلك أوجده الله كسائر المخلوقات.

الرابع: قوله «والجنة حق، أى واعتقد أن الجنة التي أعدها الله للطائعين من عباده حقيقة لا شك فيها، وأنها المقر الأخير للمؤمنين به السالكين سبيل رسوله كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الذى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الخامس: «والنار حق» أي واعتقد أن النار التي توعد الله بها الكافرين والمنافقين حقيقة لا ريب فيها كما قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الاية (٢٤ سورة البقرة) ,

هذه الأمور الخمسة من آمن بها فى صدق وإيمان فإن الله «يدخله الجنة على ما كان من العمل، وفى هذا ضمان بدخول الجنة لمن مات على التوحيد، حتى لو مات وهو يمارس المعاصي، فإن الله إما أن يتجاوز عنه وهو أهل للعفو والغفران، وإما أن يعذبه على قدر معصيته، ثم يدخله الجنة،

وهذه مزية كبيرة لمن مات موحدًا لله فى عبادته».

الحديث الثاني: حديث عتبان وفيه «أن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»

وفيه دلالة صريحة على أن من إعترف لله بالوحدانية، ولم يشرك مع الله أحدًا فى عبادته، وأدى ما تستلزمه لا إله إلا الله قولًا وعملًا فإن الله يمنحه الضمان من دخول النار، والأمان من دخول النار هو مطلب العباد والزهاد، والصالحين.

ويأتى الحديث الثالث حديث أبى سعيد الخدري رضى الله عنه وهو يحكي قصة موسى عليه السلام مع ربه، فقد طلب موسى من ربه أن يعلمه دعاء يسأله به، ويثني به عليه، فقال له ربه: يا موسى: قل لا إله إلا الله فقال موسى لربه «كل عبادك يقولون هذا وأنا أطلب منك دعاء تخصني به»، فقال له القادر العظيم: يا موسى لو أن السموات السبع وما فيهن من المخلوقات والارضين السبع فى كفة ميزان ولا إله إلا الله فى الكفة الأخرى، مالت بهن لا إله إلا الله، وهذا فيه دلالة على أن لا إله إلا الله هى أفضل شىء يمكن أن يُذكر الله به، ومما ورد فى فضلها وعظيم شأنها، ما ورد فى حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا

رب فيقال: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا - فيقال بلى، إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد إن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيُقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات فى كِفة والبطاقة فى كِفة، فطاشت السجلات، وثقُلت البطاقة».

أما الحديث الرابع والأخير فى هذا الباب فهو الحديث القدسى وفيه وعدٌ من الله لمن مات لا يشرك بالله شيئًا أن يجزيه على ذلك بمغفرة ذنوبه مهما كانت، كثرتها، وهذا يدل على فضل التوحيد وكثرة تكفيره للذنوب.

باب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية (١٢٠ - النحل) ,

وقال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ الآية (٥٩ - المؤمنين) عن حُصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جُبير فقال أيكم رأى الكوكب الذى إنقض البارحة فقلت: أنا ثم قلت: إما أني لم أكن فى صلاة ولكني لُدغت قال: فما صنعت؟ قلت إرتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت حديث حدثناه الشعبي قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بُريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «عُرِضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي هذا موسى وقومه فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا

بالله شيئا، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون, فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم: قال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم، فقال «سبقك بها عكاشه»**.

فيه مسائل:

الاولى: معرفة مراتب الناس فى التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخِصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه - عليه السلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تُحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتى وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم وهو عدم الإغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة.

السادسه عشره: الرخصة فى الرُقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا، فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله «أنت منهم» علم من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: إستعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

◆ **الهدف:**

قصد داعية التوحيد من هذا الباب بيان ما أعده الله للذين أخلصوا

الله فى إيمانهم وإتجهوا إليه وحده فى عبادتهم، من نعيمٍ خالد هو دخول الجنة.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديثان.

الآية الأولى من هاتين الآيتين قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ والمعنى أن الله تعالى جلت عظمته، مدح عبده ورسوله وخليله أمام الحنفاء ووالد الانبياء بجملة صفات هى الغاية فى تحقيق التوحيد.

فوصفه أولًا: بأنه وحده كان أمة، يعني قدوةً للمؤمنين ورئيسًا للموحدين.

ثانيًا: أنه كان قانتًا يعني مداومًا على طاعة الله، قائمًا بأمره فى صدقٍ ويقين.

ثالثًا: أنه كان حنيفًا ، والحنيف معناه المائل عن الدين الباطل، إلى الدين الحق.

رابعًا: أنه ما كان من المشركين - يعني لم يكن سائرًا على ما سار عليه المشركون من عبادة الأصنام والكواكب، وإنما كان موحدًا الله مؤمنًا به مخلصًا له فى عبادته، وهذا هو تحقيق التوحيد.

والآية الثانية هنا هى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أى الذين لا يعبدون معه غيره، ويعتقدون فى إيمان صادق، بأن الله وحده أحدٌ فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد, وبعد هاتين الآيتين يأتى حديث حصين رضى الله عنه وفيه يحكي قصة حصلت له فى مجلس سعيد بن جبير هو وجماعة معه إذ سأل سعيد من عنده قائلا «أيكم رأي الكوكب الذى إنقض البارحة، يعني من منكم شاهد النجم الذى سقط البارحة قال حصين: قلت أنا، ولحرص السلف الصالح ومنهم حصين رضى الله عنه على البعد عن مدح الإنسان بما ليس فيه، وخوفًا من أن يكون فى كلامه، إيهام للسامعين بأنه حينما شاهد النجم أنه كان فى عبادة فيكون ذلك رياءًا ، أستدرك قائلا «إما إني لم أكن فى صلاة ولكني لُدغت» يعني أن عقربًا لدغته ،» قال له سعيد رضى الله عنه: فما صنعت، يعني ما فعلت، قلت «إرتقيت» يعني طلبت من يعالجني، بالرقية والرقية تكون إما بقراءة بعض أيات من القرآن الكريم، أو أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال سعيد «فما حملك على ذلك، يعني ما دليلك على جواز هذا العمل الذى عملته، قال حصين: قلت حديث حدثناه الشعبي، قال سعيد وما حدثكم، قال حصين، حدثنا عن بريده بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، يعني لا رقية أقرب إلى الشفاء - من الإصابة بالعين والحمة - بضم الحاء وتخفيف الميم - سم العقرب وغيرها من الحشرات السامة».

قال سعيد فى أدب العالم: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع يعني قد

أحسن عملًا من عمل شيئًا عن علم.

قال سعيد رضى الله عنه، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عُرضت عليَّ الأمم» الحديث هنا لم يتعرض المكان وزمان العرض ولذا سوف لا نتعرض له الآن إلا إذا ورد ما يدل على ذلك، قوله: «فرأيت النبي ومعه الرهط، يعني أنه عليه السلام رأي فى هذا العرض بعض الأنبياء، وليس معه من أتباعه إلا أشخاص قليلون يبلغ عددهم العشرة.

قوله: «والنبي معه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد» ورأى كذلك بعض الأنبياء، وليس معه سوى رجل أو رجلين، ومنهم من ليس معه أحد وهذا يدل على أن الأكثرية الساحقة من الناس لا يسيرون على هدى أنبيائهم وأن الصادقين الله فى توحيدهم أقل بكثير من ذوي النفوس المنحرفة عن طريق الهدى - كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

قوله: «إذ رفع لي سواد عظيم، يعني رأيت فى الأفق البعيد أشياء لا أستطيع تمييزها لبعدها.

قوله: «فظننت أنهم أمتي» وذلك لأن بُعد الأشياء عن النظر يجعل الإنسان لا يدرك غير الصورة فقط.

قوله: «فقيل لي هذا موسى وقومه، وفى هذا دليل على كثرة أتباع موسى

عليه السلام، من بني إسرائيل، وقد ورد فى صحيح مسلم

ولكن أنظر إلى الأفق، ولم يذكره المصنف فلعله سقط من الأصل الذى نقل الحديث منه، قوله «فنظرت فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب».

قوله (ثم نهض) يعني قام من بين أصحابه ودخل بيته «فخاض الناس فى أولئك» أي فبدأ الصحابة يتساءلون فيما بينهم، ويتباحثون فيمن يكون أولئك الذين يحصلون على هذا الفضل العظيم، ليعملوا مثلهم، إلى أن خرج عليهم الرسول عليه السلام فقال: وهم الذين لا يسترقون أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، توكلًا على الله وإعتمادًا على أن المرض حصل بأمر الله، والشفاء إنما يكون بأمر من الله، ومن تمام التوكل على الله تفويض الأمر إليه، وقوله: (ولا يكتوون) يعني لا يسألون غير هم أن يكويهم، إستسلامًا لقضاء الله وقدره، وقوله: (ولا يتطيرون) أي لا يتشائمون بالطيور وللتطير باب سيأتي إن شاء الله.

قوله: «وعلى ربهم يتوكلون، يعني أنهم لعمق إيمانهم، يفوضون أمرهم إلى الله، رضًا ء بقضاءه وقدره، وليس معنى هذا أنهم يحرمون تعاطي أسباب الشفاء من المرض، ولكنهم يتركون الأمور المكروهة مع إحتياجهم إليها توكلًا على الله وإلتجاءًا إليه.

لكن تعاطي أسباب العلاج فى الحقيقة لا ينافي التوكل على الله، فقد

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشفاء فى ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي)، وفى لفظٍ آخر «وما أحبُ أن أكتوي» وكلام النبي عليه السلام فى تحديد الشفاء فى ثلاثة أشياء جاء فى وقت لم تكن الوسائل العلاجية فيه متوفرة، كما هو الحال فى عصرنا هذا لكنه عليه الصلاة والسلام أخبر أنه ما من مرض إلا ويوجد له علاج وما هو حاصل الآن من تطور فى عالم الطب فيه دليل على أن نبي الله عليه السلام لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلا ما هو حق فقد تطور الطب تطورًا كبيرًا إستطاع من خلاله القضاء على كثير من الأمراض ورغم هذا التطور فما تزال هناك بعض الأمراض يقف أمامها الطب عاجزًا عن إيجاد علاجٍ لها حتى عصرنا هذا، جاء هذا الخبر فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الوارد فى الصحيحين - حيث يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**».

قوله: «**فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت منهم، وفى هذا بشارة عظيمة يُبشر بها الرسول عليه الصلاة والسلام واحدًا من أصحابه، وعكاشة هذا من بني أسد بن خزيمة كان من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا وقاتل فيها، وإستشهد فى قتال الردة مع خالد بن الوليد رضى الله عنه: ولعل الرسول عليه السلام قد بشره بالجنة لما يعلمه عنه من صدق مع الله، ولأنه ممن شهد بدرًا وقد جاء فى الحديث «لعل الله إطلع**

على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، والراجح أن عكاشة رضى الله عنه حينما طلب من الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء له قال: (اللّٰهُمَّ إجعله منهم كما وردت بذلك رواية البخارى فاستجاب الله دعاءه فقال لعكاشة أنت منهم.

قوله: «ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم، ولأن الرجل لم يكن له من الفضل والسبق فى الإسلام مثل ما لعكاشة، وخوفًا من أن يقوم ثالث ورابع ويطلب كل من كان حاضرًا الدعاء له بدخول الجنة سد الباب بقوله عليه السلام: «سبقك بها عكاشة»، ولما يتمتع به نبي الله من أدب رفيع وحسن خلق لم يقل لذلك الرجل: لست منهم، فيجرح بذلك إحساسه، ولكنه قال سبقك بها عكاشة.

باب
الخوف من الشرك

وقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الآية (٤٨ - النساء) وقال الخليل عليه السلام ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ الآية (٣٠ - إبراهيم) ,

وفى الحديث «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال «الرياء» وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من مات وهو يدعو الله ندًا دخل النار» رواه البخارى ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار».

فيه مسائل:

الاولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما فى حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: إعتباره بحال الاكثر لقوله ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾.

العاشرة: فيه تفسير (لا إله إلا الله)، كما ذكره البخارى.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

◆ **الهدف:**

قصد أمام الدعوة قدّس الله روحه من هذا الباب بيان العقاب الرهيب لمن مات مشركًا بالله فى عبادته، وتوضيح خطأ ما يعتقده كثير من الناس من أن خطر الشرك قد زال بزوال الجاهليات الأولى.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آيتان وثلاثة أحاديث.

فالآية الأولى قيل فى سبب نزولها أنه لمَّا نزل قول الله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فتلاها على الناس فقام إليه رجل فقال: والشرك بالله فسكت مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والآية الكريمة هذه فيها تحذير من العاقبة المؤلمة لمن لقي الله مشركًا ، وفيها إخبار بأن كل ذنب يمكن أن يتجاوز الله عنه إلا الشرك بالله فى عبادته، وهذا يدل على أنه أعظم ذنب يمكن أن يلقي الإنسان به ربه، ولذا جاء فى الاية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

لأن الشرك معناه إنزال المخلوق منزلة الخالق، ورفع العبد إلى مقام الإله والعبادة كلها بجميع صورها حق من حقوق الله فإذا سلب هذا الحق وأعطي لمخلوق كان معنى ذلك تسوية المخلوق بالخالق، وجعل الفقير العاجز مكان القادر القاهر، وفى هذا إعتداء على حق الله وتقليل من شأن رب العالمين، من هنا كان الشرك أعظم الذنوب جُرمًا ، وأشدها عقابًا من أى ذنب آخر، جاء ذلك فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ والآية هنا تشمل كل مشرك على وجه الأرض، لا فرق فى ذلك بين عبدة البقر والنار ولا بين أهل الكتاب من يهود أو نصارى، ولا بين من إتخذ إلهه هواه من دهريين وغيرهم، كل هؤلاء وأمثالهم من عبدة الأصنام والأوثان إذا ماتوا على الشرك إستحقوا الخلود فى النار وبعد أن أوضح الله سبحانه أنه لا يغفر لمن مات وهو مشرك بين أن ما دون الشرك من الذنوب يغفره لمن يشاء من عباده،

فقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يعني أن من مات وعليه ذنوب وهو غير مشرك فإنه يكون تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه.

أما الآية الثانية فى هذا الباب فهى قوله تعالى ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

والآية الكريمة تشير إلى طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يُجنبه وبنيه عبادة الأصنام، ويُثبته هو وبنيه على التوحيد، وقد استجاب الله دعاءه فجعل بنيه أنبياء، وجنبهم عبادة الأصنام.

بعد هاتين الآيتين يأتى الحديث الأول فى هذا الباب وفيه أن النبي عليه الصلاة والسلام، أخبر أن أشد ما يخافه على أمته الشرك الأصغر، ولما سُئل عليه السلام عن الشرك الأصغر قال: الرياء والرياء هو أن يعمل الإنسان أعمالًا فى ظاهرها أنها لله، ولكنه يريد من هذا العمل شيئًا آخر هو ثناء الناس عليه، ووصفه بالصلاح والتقوى، لكن هذا النوع من الشرك لا يخرج المسلم عن دينه.

أما الحديث الثاني، وهو حديث ابن مسعود ففيه أن من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار، والند معناه الشريك، فمن جعل الله شريكًا فى عبادته من نبي أو ولي أو أي مخلوق آخر يعظمه كما يعظم الله، أو يخافه كما يخاف من الله، أو يرجوه كما يرجو الله، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله،

فقد جعله مساويًا لله وشبيهًا له فقد أشرك مع الله شركا أكبر، ويخرج بسببه من الإسلام، ويستحق به دخول النار؛ والحديث الأخير فى الباب هو حديث جابر رضى الله عنه وفيه أن من فارق الحياة متجردًا من كل عبودية إلا لله دخل الجنة، إلا إن كانت عليه ذنوب كبيرة، فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه وأدخله الجنة، وأن من مات مشركًا مع الله فى عبادته دخل النار، ولذا فإن على المسلم إن يكون حذرًا من الوقوع فى الشرك الذى لا يغفره الله.

باب

الدعاء إلى شهادة إن لا إلهٰ ألا الله

وقول الله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ الآية (١٠٨ - يوسف) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة إن لا إلهٰ إلا الله» وفى رواية: «إلى أن يوحدوا الله»، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله إفترض عليهم خمس صلواتٍ فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله إفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، وإتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه، ولهما عن سهل بن سعد، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: «أين علي بن أبى طالب، فقيل هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لإن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمر النعم»، يدوكون: أي يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من أتبعه صلى الله عليه وسلم.

الثانية: التنبيه على الإخلاص لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: إن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حُسن التوحيد: كونه تنزيهًا لله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة: وهي من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لئلايصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى «**أن يوحدوا الله**» معنى شهادة أن لا إلٰه إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها وهو لا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداية بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبه عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: إتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الأخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله «لأعطين الراية، الخ علم من أعلام النبوة».

العشرون: تفله في عينيه علم من أعلامها أيضًا .

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضى الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب فى قوله «على رسلك».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله «أخبر هم بما يجب عليهم».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى فى الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من إهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

◆ الهدف:

قصد الإمام المصلح رحمه الله من هذا الباب بيان وجوب دعوة الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والبعد عن كل ما يلوث عقيدة المسلم من شرك أو بدع أو خرافات.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وحديثان.

الآية الكريمة بعد أن بين الله سبحانه وتعالى فى آيات سابقة لهذه الآية الدليل القاطع على وجود الله المتمثل فى هذا الكون المحير للعقل فى أحكامه ودقة نظامه، وخفاء أسراره، وما عليه البشر من غفلة عن التفكير فى آيات الله الدالة على وحدانيته.

أمر رسوله عليه الصلاة والسلام، أن يخبر الناس بأن طريقه هى الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، فقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا سائر عليها من الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ومحاربة الأصنام والأوثان، هى سنتي ومنهاجي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ إلى توحيد الله الواحد الأحد ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي على علم قاطع بما أدعو إليه، ﴿أَنَا﴾ وكذلك يدعو إليه ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يعني من آمن بي وإتبع طريقتي، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يعني أُنزه الله وأعظمه، عن الشركاء والأنداد، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي ما أنا ممن أنكر نعمة الله عليه فأشرك معه فى عبادته.

بعد الآية الكريمة هذه يأتى حديث بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن، داعيًا لتوحيد الله وحاكمًا ينفذ شريعة الله، على ضوء توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام، التي جاء فيها قوله: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب» يشير بذلك إلى اليهود والنصارى الذين يمثلون الأكثرية من سكان اليمن فى ذلك الزمن، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام بهذا يقول لمعاذ كن مستعدا لمواجهة مجادلة قد تحصل بينك، وبين أولئك اليهود والنصارى ومع هذا فقد حدد عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضى الله عنه الاشياء التي يدعوهم إليها بأمورٍ خمسة رتبها واحدًا بعد الآخر فقال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفى رواية إلى أن

يوحدوا اللّه وبهذا وضح الرسول عليه السلام بداية الطريق إلى الدخول فى الإسلام وبين أن أول نقطة يبدأ بها الإنسان ليكون مسلمًا هى الشهادة القاطعة بأن الله واحد لا شريك له فى عبادته وأنه لا معبود بحق فى هذا الوجود غيره وما من نبي جاء قبل محمد عليه السلام إلا وهو يفتتح رسالته بالدعوة إلى الإعتراف بالعبودية المطلقة لله رب العالمين - كما أشار إلى ذلك قول الله جلت قدرته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ومن هنا يتضح أن رسالات الأنبياء كلها تلتقي حول نقطة واحدة هى توجيه البشرية إلى الإعتراف بوحدانية الله، وإخلاص العبادة له وحده قوله: «وفى رواية إلى إن يوحدوا اللّه» يعني إدعهم إلى أن يوحدوا اللّه.

ولأن كل عمل لا يقوم على توحيد الله فهو باطل، وغير مقبول عند الله، قال عليه الصلاة والسلام «فإن هم أطاعوك لذلك - أي فإن استجابوا إلى ما دعوتهم إليه من توحيد الله والكفر بكل معبود غيره ,

فأعلمهم أن الله إفترض عليهم خمس صلوات فى كل يومٍ وليلة وهذا دليل على أهمية الصلاة إذ تأتي فى المرتبة الثانية بعد كلمة التوحيد، فإذا هم إمتثلوا بذلك وأقاموا الصلاة، فأعلمهم أن الله إفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، ولأن الزكاة قرينة الصلاة فقد جاءت فى المرتبة الثالثة، ولذا ورد فى حديث لإبن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله «أُمرت بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك

فلا صلاة له) كما جاء ذكرها أيضًا مقترنا بالصلاة فى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ هذه الزكاة المفروضة تؤخذ من أهل الثراء وتوزع على الفقراء وهذه ميزة لا توجد فى غير الإسلام وفى توجيه الرسول عليه السلام بتوزيع الزكاة على الفقراء دون أن يتعرض لأمل الزكاة الثمانية الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم دليل على أنهم أولى بها من غيرهم، وإدراكًا من الرسول عليه السلام لحب الإنسان لماله، ولو أنه فى الحقيقة مال الله، وخوفًا من أن لا يأخذ معاذ رضى الله عنه للزكاة إلا أفضل المال وأحسنه، فتتأثر نفوس أهل الأموال فيخرجونها وهم كارهون، قال النبي عليه السلام لمعاذ: «فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم» أي إحذر أن تأخذ أجود ما لديهم من الإبل أو الغنم أو غيرها وإنما عليك بالوسط فهو أقرب إلى إخراج الزكاة عن طيب نفس، وحتى لا تكون هناك تفرقة فى معاملة الناس، ولتحقيق العدالة بين جميع أفراد المسلمين حذر: الرسول عليه السلام معاذًا من عاقبة الظلم فقال: «**واتق دعوة المظلوم**» فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، أي إحذر أن تفرق بين الناس فى معاملتك، أو تحابى فى أمر من أمورك أو تأخذ أحدًا بغير حق، فإن هذا ظلم، ودعوة المظلوم لا شىء يحجبها عن الله فكن على حذر منها، وفى الحديث إشارة إلى أن الحاكم إذا ولى أحدًا على أمور المسلمين، ينبغي له أن يوجهه بالتوجيهات التي يرضى عنها الله، محذرًا له من كل ظلم أو حيف أو إنحراف وفى نهاية هذا الباب يأتى حديث سهل

بن سعد رضى الله عنه وفيه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة خيبر، ولأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، وفى هذا

الجزء من الحديث أمران:

الأول: وصف ذلك الرجل الذى سوف يتسلم الراية بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وهذا دليل على شدة إرتباط ذلك الرجل بالله، وعمق إيمانه برسالة محمد نبى الله.

الثاني: إخباره عليه السلام بأن فتح خيبر يكون على يديه وهذا دليل من أدلة نبوته عليه السلام، فقد فتح الله خيبر بقيادة ذلك الرجل المؤمن الصالح.

قوله: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها «أي أن الناس فى تلك الليلة أخذوا يُخمنون مَن يكون ذلك الرجل السعيد الذى سيحوز فضل حمل راية الحق، ولأن الوصف الذى وصف به الرسول عليه السلام ذلك الرجل، وهو حب الله ورسوله ينطبق على أصحاب رسول الله، لأنهم جميعًا يحبون الله ورسوله فقد ظن كل واحد منهم أنه صاحب الراية، وحينما إجتمعوا عند رسول الله عليه السلام فى خشوع المؤمنين، قال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يشتكي عينيه فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق فى عينيه،

ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم إدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لإن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النعم، يعني أن الرسول عليه السلام وهو يبحث بين الحاضرين عن علي رضى الله عنه شعر الصحابة رضى الله عنهم أنه هو صاحب الراية، وجاء علي رضى الله عنه إلى رسول الله أرمد يقوده أحد الصحابة وجلس إلى رسول الله فى أدب المؤمن أمام نبي الله وبقليل من ريق رسول الله فى عيني علي ودعاء له بالشفاء برأ فى الحال، فأعطاه الراية «وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله» وقال له: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم»، أي أذهب برفق ومن غير عجلة - حتى تنزل قريبًا منهم فى أرضهم وهذه سياسة حربية حكيمة يُعلمها القائد لعلى قائد من قواد جيوشه إذ يأمره أن يكون قريبًا من الأعداء ليستطلع أخبارهم ولُيدخل الرعب فى قلوبهم، ليس عن طريق الإندفاع وراء العواطف الملتهبة بدون تعقل، ولا عن طريق إظهار القوة بالصراخ والضجيج دون تحسب للعواقب، وإنما عن طريق التخطيط المحكم وأخذ الأمور بالتعقل والحكمة وبعد النظر.

قوله «ثم إدعهم إلى الإسلام، أي بعد أن تنزل بساحتهم فى ثبات المؤمن الواثق من نصر الله، أطلب منهم الدخول فى الإسلام، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله - فأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه «يعني إذا أسلموا فأخبر هم فى رفق ولين بما أوجب الله عليهم فى

الإسلام - من صلاة، وزكاة، وحج وغير ذلك مما أمر الله به وما نهى عنه من كفر وإنحراف، أو فسوق وعصيان.

قوله: «فوالله لإن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمُر النعم».

يعني لو خرج رجل من الكفر إلى الإسلام بسبب دعوتك، كان ذلك أفضل مما لو تصدقت بما فى الوجود من ناقة حمراء، أو خير لك من إمتلاك ما على الأرض من ناقة حمراء، والحديث يحتمل المعنيين، وهذا دليل أكيد على أن أجر هداية الناس إلى الخير لا يعدله أجر، وأن الإسلام لا يأمر بقتال الاعداء إلا بعد رفضهم لدين الله، وتهديدهم لدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

باب

تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إلٰه إلا الله

وقول الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية (١٧ - الإسراء) وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الذى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ الآية (٢٩، ٢٧ - الزخرف) وقوله ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية (٣١ - التوبة) وقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية (١٠٩ - البقرة). فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من قال لا إلٰه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُمَ ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل».

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب، فيه أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة (منها) آية الاسراء، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا الشرك هو الشرك الأكبر و(منها) آية براءة، بيّن فيها أن أهل الكتاب إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبيّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا ، مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد فى غير المعصية، لإدعائهم إياهم.

و (منها) قول الخليل عليه السلام للكفار ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الذى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

و (منها) آية البقرة فى الكفار الذين قال الله فيهم ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يدخلهم فى الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله.

و(منها) قوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»، وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمة للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع.

◆ **الهدف:**

قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب زيادة الإيضاح لمعنى كلمة التوحيد الذى تقدم الكلام عليه فى الأبواب السابقة، لما فى الآيات

المذكورة فى هذا الباب من زيادة إيضاح، ولحرص الشيخ رحمه الله على صفاء عقيدة المسلم أورد هذا الباب لما فيه من معانٍ جديدة ينبغي للمسلم معرفتها.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وحديث واحد,

فالآية الأولى: مرتبطة بآية قبلها وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي يقول الله لنبيه ورسوله: قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين - أُطلبوا من هؤلاء الذين تزعمون أنهم آلهة إذا نزل بكم مكروه، أن يُزيلوا عنكم الضر، وانظروا هل يقدرون على ذلك إنهم لا يقدرون على دفع الضر أو جلب النفع، وإنما الذى يقدر على ذلك هو الله خالقكم وخالقهم.

وبعد أن بيّن الله لأولئك المشركين عدم قدرة من يزعمون أنهم آلهة، على رفع الضر أو جلب النفع، بيّن أن أولئك المعبودين كانوا يتقربون إلى الله بطاعته، ولم يجعلوا بينهم وبين الله واسطة من المخلوقين فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي أن هؤلاء الذين تدعونهم أيّها المشركون من دون الله، كانت وسيلتهم إلى ربهم إنما هى العمل الصالح الذى يقربهم من الله، وأعظم ما يُقربهم إلى ربهم هو إخلاصهم العبادة له، وعدم إشراكهم معه أحدًا فى عبادته، أيًا كان من المخلوقين، لا كما تفعلون أنتم

من دعائكم غير الله فى جلب الخير أو دفع الشر ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي أن أولئك الذين تعبدونهم بدعائكم لهم فى كشف الضر عنكم، إنما هم من عباد الله الموحدين الذين يتقربون إلى الله بإتباع ما أمر به، ومخالفة ما نهى عنه أملًا فى رضائه ومغفرته، فهم كغيرهم من عباد الله، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورا، فكيف تعبدونهم بدعائكم لهم؟

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ أي أنهم يتقربون إلى الله بالعمل الصالح يرجون رحمته، وبإبتعادهم عن مخالفة أمر الله يخافون عذابه، ثم ذكر السبب فى خوفهم من العذاب، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي أن عذاب الله جدير بأن يخافه كل أحد - الملائكة والانبياء الصالحون، والأولياء، الزعماء والرؤساء، الأغنياء والفقراء.

والآية الثانية: فى هذا الباب هى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الذى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ وتوضيح المعنى فى هذه الآية أن الله جلت قدرته ذكر فى آية سابقة لهذه الآية أن الذى جعل الكفار ينحرفون عن توحيد الله، وإخلاص العبادة له هو تقليدهم لمن سبقهم من الآباء والأجداد وكما فعل المشركون السابقون، فعلت قريش حين رفضت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها تعارض ما عليه أبآؤهم وأجدادهم من عبادة الأصنام والأوثان، ولأن إبراهيم عليه السلام ترك دين آبائهم وأجدادهم وعدل عنه إلى توحيد الله، فإن الله أمر نبيه أن

يُذَّكر لقومه كيف أن إبراهيم تبرأ من أبيه وقومه حين رآهم عاكفين على عبادة الأصنام وقال لهم: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، إلا من عبادة الله الذى خلقني، والذي سيهديني إلى طريق الهدى والخير، والنبي عليه السلام وهو يحكي لقومه قصة إبراهيم عليه السلام يقول لهم بطريقة غير مباشر: وأنا كذلك براءٌ مما تعبدون من دون الله، وقوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي وجعل كلمة التوحيد باقية فى ذريته يقتدي به فيها من هداه الله منهم، لعلهم يرجعون إلى دين الوحدانية الذى كان عليه إبراهيم عليه السلام.

والآية الثالثة: فى هذا الباب، مرتبطة بآية قبلها، هى قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الآية (التوبة - ٣٠) ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ أي أن اليهود زعموا أن عزير ابن الله وهذا كذب يرده قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾.

فالله تعالى قدره لم يكن له ولد ولا والد، وزعم اليهود أن لله ولدًا إسمه

عزير زعم لا مستند له، ولا دليل عليه.

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ أي كما أن اليهود قالوا عزيرٌ ابن الله كذلك قالت النصارى: المسيح ابن الله، أفكار وآراء تخالف العقل، ولا تقوم على برهان قطعي أو ظني، ورأى النصارى هذا يرده قول الله تعالى ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ولفساد هذه الآراء وبُعدها عن العقل والواقع، جاء قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يعني أن ذلك الذى تقوله اليهود فى عزير، وما تقوله النصارى فى المسيح، إنما هو كلام تتفوه به ألسنتهم دون أن يكون له نصيب من الحقيقة ،وبهذا المعنى جاءت الآية الكريمة تقول: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

قوله: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي أن قولهم هذا شبيه بقول من سبقهم من مشركي العرب حينما قالوا: أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم وتقدس، ولهذا قال: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أبعدهم الله ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ثم فصل قوله: (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الأحبار المقصود بهم العلماء والرهبان العباد، يعني أن كلا من اليهود والنصارى إتخذوا رؤساء الدين لديهم أربابًا، فاليهود أعطوا أحبارهم حق التشريع لهم وأطاعوهم فى ذلك، والنصارى أعطوا حق التشريع, لرهبانهم

وأطاعوهم فى ذلك، والمعنى أن الله تعالى سمى الذين يُشرعون للبشر تشريعات، تحل ما حرم الله، أو تحرم ما أحله الله سماهم أربابا، لأن التشريع للعباد من حق رب العالمين، فإذا جاء إنسان بتشريع مخالف لتشريع الله، وأطاعه الناس عن علم بذلك كان ذلك عبادةً له من دون الله، يؤيد هذا ما ورد فى الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي، فقال يا رسول الله لسنا نعبدهم، قال: أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه، قال: بلى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فتلك عبادتهم، ومعنى هذا أن النبي عليه السلام إعتبر طاعة المشرّعِين للناس تشريعًا يخالف تشريع الله عبادة لهؤلاء المشرعين، لأنه شرك أكبر مخالف لمدلول شهادة أن لا إله إلا الله، قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي وما أمر اليهود والنصارى على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، إلا أن يعبدوا الهًا واحدًا هو الله جل جلاله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق سواه ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تعالى وتنزه عن كل شريك فى ألوهيته أو ربوبيته.

الآية الرابعة: فى هذا الباب هى قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، أي ومن الناس من يجعل لله أمثالًا ونظراء يسوون بينهم وبين الله فى المحبة والطاعة والتعظيم، وهذا شرك فى المحبة، والشرك هو أعظم الذنوب على الإطلاق، ولذا جاء فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قلت يا

رسول الله أيُّ الذنب أعظم، قال: «إن تجعل لله ندًا [١] وهو خلقك»، وفى الآية دليلٌ على أن أولئك المشركين كانوا يحبون الله، ولكنهم حينما جعلوا لله أندادًا يرجونهم كما يرجون الله، ويخافون منهم كما يخافون من الله، ويلتجئون إليهم كما يلتجئون إلى الله، صاروا مشركين بالله شركًا أكبر.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي أن المؤمنين الصادقين لا يعدل حبهم لله حب، وأن حبهم لله أشد من حب أهل الأنداد لأندادهم، ولتمكن هذا الحب الإلهي فى قلوبهم، لم يستطع الشرك أن ينفذ إلى عقيدتهم القائمة على العبودية الخالصة لله وحده، ومن مستلزمات هذه المحبة الربانية أن تكون تصرفات المسلم متفقة مع أوامر الله.

وبعد هذه الآيات يختتم المؤلف رحمه الله هذا الباب بالحديث الذى جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله عز وجل» هذا الحديث أورده المؤلف رحمة الله عليه لما فيه من دلالة على أن تلفظ الإنسان بكلمة التوحيد، لا تنفع فى عصمة ماله ودمه ما لم يقترن بها كفره بكل ما يعبد من دون الله، معنى هذا أن الإنسان إذا قال لا إله إلا الله، ولم يعمل بما تدل عليه من الكفر بكل معبود سوى الله وما تستلزمه من اداء فرائض الله كان حلال الدم والمال كما جاء بذلك حديث ابن عمر فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُمرت إن أُقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة، ويؤتوا

الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عَصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

قوله: (وحسابهم على الله) يعني أن الإنسان إذا قال: لا إله إلا الله، ولم يعمل ما يناقضها ظاهرًا: وإلتزم فرائض الإسلام، حرُم ماله ودمه، لأن الحكم على الشيء الظاهر، أما أن يقول الإنسان لا إله إلا الله وهو فى داخل نفسه لا يؤمن بمعناها، فهذا شىء إلى الله لأنه هو المطّلع على خفايا النفوس، وهو الذى سوف يحاسبه يوم القيامة على ذلك.

باب

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى:

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الآية (٣٨ - الزمر).

عن عمران بن حُصين رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا فى يده حلقة من صفر فقال «ما هذه»؟ قال: من الواهنة فقال «إنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدًا» رواه أحمد بسندٍ لا بأس به، وله عن عُقبة بن عامر رضى الله عنه مرفوعًا (من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)، وفى رواية (من تعلق تميمة فقد أشرك)، ولابن أبى حاتم عن حُذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلًا فى يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد الكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر لقوله «**لا تزيدك إلا وهنا**».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من علق شيئًا وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من علق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليلٌ على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي فى الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي لا ترك الله له.

◆ **الهدف:**

قصد شيخ الإسلام رحمه الله من هذا الباب بيان أن تعلق القلب بغير الله فى جلب النفع أو دفع الضر شرك.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب - آية وحديثان:

الآية الكريمة هذه تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

فى آية سابقة لهذه الآية ذكر أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يقدر على دفع المصائب والنكبات عن العباد، وأن كل نفع أو ضر لا يكون إلا بإرادته وأمره وفى هذه الآية يُقيم الدليل على جهل عبدة المخلوقين بإشراكهم مع الله فى العبادة التي هى حق من حقوق الله فقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي أن هؤلاء المشركين لو سئلوا عن خالق هذه السموات والارض لما ترددوا فى الإعتراف بأنه الله سبحانه وتعالى، فإذا كان الأمر كذلك فكيف إستباحوا لأنفسهم عبادة غير الخالق أو أشركوا معه مخلوقًا فى عبادته.

لا شك أن الجهل هو الذى حملهم على ذلك، وإلا فكيف يعترفون بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ثم يعبدون معه غيره، وقد وبخهم الله على ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ؟﴾

أي قولوا لهذه الآلهة التي تدعونها من دون الله لكشف المصائب والمحن عنكم، أو لجلب السعادة أو الخير لكم، هل هى قادرة على شىء من ذلك؟ الحقيقة التي لا ريب فيها أنها عاجزة تمام العجز عن الوقوف أمام شىء يريده الله للإنسان من سعادة أو شقاء، ولأجل هذا فلا ينبغي الإعتماد على مخلوق ضعيف فى جلب السراء أو دفع الضراء، وإنما يجب الإعتماد على الواحد القادر على كل شىء ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي الله كافيني من كل شىء فلا أخاف غيره ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي عليه وحده يعتمد المؤمنون فى كل أمورهم وفى الحديث (من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله عز وجل أوثق منه بما فى يديه، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل) يأتى بعد هذه الآية الكريمة حديث عمران بن حُصين رضى الله عنه وفيه دلالة على أن التفاتة القلب إلى غير الله فى طلب الخير أو دفع المكروه شرك، ولذا حينما رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم حلقة من صفر فى يد ذلك الرجل المذكور فى الحديث، سأله فى إستنكار بقوله: (ما هذه) قال الرجل من الواهنة[1] " يعني أنه لبسها لتمنع عنه ألم الواهنة، فقال النبي عليه السلام: «إنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا» أي إخلعها من يدك فإنها لا تزيدك إلا ألمًا فوق ألم ثم قال: «فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا ، وفى هذا تحذير من الوقوع فى أي نوع من أنواع الشرك، ولو كان أصغر -

(١) الواهنة: عرق يصيب المنكب واليد كلها، وهو مرض يصيب الرجال دون النساء.

لأن الشرك أعظم جُرمًا من الذنوب الكبيرة.

والحديث الثاني فى هذا الباب حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه.

الذى ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**».

هذا الحديث الشريف فيه دعاء من الرسول عليه السلام على كل من علق قلبه بغير الله فى طلب خير أو دفع شر - ودعاء الرسول عليه السلام مستجاب من الله فقال: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له)، والمعنى أن العرب قبل بعثة الرسول عليه السلام، كانوا يعلقون على أولادهم خرزات يسمونها التمائم، إعتقادًا منهم بأن هذه الخرزات تمنع عنهم الاصابة بالعين، وتبعد عنهم الآفات فلما جاء الإسلام أبطل هذا الإعتقاد، ومثل هذا الإعتقاد الجاهلي، ما يفعله اليوم كثير من الناس من تعليق الحجب التي يقوم بعملها جهلة ودجالون فى رقاب أولادهم، ظنًا منهم بأن هذه الحجب تمنع عن أولادهم العين، نفس ما كان يعتقده الناس فى الجاهلية ولأن هذا الإعتقاد يؤدي بالإنسان إلى نوع من أنواع الشرك، دعا الرسول عليه السلام على كل من فعل هذا بقوله: «**فلا أتم الله له**» أى لا أتم الله له الشفاء، ولا رفع عنه البلاء ومثل هذا قوله عليه السلام: (و من تعلق ودعة[1] فلا ودع الله له)، أي لا تركه الله فى راحة وهدوء، وفى نهاية هذا الباب يذكر المصنف رحمه

(١) الودع: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف.

الله رواية ابن أبى حاتم أن حُذيفة رضى الله عنه - رأى رجلًا فى يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ وفى رواية أخرى أن حذيفة دخل على مريض فرأى فى عضده سيرًا فقطعه ثم تلا الآية الكريمة السابقة وفى فعل حذيفة هذا، وإنكاره وتلاوته للآية الكريمة دليلٌ على أن الصحابة رضى الله عنهم يستدلون بما أنزل الله فى الشرك الأكبر على الشرك الأصغر لدخوله فى مسمى الشرك.

باب

ما جاء فى الرقي والتمائم

فى الصحيح عن أبى بشير الأنصارى رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فأرسل رسولًا أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقي والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود وعن عبد الله ابن عكيم مرفوعا «**من تعلق شيئًا وكل إليه**» رواه أحمد والترمذي.

التمائم: شيء يُعلق على الأولاد لدفع العين، لكن إذا كان المُعَلّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه منهم ابن مسعود رضى الله عنه، والرقى: هى التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه سلم «يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترًا ، أو إستنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريءٌ منه وعن سعيد بن جبير

قال (من قطع نميمة من إنسان كان كعدل رقبه)

رواه وكيع وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن،

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقي والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحكمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد إختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا .

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من علق وترًا .

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الإختلاف لأن مراده و أصحاب عبد الله بن مسعود.

◆ **الهدف:**

قصد الداعية إلى التوحيد رحمه الله من هذا الباب، بيان ما له صلة بالشرك من الرقى وما ليس كذلك وحكم التمائم.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب أربعة أحاديث.

الأول: حديث أبي بشير الانصارى، وبيانه أن النبي عليه السلام

أرسل زيد بن حارثة رضى الله عنه، ليزيل كل القلائد التي يجدها على الإبل وغيرها من الدواب، وقصة القلائد هذه أن الناس فى عصر الجاهلية، ولعدم وجود عقيدة تجعلهم يؤمنون بأن الأمر كله لله والنفع والضر جميعه بيد الله، كانوا إذا بدأ تقادم العهد على وتر القوس، ولم يعد صالحا للعمل قطعوه، وقلدوا به أعناق الأبل والخيل وغيرهما من الدواب إعتقادًا منهم بأن هذا العمل يدفع العين عن دوابهم، ولما كان تعليق الأوتار والتمائم والقلائد لا يرد قضاء الله ولأن هذا العمل يجعل القلب يميل إلى غير الله، أمر النبي عليه السلام زيدًا ، أن لا يترك قلادة إلا قطعها، وشبيه بهذا ما يفعله بعض الجهال اليوم من وضع حذاء قديم على واجهة عمارة أو متجر أو غير ذلك خوفا من الإصابه بالعين، كل هذه ونظائرها نهى عنها الإسلام وحذّر منها، لما لها من تأثير على عقيدة المسلم القائمة على الإيمان بأن النفع والضر بيد الله وحده.

الثاني: حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه أمور ثلاثة:

(١) الرقى[1] وتنقسم إلى قسمين رقى مباحة، ورقى محرمة.

فالرقى المباحة هى التي تكون بكلام الله، وأسمائه، وصفاته، والمأثور من الأدعية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عن الرسول عليه السلام أنه رَقى ورُقى، وقال فى حديث «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا**» ومن الأدعية المأثورة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، قوله «**إذهب البأس رب الناس، وإشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفًا ء لا يغادر سقما**»، وبقدر ما يكون قرب المؤمن من الله، بقدر ما تكون استجابة دعائه منه عاجلة وسريعة فى شفاء المريض، أما الرقي غير المباحة فهي التي يُستعان فيها بغير الله، كما يفعل ذلك أصحاب الدجل الذين يكتبون لبعض المرضى الجهلة طلاسم وحروفا مقطعة، وأدعية شركية، وأسماء جن أو شياطين وما إلى ذلك من الوسائل المخالفة لشرع الله ودينه.

(٢) التمائم[2] - وتنقسم إلى نوعين نوع محرم وهو الذى يعلق على الأولاد والدواب وغيرها من خرز وغيره، إعتقادًا بأن هذا يدفع الإصابة بالعين وهو إعتقاد يؤدي بالانسان إلى نوع من أنواع الشرك، حينما يعتقد

---

(١)الرقي: هي التي تسمى العزائم.

(٢)التمائم: شيء يعلق على الأولاد خوفا من الاصابة بالعين، وتعمل التمائم عادة من خرز وغيره.

أن هناك من يستطيع جلب الخير أو دفع الشر دون إرادة الله، ونوع مختلف فى جوازه، وهو تعليق التمائم إذا كانت من القرآن الكريم وأسماء الله وصفاته، فمن علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رخّص فى تعليق التمائم، إذا كانت من القرآن أو أسماء الله وصفاته، حاملين حديث ابن مسعود هذا على التمائم التي فيها شرك، ومنهم من لم يرخص فى ذلك، إستدلالًا بعموم النبي الوارد فى الحديث، ولهذا قال إبراهيم النخعي، كان أصحاب عبد الله بن مسعود يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن، وفى فضل قطع التمائم جاء قول سعيد بن جبير: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة.

(٣) التوله - هى نوع من أنواع السحر يعمله كثير من الجهال لتوثيق عُرى المحبة بين كل من الزوجين، ولما فيه من التفات القلب إلى غير الله فى دفع المضار أو جلب المنافع صار شركًا .

الثالث: حديث ابن عكيم، وفيه إخبار من الرسول عليه الصلاة والسلام، بأن من إرتبط قلبه بالله صادقًا ، والتجأ إليه مخلصًا سهل الله له أمره وحفظه مما يكره، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن علق قلبه بغير الله أو طلب من مخلوق شيئًا دون الله خذله الله جزاء لعمله، وبهذا المعنى يقول عطاء الخراساني (لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت حدثني حديثا أحفظه عنك فى مقامى هذا وأوجز قال: نعم أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: يا داود أما وعزتى وعظمتي لا يعتصم بى عبدٌ من عبادى

دون خلقي، أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجا، وعزتى وعظمتي لا يعتصم عبدٌ من عبادى بمخلوق دونى، أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالى بأي أوديتها هلك).

الرابع: من أحاديث الباب حديث رويفع وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر رويفعًا أن يخبر الناس بتبرؤ الرسول عليه السلام، ممن فعل أحد أمور ثلاثة:

(١)- تبرؤه ممن عقد لحيته على طريقة الأعاجم الذين يفتلونها ويعقدونها تكبرًا وتعاظمًا ، أو على طريقة المتشبهين بالنساء الذين يعالجون لحاهم لتتعقد كما تفعل النساء فى لف شعورهن.

(٢) ممن تقلد وترًا أي تميمة لما فى ذلك من الاتجاه إلى غير الله.

(٣) من إستنجى برجيع دابة أو عظم، وقد ورد فى سبب المنع من الاستنجاء بالروث أو العظم، حديث لابن مسعود رضى الله عنه أورده مسلم فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن**».

باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ الآيات (١٩، ٢٠ - النجم).

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذى طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم

السابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله الله أكبر إنها السنن، لتتبعُن سُنن من كان قبلكم فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل لما قالوا، لموسى إجعل لنا إلهًا .

التاسعة: أن نفى هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قوله ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهى عن التشبه بأهل الجاهليه.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله (إنها السنن).

الثامنة عشرة: أن هذا من أعلام النبوة لكونه وتع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر: أما «من ربك» فواضح، وأما من نبيك فمن أخباره بأنبياء الغيب، وأما «ما دينك، فمن قولهم ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ إلى آخره».

الحادية والعشرون: أن سُنة أهل الكتاب مذمومة كسُنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذى إعتاده قلبه لا يؤمِّن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقولهم «ونحن حدثاء عهد بكفر».

◆ الهدف:

قصد الداعية الكبير رحمه الله من هذا الباب أن طلب البركة من الجمادات من أشجار أو أحجار ودعائها، والإعتماد عليها، والإستعانة بها شرك.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية وحديث واحد، فالآية الكريمة تأتي بعد أيات قبلها تثبت أن محمدًا عليه الصلاة والسلام نبي من عند الله سائر على طريق الهدى، لا ينطق عن الهوى، ولا يقول للبشر إلا ما أمره الله بتبليغه

لهم، وأنه عرج به إلى السماء، ورأى فيها من عجائب الله وآياته ما يجعل الإنسان يركع أمام هذه العظمة الجبارة، التي ترمز إلى عظمة الخالق جل جلاله، وبعد أن بين الرسول عليه السلام ما شاهده فى ليلة المعراج من أشياء تجعل العقل البشري يُسلم بأن هذا الخالق العظيم هو الذى يستحق العبادة دون غيره، جاءت هذه الآية، فيها تقريع وتوبيخ لأولئك الذين يدعون غير الله تقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ أي، أفبعد ما سمعتم أيها المشركون ما أخبركم به محمد من آيات الله الكبرى، تجعلون هذه الأصنام الحقيرة الضعيفة، اللات والعزى ومناة، شركاء مع الله، وهذه الأصنام كان العرب قبل بعثة الرسول عليه السلام يعبدونها - فاللات عبارة عن صخرة بيضاء بالطائف، كانت ثقيف ومن تبعها من القبائل يعظمونها ويفتخرون ها، وقال ابن عباس رضى الله عنه «كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره» وكان هذا الرجل كما ذكر ابن عباس رضى الله عنه يبيع السويق والسمن عند صخرة، ويسلئون عليها فلما مات عبدت ثقيف تلك الصخرة تعظيمًا لصاحب السويق، والظاهر أنه لا تناقض بين القولين فى معنى اللات.

فثقيف عبدت القبر والصخرة معًا ، وكانت قريش قد أقامت بناء على هذه الصخرة إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمه، والعزى عبارة عن شجرة بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش تُعظمها، وما زالت حتى بعث الرسول عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد

فقطعها.

أما مناة فهى عبارة عن صخرة بالمشلل، عند قديد بين مكة والمدينة وكانت هذيل وخزاعة يعظمونها، وما زالت حتى بعث رسول الله عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه فهدمها عام الفتح.

بعد هذه الآية الكريمة يأتى حديث أبى واقد الليثي رضى الله عنه وفيه يخبر أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح وكانوا قربى عهد بالكفر، وبين حُنين والطائف، وبتأثير من بقية من تلك العادات التي كانوا يفعلونها فى الجاهلية وتأثرًا بما رأوه من عكوف المشركين حول سدرة يعظمونها، ويعلقون عليها أسلحتهم طلبًا للبركة، قالوا يا رسول الله إجعل لنا ذاتُ أنواط) أي خصِص لنا شجرة نقيم عندها ونُعظمها ونعلق عليها أسلحتنا للبركة، مثل ما يفعل أولئك الناس بتلك السدرة، ظنًا منهم لقرب دخولهم فى الإسلام - أن هذا الأمر محبوب عند الله مقرب منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، فى تعجب وإستغراب: «الله أكبر، أي أنزه الله وأجله عن جعل شريك له فى أى أمر لا يصلح إلا له، وكان النبى عليه الصلاة والسلام إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله يستعمل التكبير والتسبيح ثم قال: (إنها السنن) أي الطرق ثم حلف الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدوق أن مطلبهم هذا شبيه بمطلب بني إسرائيل لموسى عليه السلام، حين قالوا له ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ بجامع أن كلا من المطلبين، مناف لتوحيد الله، فبنوا اسرائيل طلبوا من موسى عليه السلام

أن يجعل لهم إلها يعبدونه من دون الله، وهؤلاء طلبوا من الرسول عليه السلام أن يجعل لهم شجرة يعظمونها، ويعكفون عندها، ويتبركون بها وكل هذا شرك بالله يدفع إليه الجهل بما يجب لله من حقوق على عباده، ولذا قال ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ثم أنهى الحديث عليه السلام بقوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم، أي لتسيرن على منهج من كان قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم، ولقد وقع ما أخبر به عليه السلام إذ سار كثير من المسلمين على طريقة اليهود والنصارى فى إشراكهم المخلوقين مع الله وإستهتارهم بأوامر شريعته، وإستحلالهم ما حرمه عليهم، وغير ذلك مما تأثر به كثير من المسلمين، من عادات وأخلاق اليهود والنصارى، التي لا تتفق مع تعاليم شريعة الإسلام وبهذا المعنى جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى قال: فمن؟» يعني من يكون غيرهم.

والخلاصة من هذا الباب أن من تبرك بإنسان أو جماد أو حيوان طالبًا منه معظّمًا له معتقدًا فيه جلب النفع أو دفع المكروه كان عمله هذا شركًا يستحق عليه عقاب المشركين بالله، ومثل هذا ما يفعله كثيرٌ من المسلمين من التبرك بقبور الأولياء والصالحين وغير ذلك مما يتنافى مع عقيدة التوحيد.

باب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الاية (١٦٢، ١٦٣ - الأنعام) وقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ الاية (٢ - الكوثر) عن علي رضى الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا ، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم ,

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يُقرب له شيئا فقالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندي شيء أُقرب قالوا له قرب ولو ذبابًا فقرب ذبابًا فخلوا سبيله، فدخل النار وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه، فدخل الجنة» رواه أحمد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

الثالثة: البداءة بلعن من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثًا وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله فيلتجى إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض وهى المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذى دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافرا لم يقل دخل النار فى ذباب.

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح «الجنة أقرب إلى أحدكم

من شراك نعله والنار مثل ذلك».

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

◆ **الهدف:**

قصد مؤلف الكتاب رحمه الله بيان أن من تقرب إلى غير الله بأى نوع من أنواع العبادة مالية كانت أو بدنية ظاهرة أو باطنة فقد أشرك مع الله فى عبادته.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديثان:

فالآية الأولى من هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيها أمر من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، أن يخبر أولئك المنحرفين عن توحيد الله، إلى عبادة الأصنام، يدعونها ويذبحون لها، بأن صلاته، وذبحه وكل أعماله التي يعملها «لله رب العالمين» (بهذه العقيدة يحي وعلى هذا المنهج يموت ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أي لا شريك له فى عبادته ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ يعني وبتوحيد الله وإخلاص العبادة له أمرني ربى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أى وأنا أول الطائعين المنقادين إلى امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه.

أما الآية الثانية فهى قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وفى الآية الأمر من الله لنبيه بأن تكون صلاته ونحره الله وحده، ولأن الصلاة هى أعظم العبادات البدنية، فقد رمز بها إلى أن تكون جميع العبادات البدنية خالصة لله، كما أن النحر هو أعظم العبادات المالية فقد رمز به إلى أن تكون جميع العبادات المالية خالصة لله دون غيره.

ويأتى بعد هاتين الآيتين: حديث علي بن أبى طالب رضى الله عنه، وفيه دعاء من الرسول عليه السلام بالطرد والإبعاد عن رحمة الله لمن أقدم على أمر من أمور أربعة فقال:

(١) (لعن الله من ذبح لغير الله) أي أبعد الله من رحمته من تقرب بذبح أى شىء لغير الله - يشمل ذلك ما يذبحه عبدة الأصنام لآلهتهم تقربًا إليها وما يذكر عند ذبحه إسم نبي أو ولى أو صالح، ومثله ما يذبح للجن من أجل شفاء مريض أو على عتبات بعض البيوت خوفًا من دخول العفاريت، أو ما يُذبح بإسم الزار أو غيره مما يفعله الجُهال بشريعة الله من أمور تُخرج الإنسان من عبادة الله إلى عبودية المخلوقين، وهذا شرك يورث صاحبه أسوأ العواقب، ولا بد هنا من التنبيه إلى أن كل ما أُهلَّ به لغير الله يحرم أكله.

(٢) (لعن الله من لعن والديه) أي من كان سببا فى سب والديه وقد سُئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن كيفية سب الرجل والديه، فأجاب و(يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) ورد ذلك عنه فى

حديث صحيح جاء فيه (من الكبائر شتم الرجل والديه).

(٣) (لعن الله من آوى محدثًا [1]) أى منع أخذ الحق الذى يجب عليه للآخرين، وبقدر ما يكون حجم الحق العام أو الخاص كبيرًا ، بقدر ما يكون إثم المجير أعظم.

(٤) (لعن الله من غير منار الأرض) أى أحدث تغييرًا بتقديم أو تأخير فى العلامات التي توضح الحدود بين الناس فى أملاكهم، وذلك ولما يترتب على هذا التغيير من أمور أهمها سفك الدماء التي حرم الله أن تسفك بغير حق تحدده شريعة الله، وفى نهاية الباب يرد حديث طارق بن شهاب وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابة رضوان الله عليهم أن رجلًا دخل الجنة بسبب ذباب، وأن رجلًا آخر دخل النار بسبب ذباب، لكن الصحابة وهم الذين لا يراودهم شك فى صدق الرسول عليه الصلاة والسلام فى كل ما يقول تعجبوا كيف أن حشرة حقيرة مستقذرة تكون سببًا فى دخول الجنة أو النار، لكن الرسول عليه السلام سرعان ما أزال عن أذهانهم ذلك التعجب، إذ أجابهم على سؤلهم بقوله «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يُقرب له شيئًا » أي لا يمر بهذا الصنم أحد ولا يتعداه حتى يقرب إليه شيئًا مهما كان تافهًا ، وعند مرور هذين الرجلين على

(١)محدثا: المحدث هو الشخص الذي يقوم بعمل يلزمه بسببه حقالله فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك

هذا الصنم: قال أصحابه لأحد الرجلين، قدم قربانا للصنم فقال: «ليس عندي شيء أقرب أي ليس لدي ما أقربه: «قالوا له قرب ولو ذبابًا ، ولأن الذباب شيء حقير فى نظره، ولإعتقاده أن شيئًا كهذا لا يوقعه فى الشرك «فقرب ذبابًا فخلوا سبيله، فدخل النار» وفى هذا دلالة على أن التفات القلب لغير الله، هو الذى يوقع فى متاهات الشرك بالله، وأن عبدة الأوثان يُدركون أن أهم شيء للإنحراف بالإنسان عن توحيد الله، هو إتجاه القلب إلى غير الله «وإلا لما طلبوا من ذلك الرجل أن يقرب لصنمهم ولو ذبابًا ، مع إدراكهم لتفاهته وحقارته؟

وقالو للآخر قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» أي ليس من الحق ولا من العدل أن التفت بقلبى عن الله الذى لا يستحق العبادة غيره إلى مخلوق ضعيف مثلي، فضربوا عنقه فدخل الجنة، وفى هذا دلالة على ما يلقاه أهل التوحيد من نعيم خالد عند الله، وأي نعيم أفضل من نعيم الجنة.

باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية (١٠٨ - التوبة) عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد»؟ قالوا لا، قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم» أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه ابو داود، واسناده على شرطهما .

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير قوله ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر فى الأرض وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا إحتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زوالها.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر فى معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لإبن آدم فيما لا يملك.

◆ الهدف:

قصد مؤلف الكتاب رحمة الله عليه من هذا الباب، بيان عدم جواز الذبح لله فى المكان الذى يُذبح فيه لغير الله منعًا لأي وسيلة قد تكون سببًا فى النهاية إلى الوقوع فى الشرك.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية وحديث:

فالآية الكريمة مرتبطة بآية قبلها هى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فى نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الذى بَنَوْا رِيبَةً فى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

الآيات (١٠٧ - ١١٠ - التوبة)

هذه الآيات من كتاب الله، قيل فى سبب نزولها، أن رجلًا من الخزرج يُقال له أبو عامر الراهب كان قد تنصّر، وكان يُقيم بالمدينة إلى أن قدِم الرسول عليه الصلاة والسلام إليها مهاجرًا ، فخرج هاربًا إلى مكة وألب المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاول إستمالة الأنصار إلى الوقوف معه ضد الرسول عليه السلام، ولما لم يجد تجاوبة منهم وبعد وقعة أُحد، فر إلى هِرقل ملك الروم يطلب مساعدته فى حرب الرسول عليه السلام فوعده هرقل بذلك، فكتب أبو عامر بذلك إلى جماعة من المنافقين يخبرهم أنه سيقدم جيش لقتال محمد وأمرهم أن يبنوا مكانًا يقيم فيه إذا قدم عليهم، فبنوا مسجدًا بجانب مسجد قباء وبعد الفراغ من بنائه، وقبل خروج النبي عليه السلام إلى غزوة تبوك، سألوه أن يصلي فى المسجد، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة فى الليالى الباردة والمَطيرة، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: أنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله، ولما قفل عليه السلام إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا مسافة قصيرة، نزل جبريل عليه السلام يخبر بأن الغرض من هذا المسجد إنما هو محاولة التفريق بين جماعة المؤمنين، فبعث الرسول عليه السلام من يهدمه قبل وصوله إلى المدينة فهدم، هذا هو سبب نزول هذه الآيات من كتاب الله والمعنى الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أن هذا المسجد لم يُبن من أجل العبادة، وإنما كان الهدف منه مضارة المؤمنين الذين يصلون فى مسجد قباء الذى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه مهاجرًا من مكة إلى المدينة وإتخاذه مكانًا للطعن فيما جاء به من دين الله، والتفريق بين جماعة المؤمنين الذين يجتمعون للصلاة فى مسجد واحد، وجعله ملجأ لمحاربة الله ورسوله.

قوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

أى والله يعلم كذبهم فى أنهم ما بنوه من أجل الرحمة بالضعفاء، وإنما بنوه من أجل الإفساد فى الأرض.

ولذا قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أى لا تصل فيه أبدًا ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أي أن مسجدًا أسس من أول يوم على التقوى، أولى من غيره بالقيام فيه مصليًا ، والمراد بالمسجد مسجد قباء، وقيل مسجد الرسول عليه السلام بالمدينة، ولا تعارض بين القولين فقد أُسس كلًا من المسجدين على التقوى من أول يوم شرع فى بنائه.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ أي يحبون أن يتطهروا الطهارة الحسية، طهارة الثوب والبدن، والطهارة بالوضوء، والطهارة المعنوية صفاء القلب ونقاء النفس والطهارة من الذنوب ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أى والله

يحب المتطهرين من كل ما يخالف ما أمر به عباده من إتباع أوامره واجتناب نواهيه.

و المناسبة التي جعلت المؤلف رحمه الله يذكر هذه الآية فى هذا الباب هى أن الأمكنة التي تعد لعمل أشياء فيها معصية الله، لا يصح عمل عبادة فيها لله، فكما أن مسجد الضرار أقيم لمحاربة الله ورسوله، ونهى الله نبيه عن الصلاة فيه، وهدم ثم ترك مكانًا لرمي النفايات، كذلك الأمكنة التي يُذبح فيها لغير الله، لا يصح أن يُعمل فيها شيئا لله، وفى الآية الكريمة إثبات المحبة لله، وأنه يحب من عباده المؤمنين به الطائعين له، يأتى بعد هذه الآيات من كتاب الله حديث ثابت بن الضحاك، وفيه يحكي قصة ذلك الرجل الذى نذر أن ولد له ولد ذكر أن ينحر(على رأس بوانة[1]) عدة من الغنم، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن جواز ذلك، وقبل أن يجيبه عليه السلام على سؤاله، سأل قائلا: وهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد» قالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم» قالوا: لا, فقال عليه السلام: «أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك بن آدم» وفى هذا دلالة على أن الأمكنة والأزمنة التي يعتاد المشركون الذبح فيها لغير الله، لا يجوز الذبح فيها لله، ولو بعد إزالة الوثن من مكانه، فلو نذر إنسان أن يذبح لله فى مكان أو زمان إعتاد المشركون أن يذبحوا فيه لغير الله فإن هذا النذر لا يجوز الوفاء به لأنه نذر معصية - سدًا الذريعة الشرك،

---

(١)بوانة: قيل أنه مكان فى أسفل مكة دون يلملم، وقيل هضبة من وراء ينبع.

وبُعدًا عن مشابهة المشركين.

كما أن فى الحديث دلالة على أن من نذر شيئًا لا يملكه لا يلزمه الوفاء به لعدم قدرته على الوفاء بما إلتزم به، مثال ذلك لو قال إنسان الله علي أن أتصدق بمال فلان - فإن هذا النذر لا يلزم الوفاء به.

باب

من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الآية (٧ - الإنسان) قوله ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ الآية (٢٧٠ البقرة): وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه».

◆ فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

◆ الهدف:

قصد الشيخ قدس الله روحه من هذا الباب بيان أن النذر لله عبادة يجب الوفاء به وأن صرف هذه العبادة لغير الله شرك.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديث:

فالآية الأولى: بعد أن بين الله فى آية سابقة لها ما أعده الله لعباده

الطائعين من نعيمٍ خالد فى غرف الجنات، ذكر ما لأجله إستحقوا هذا النعيم العظيم فقال ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي يؤدون ما أوجبوه على أنفسهم من نذر لله تقربًا إليه.

﴿ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾ أى ويخافون يوم الحساب فيتبعوا أوامر الله، ويجتنبوا ما نهى عنه.

والآية الثانية: فيها الإخبار بأن كل بذل أو عطاء يعلمه الله سجازى عليه إن خيرًا أو غيره، فقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ فى خير كان أو فى شر، سرًا كانت أو علانية ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ يعني نذر طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أى فإن الله يعلم ذلك.

وسيجازى المخلصين على أعمالهم بالثواب العظيم، ويحاسب العصاة والمرائين على أفعالهم.

بعد هاتين الآيتين يأتى حديث عائشة[1] رضى الله عنها وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» أى فينفِّذ ما نذره من طاعة الله، مثال ذلك لو قال إنسان إن شفي الله أبى من المرض لأتصدقن بكذا من المال، وجب عليه ذلك إذا حصل الشفاء لوالده، قوله:

---

(١) عائشة رضي الله عنها هي أم المؤمنين، ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أصغر زوجات الرسول عليه السلام، وأفقه النساء مطلقا، وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ألا خديجة ففي ذلك خلاف..

«**و من نذر إن يعصى الله فلا يعصه**» أى فلا يفعل، ولذا أخرج النسائى عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**النذر نذران فما كان من نذر طاعة الله فذاك لله تعالى، وفيه الوفاء، وما كان من نذر فى معصية الله فذاك للشيطان، ولا وفاء فيه، ويكفره ما يكفر اليمين**».

والخلاصة من هذا الباب أن كل نذر لغير الله، كالنذر للأصنام والأوثان وقبور الأولياء والصالحين شرك حذر الله منه ونهى عنه، لما فيه من إلتفات القلب إلى غير الله، وإلتفات القلب إلى غير الله تعظيمًا وإجلالًا يتنافى مع عقيدة التوحيد.

باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الآية (٦ - الجن) وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الإستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء إستدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع إختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء تحصل به مصلحه دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب، التنبيه على أن الإستعاذة بالله عبادة، وصرفها لغيره شرك.

◆ الشرح:

وردت تحت هذا الباب آية وحديث.

فالآية الشريفة، جاء فيها قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن - ٦) وقصة الإنس مع الجن هذه تتلخص فى أنه كان من عادة العرب فى الجاهلية إذا نزلوا واديًا مخيفًا، أو مكانًا مُوحِشًا، يعوذون بزعيم ذلك المكان من أذى الجان، إذ كان يقول أحدهم إذا خاف على نفسه بواد قفر: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه، فلما رأت الجن من الإنس هذا الخوف ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي خوفًا وإثمًا، وإيراد هذه الآية فى هذا الباب للإستدلال بها على أن الإستعاذة بالله عبادة من العبادات كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وما كان عبادة لله كان صرفه لغير الله شركة، ومن هنا صار الإلتجاء إلى غير الله والاستعاذة به من المصائب والنكبات، سواء كان المستعاذ به من الجن أو الإنس شركًا مع الله فى عبادته.

وبعد هذه الآية الكريمة يأتى حديث خولة بنت حكيم[1] رضى الله عنها وفيه توجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعاء يقوله المسلم إذا نزل منزلا يحفظه الله به من كل سوء حتى يرحل من ذلك المنزل، فيقول عليه السلام: «من نزل منزلًا فقال أعوذ بكلمات الله التامة» أى أستعيذ بالله وبأسمائه وصفاته والتجىء إليه وأعتصم به ﴿من شر ما خلق﴾ - أى من شر أى مخلوق من الإنس أو الجن أو الحيوان، أو الهوام أو غير ذلك مما به شر فإذا قال هذا الدعاء لم يضره شىء حتى يرحل من منزله ذلك.

(١)خوله: هي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام.

باب

من الشرك إن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الاية (١٠٩، ١٠٧ - يونس) وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الاية (١٧- العنكبوت) وقوله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الايتين (٥، ٦ - الأحقاف) وقوله ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الاية (٩٢ - النمل)

وروى الطبرانى بإسناده أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبى صلى الله عليه وسلم «إنه لا يُستغاث بى، وإنما يُستغاث بالله».

- **فيه مسائل:**

الأولى: أن عطف الدعاء على الإستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرًا .

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه.

الثانية عشرة: إن تلك الدعوة سبب لبعض المدعو للداعى وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب

المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه فى الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله.

◆ **الهدف:**

و قصد المؤلف رحمة الله عليه من هذا الباب بيان أن دعاء الله والإستغاثة(1) به من أعظم العبادات، والتوجه بهذه العبادة إلى غيره شرك.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وحديث واحد.

والمعنى الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ (يونس - ١٠٦) أى لا تدع دعاء عبادة، ما لا يستطيع النفع أو الضر فى الدنيا ولا فى الآخرة، والخطاب هنا موجه للرسول عليه السلام ولكنه عام لكل الناس، ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أى فإن فعلت هذا بأن دعوت غيره كنت من الظالمين، والمراد بالظلم هنا الشرك كما حكى الله ذلك عن قول لقمان لإبنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ثم أكد الله سبحانه وتعالى عجز تلك المعبودات، وتكذيب ما

---

(١)خوله الإستغاثة: طلب الغوث، والفرق بين الإستغاثة والدعاء، إن الإستغاثة لا تكون ألا عند حدوث مكروه، إما الدعاء فليس له وقت محدد، وعلى هذا فكل إستغاثة دعاء، وليس كل دعاء إستغاثة.

يُقال من أنها تقدر على شفاء الأمراض، أو تكشف الأسقام فقال تعالى ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي وإن يرد الله بك ضرًا - مرضًا فى نفسك أو مصيبة فى ولدك، أو كارثة فى مالك، أو غير ذلك من المصائب التي تنال الإنسان فى هذه الحياة، فلا كاشف له إلا هو، لأنه وحده صاحب الملك والقهر والعطاء والمنع، والضر والنفع «وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به يشاء من عباده».

أي وإن يردك بنعمة وسعادة، وخير وتوفيق، فلا أحد يقدر على منعه، وليس فى إستطاعة مخلوق أن يحول بينك وبين ما أراده، وبأمره وتدبيره يصيب بالخير من يشاء من عباده - الحكمة يعلمها هو ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي غفور لمن تاب إليه بعد شركه، ورحيم يفرح بتوبة عبده إذا أقبل عليه مؤمنًا تائبًا .

والآية الثانية: فى هذا الباب مرتبطة بآية قبلها هى قوله تعالى ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت - ١٩، ١٧).

والمعنى لقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي إعبدوا الله ولا تشركوا معه أحدًا فى عبادته، وإتقوا غضبه فى إتباع ما

أمركم به وبعد كم عما نهى عنه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي ذلك الذى أمرتكم به من عبادة الله وحده، خير لكم مما أنتم عليه، إن كان لديكم علم تميزون به بين ما ينفعكم وما يضركم.

ثم بين فساد ما هم عليه من شرك وغيره فقال: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي إنما تلك المخلوقات التي تعبدونها من دون الله، إنما هى تماثيل تصنعونها بأيديكم، ثم تسمونها آلهة كذبًا وبُهتانًا ، وهي فى الحقيقة جمادات لا تشفع ولا تنفع، وحتي يتأكد هذا المعنى - جاءت هذه الآية تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يعني أن هذه الأوثان التي تعبدونها على إختلاف أشكالها، وأنواعها لا تستطيع أن تأتي لكم بشيء يدفع عنكم الفقر أو المرض، أو يجلب لكم الرخاء والصحة، ، فإذا كان هذا هو واقعها فكيف تعبدونها؟ وإنطلاقا من هذه الحقيقة حقيقة عجز تلك الأصنام عن أن تنفع بشيء لأنها لا تملك شيئًا ، وإنما الذى يملك الرزق وغيره هو الله القادر على كل شىء - جاء قول الله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أى فاطلبوا الرزق من الله لا من غيره، وإبتغاء الرزق من عند الله عبادة أمر الله بها، وإعبدوه، أخلصوا له العبادة واشكروا له نعمه التي أنعم بها عليكم وراقبوه فى جميع أعمالكم، فإنكم راجعون إليه يوم القيامة وسيجازى كل عامل بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

أما الآية الثالثة: فهي مرتبطة بآية قبلها هى قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه عليه السلام أن يقول لأولئك المشركين: أخبرونى عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل خلقت شيئًا من هذه الأرض التي تعيش عليها هذه الكائنات الهائلة من البشر وغيرهم، وهل لهم أى مشاركة فى خلق السموات وما فيهن مما يُعلم وما لا يُعلم، إن كان كذلك ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إذا كنتم تعتقدون أن لهم دخلًا فى خلق السموات والارض، فأتوا بأى برهان عقلي أو نقلي على ذلك، إن كنتم صادقين فى قولكم، وإلا فعودوا إلى عقولكم، ولا تعبدوا إلا من يستحق العبادة وليس أحد غير الله الواحد الأحد الذى لا شريك له فى مُلكه.

وفى توبيخ لهؤلاء المشركين لعبادة من لا يعقل ولا يقدر جاء قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ - أى لا أحد أكثر ضلالًا ممّن يدعو غير الله من أحجار صماء لا تسمع ولا تستجيب للدعاء، وبعد أن أوضحت الآية عجز تلك الآلهة عن أى نفع لأتباعها فى الدنيا، جاءت الآية بعدها

لتوضيح حالتهم معها فى الآخرة ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أى وإذا جمع الناس فى موقف الحساب يوم القيامة، تبرأت تلك الآلهة من أتباعها قائلة: ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بعبادتهم أى انّا تبرأنا إليك ربنا من عبادتهم.

وتأتي الآية الرابعة والأخيرة فى هذا الباب فى إرتباط وثيق بآيتين قبلها وآيتين بعدها لذا كان لا بد من ذكر هذه الآيات - ليظهر وجه الاستدلال واضحًا من الآية الكريمة، وتبدأ الآيات من كتاب الله بقوله تعالى:

﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ **الآيات (٦٠ - ٦٤ النمل)**

المعنى فى قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾

أى أيما أحق بالعبادة المخلوقات الهزيلة العاجزة عن النفع والضر، أم الله الذى خلق السموات والأرض بما فيها من كواكب وأفلاك، وجبال وأنهار، وأنزل من السماء مطرًا أنبت به الحدائق والبساتين التي تُدخل البهجة على كل نفس بمنظرها الرائع، وأزهارها ذات الأشكال المختلفة والأنواع المتعددة التي تُعطي الدليل القاطع على قدرة الخالق العظيم جل جلاله، والبرهان الذى لا يقبل الشك على عجز البشر عن خلق أى شىء حتى ورقة من شجرة، ولذا قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أى لولا إرادة الله وإنزاله المطر ليكون سببًا فى إنبات الأرض بالأشجار والزرع ما قدرتهم على شىء من هذا ومع هذا العجز الواضح، تجعلون المخلوق شريكًا للخالق فى عبادته، ولذا جاء قوله تعالى: ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ أى أبعد ما أعترفتم به وقام الدليل عليه من أن الله خالق السموات والأرض ومن فيهن، وما بينهما تجعلون معه آلهة تعبدونها وهي لا تملك شيئًا ، ولا تنفع بشيء، وحتي يظهر أن هؤلاء المشركين يسيرون فى طريق غير طريق الله المستقيم جاء قول الله تعالى مبينا هذا الإنحراف قائلا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [1]﴾ أى بل هم قوم منحرفون عن الطريق المستقيم طريق التوحيد، إلى الطريق الملتوية طرق الشرك والضلالات وحتى يؤكد جل جلاله أحقيته بالعبادة، ويوبخ أولئك الذين يعبدون معه غيره قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾.

---

(١) يعدلون: بمعنى يميلون عن الطريق المستقيم إلى الطرق الملتوية.

أى أيها المشركون من أَوْلى بالعبادة؟ هذه المخلوقات الضعيفة العاجزة عن نفع أو ضر أم الله الذى جعل الأرض مستقرًا للإنسان والحيوان، وأجرى فيها الأنهار للزروع والأشجار والحياة الإنسان والدواب، وأوجد فيها الجبال الثابتة لتستطيع المخلوقات الحياة عليها بأمان وإطمئنان، وجعل بقدرته العظيمة حاجزًا بين المياه المالحة والعذبة، لينتفع كل مخلوق بما يناسبه، ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ أى أبعد هذا البيان تجعلون المخلوقين فى منزلة الخالق، أنه ولا شك عمل يدل على الجهل بالله ولذا قال تعالى ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أى أن أكثر أولئك الذين وقعوا فى الشرك لا يُدركون عظمة الله، ولا ما يترتب على شركهم من عواقب مؤلمة، وإلا لما أشركوا معه أحدًا فى عبادته؟ وهنا تأتى آية الباب، فيها توبيخ من الله لأولئك الذين إنحرفوا بعقيدتهم إلى غير الله، فقال ﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ أى من الذى يجيب دعوة المكروب إذا إتجه إليه طالبًا كشف ضره، ومن يجعلكم خلفاء الأرض بعمارتها وإستخراج خيراتها، الله الذى يفعل ذلك، أم معبوداتكم؟ الله ولا شك هو الذى يقدر على ذلك، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا تُشركون معه فى عبادته، ولأن الإنسان كثيرًا ما ينسى نعم الله عليه، فيشكره عليها بإتباع أوامره واجتناب نواهيه، جاء قول الله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أى تذكركم لنعم الله قليل، وإلا لو إعترفتم بنعم الله ما أشركتم معه أحدًا فى عبادته، ثم يزيد الله المنحرفين عن عقيدة التوحيد، تأنيبا مذكرًا لهم أيضًا

بنعم الله عليهم، فيقول: ﴿أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أى من يدلكم إذا ضللتم الطريق فى ظلمات البر والبحر بما خلق الله من نجوم ثابتة ومتحركة، الله أم الذين تعبدونهم، ومن يرسل الرياح أمام المطر لإحياء الأرض بعد موتها الله أم الآلهة الصماء التي لا تسمع ولا تفقه؟ لا أحد فى الحقيقة يستطيع القول بأن مخلوقًا ما هو الذى أوجد النجوم لتكون علامات يهتدى بها الناس فى أسفارهم فى البر والبحر، أو أرسل الرياح لتحمل السحاب من مكان إلى آخر حسب إرادة الله، وإذا كان الأمر كذلك فما وجه صرف أى نوع من العبادة لغير الله، ولذا قال تعالى ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ وقوله ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أى تقدس وتنزه عن كل شريك على أى شكل وبأى صورة كان.

وزيادة فى توبيخ المشركين وحتى لا يبقى عذر لمعتذر جاء قول الله تعالى ﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أى من الذى أوجد الكون كله من لا شىء ومن الذى يُفنيه ثم يُعيده حيا بعد موته ومن الذى يُنزل الغيث من أجل رزق العباد، الله أم الآلهة التي يصنعها البشر بأيديهم ثم يعبدونها سفهًا وجهلا؟ الله ولا شآء غير الله، ولذا جاء قول الله تعالى: ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ أى أبعد هذه البراهين التي لا تقبل الجدل تعبدون مع الله غيره، وفى لهجة صارمة وتكذيبًا لما يزعمه بعض عبدة الأوثان أن فى مقدورها جلب النفع أو دفع الضر عن الآخرين، وبصيغة توحي بالتحدي لإبراز برهان على زعم عبدة الأوثان، جاء أمر الله لنبيه

عليه السلام أن يطلب منهم الدليل على صدق ما يزعمون إذ قال جل جلاله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أى أعطوا الدليل القاطع على ما تزعمون لكنهم لن يجدوا دليلًا على ذلك إلا ما حكى الله فى القرآن عن المشركين الأولين بقولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ بعد هذه الآيات من كتاب الله المقدس يأتى الحديث الذى رواه الطبراني عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه، وفيه أن منافقًا بالمدينة كان يؤذي المؤمنين، فقال بعضٌ منهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي عليه السلام أنه لا يُستغاث بى وإنما يُستغاث بالله عز وجل» لفظ الحديث واضح فى النهى عن الاستغاثة بغير الله بأى صورة وعلى أى شكل سواء كان المُستغاث به قادرًا على الإغاثة أو غير قادر، والنبي عليه السلام حينما قال: «لا يُستغاث بى وإنما يُستغاث بالله» وهو فى ذلك الوقت قادر على كف أذى ذلك المنافق، إنما كان ذلك سدًا لكل ذريعة قد تؤدى إلى الشرك، وإلا فإن الإستغاثة به عليه السلام والحالة هذه جائزة، لأنها إستغاثة بحي حاضر قادر.

- **والخلاصة:**

أن الإستغاثة تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الإستغاثة المحرمة، وهى الإستغاثة بالميت أو الغائب الذى لا يقدر على الإغاثة مثال ذلك ما يفعله الجُهّال عند قبور الأنبياء والصالحين من دعاء لا يليق إلا بالله، كقولهم: يا سيدي الولي الفلانى، أو الصالح

الفلانى، أستغيث بك فى حل مشكلتي، أو أنا فى جوارك فأنقذنى من فقرى أو مرضى أو غير ذلك من الأمور التي تُوقع فى الشرك بالله فى عبادته، وعلى هذا فكل من جعل بينه وبين الله وسائط من المخلوقين من أموات أو غائبين يدعوهم ويتوكل عليهم فقد أشرك بالله شركًا أكبر، وقد حرّم الله الجنة على من أشرك بالله شركًا أكبر،كما جاء بذلك كتاب الله بقوله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

النوع الثانى: الإستغاثة الجائزة، وهي الإستغاثة بحي حاضر قادر، مثال ذلك لو أن إنسانا هجم عليه عدو ليقتله أو سبع ليفترسه أو لص ليسرق منزله، فإستغاث بأقرب إنسان عنده لينقذه من الخطر كان ذلك جائزًا ، وعلى هذا فإن الإستغاثة إذا كانت بإنسان حى حاضر قادر، تكون جائزة، وهنا يمكن أن نقول باختصار أن الإستغاثة إذا كانت بميت أو جماد أو غائب تكون شركًا ، وإذا كانت بإنسان حى حاضر قادر لم تكن شركا.

باب

قول الله تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ الآية (١٩١، ١٩٢ - الأعراف) وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا استجابوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ الآية (١٣، ١٤ - فاطر).

وفى الصحيح عن أنس قال: شُج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وكُسرت رباعيته فقال (كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم) فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شىء﴾ وفيه عن ابن عمر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر، اللّهُمَّ العن فلانًا وفلانا، بعدما يقول «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شىء﴾ الآية وفى رواية يدعو على صفوان بن أُمية وسُهيل بن عمرو والحارث ابن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شىء﴾ وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: (يا معشر قريش أو كلمة نحوها) إشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا أُغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أُغني عنك من الله شيئا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أُحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون فى الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم لنبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه فى ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شىء﴾.

السابعة: أو يتوب عليهم أو يعذبهم - فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت فى النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنه المعين فى القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ

﴿عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

الثانية عشرة: جِدّه صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب «لا أغني عنك من الله شيئا» فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغني من الله شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد، وغربة الدين.

الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان سفه عقول الذين يجعلون المخلوقين شركاء للخالق فى عبادته ويرفعون العبد المخلوق العاجز إلى منزلة الخالق المعبود القاهر فوق عباده.

الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان، وقصة، وحديثان.

فالآية الأولى: جاء فيها قوله تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾ أى أيشركون مع الله فى عبادته مخلوقين لا يقدرون على خلق شىء - كما قال الله فى آية أخرى فى كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا

﴿أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ أى وزيادة على عجزهم عن خلق أى شيء، فهم عاجزون أيضًا عن رفع المِحن والكوارث عن العابدين لهم، وهم أيضًا كذلك عاجزون عن نصر أنفسهم حينما يلم بهم خطب، ووصف الإنسان بالعجز عن الخلق وعن الحصول على النصر إلا بأمر الله، وصف ينطبق على كل مخلوق لا فرق فى ذلك بين نبي وملك ولا بين ولى أو صالح أو غيرهم، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المرسل من عند الله للبشر يهديهم إلى الخير، يطلب النصر على المشركين من عند الله، فيقول فى الدعاء الوارد عنه «اللَّهُمَّ أنت عضدي ونصيرى، بك أحول، وبك أصول، وبك أُقاتل» فإذا كان نبي الله عليه الصلاة والسلام يدعو ربه بالنصر على الأعداء، لعلمه إن النصر لا يكون ألا من عند الله، فكيف يقال بأن تلك الأصنام تجلب النصر الأتباعها وهي حجارة صماء، أو مخلوقون غابوا تحت التراب.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ(1)﴾ أي أيها المشركون مع الله فى عبادته إن هؤلاء الذين تدعونهم من المخلوقين ملائكة كانوا أو أنبياء، صالحين أو أولياء أو غيرهم عاجزون عن تحقيق أي شيء تطلبونه منهم، حتى القطمير وهو شيء لا قيمة له لا يستطيعون تحقيقه فيما لو طلبتموه منهم، فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لتلك المعبودات فكيف تدعونها من دون الله، ثم أكد القرآن الكريم هذا العجز بأن نفي عنهم سماع الدعاء، فقال: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا

(١) القطمير: هو الغلاف الرقيق الذي يكون على نواة التمر.

﴿دُعَاءَكُمْ﴾ أي لا يدرون ماذا تقول لأنهم ما بين ميت ذاب جسمه فى التراب أو فارق الحياة إلى حياة برزخية - الله أعلم بكيفيتها، أو آخر غائب، وهؤلاء كلهم لا يستطيعون سماع الدعاء، وإذا كانوا لا يسمعون الدعاء فما الفائدة من دعائهم، وعلى فرض أنهم سمعوا الدعاء فإنهم لا يستجيبون له، وزيادة على ذلك يتبراون يوم القيامة من معبوديهم، ويكفرون بعبادتهم لهم، كما جاءت بذلك الآية الكريمة ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا استجابوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

أي لا يخبرك بأن هذه المعبودات من دون الله - عاجزة عن النفع أو الضر، وأنها لا تسمع ولا تستجيب للدعاء، وأنها تتبرأ من عبادة أولئك المشركين يوم القيامة.

مثل خبير وهو الله سبحانه وتعالى الذى لا تخفى عليه خافية بعد هاتين الآيتين، تأتي قصة شج النبي صلى الله عليه وسلم، وتتلخص هذه القصة فى أن النبي عليه الصلاة والسلام شُجّ[1] رأسه فى موقعة أُحد[2] وكُسرت رباعيته[3]، ويقول ابن هشام: أن أبا سعيد الخدري قال: أن عتبة

---

(١)الشج فى الأصل: الضرب على الرأس بشي يحدث تمزقًا فى جلدة الرأس، ثم أستعمل فى بقية الأعضاء.

(٢)أحد: جبل يبعد نحو ميل من المدينة إلى الشمال قال عنه الرسول عليه السلام :أحد جبل يحبنا ونحبه.

(3)الرباعية: هي كل سن بعد ثنية وللإنسان أربع رباعيات.

بن أبي وقاص هو الذى كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وأن عبد الله بن شهاب الزهرى هو الذى شجه فى وجهه، وأن عبد الله ابن قمئة هو الذى جرحه فى وجنته، وأن حلقتين من حلق المغفر دخلتا فى وجنته، وأن مالك بن سنان هو الذى مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابتلعه، فقال له عليه السلام: «لن تمسك النار، وذكر ابن اسحاق فى المغازي عن أنس قال: «كُسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وشُج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله الآية الكريمة ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي ليس لك من أمر العباد إلا تنفيذ ما آمرك به، أما غير ذلك فلي وحدي، أتصرف فيه كيف أشاء وبهذا المعنى جاء قول الله تعالى: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ وقوله لنبيه عليه السلام: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ وفى هذه القصة أمران: الأمر الأول: أن الأنبياء كغيرهم من البشر تصيبهم المِحن والمصائب ويطرأ عليهم كما يطرأ على غيرهم من هموم وأحزان بل ويلاقون من متاعب الحياة من أجل هداية الناس أكثر مما يلاقى غير هم من البشر وما حصل للرسول عليه الصلاة والسلام فى موقعة أُحد، وما حصل له من قبل من أذى المشركين فى كل من مكة والطائف هو من هذا القبيل، ومن قبل محمد عليه الصلاة والسلام فى تحمل متاعب الحياة من أجل هداية الخلق، ما حصل للأنبياء قبله إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم

الصلاة والسلام من أذى قومهم.

الأمر الثاني: إذا كان الرسول عليه السلام وهو نبي الله وخاتم رسله لا يملك من الأمر إلا ما أمره الله به فغيره أولى ألا يملك شيئًا ، وفى هذا حجة على أولئك الذين يطلبون من غير الله جلب نفع أو دفع ضر.

وفى الحديث الأول: فى هذا الباب، حديث ابن عمر رضى الله عنه أن الرسول عليه السلام بعدما شُج وكُسرت رباعيته أخذ بعد أن يرفع رأسه من الركعة الأخيرة من الفجر يدعو على أفراد المشركين، صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فما أستجيب له هذا الدعاء، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى صاحب الأمر يتصرف فيه كيف يشاء، ولقد أسلم هؤلاء فتاب الله عليهم وتجاوز عن سيئاتهم، لأن الإسلام يمحو ما سبقه من ذنوب وآثام، وفى نهاية الباب يأتى حديث أبى هريرة(1) رضى الله عنه وفيه أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعدما أُنزلت عليه هذه الآية من كتاب الله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد عليه السلام الصفا، ثم نادى وآصباحاه فلما أجتمع إليه الناس: «فقال يا معشر قريش أشتروا أنفسكم» أي إعملوا ما ينجيكم من عذاب الله، بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له «فإني لا أُغنى عنكم من الله شيئا» أي فإن قرابتكم مني لا تحول

(١) أبو هريرة رضي الله عنه: اسمه عبد الرحمن بن صخر.

بينكم وبين عقاب الله، وإنما الذى يقيكم من ذلك هو البُعد عن الشرك وما تقدمونه من عمل صالح يُرضى عنه الله، وبعد هذا الإنذار والتخويف للأقربين من عشيرته، وجه الإنذار إلى عمه قائلا: «**يا عباس بن عبد المطلب لا أُغنى عنك من الله شيئا**)، **فإتجه إلى الله مخلصًا له العبادة فما أنا بقادر على نفعك إن أنت خالفت أمر الله، ثم إتجه بالنداء إلى عمته قائلًا** «**يا صفية عمة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئا**» أى إحذرى من أن يتجه قلبك إلى غير الله عابدًا متذللًا ، فينالك عقاب من الله لا أقدر على دفعه) وفى نهاية الحديث يتجه بالإنذار والتخويف إلى إبنته فاطمة ويعلن لها على مشهد من الناس بأنه لا يقدر على دفع العقاب عنها يوم القيامة إن هى خالفت أمر الله، إذ قال عليه السلام: «**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أُغنى عنك من الله شيئا**» وإخبار النبي عليه الصلاة والسلام لأقاربه الأقربين بأنه لا غِنى عنهم من الله شيئا، دليل على أن غير الرسول عليه السلام فى عدم نفع أحد أو ضره من باب أولى وأن المخلوق أي مخلوق كان لا يجوز سؤاله إلا فيما يقدر عليه فى الدنيا أما غير ذلك فلا يطلب إلا من الله المالك القهار.

باب

قول الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الاية (٢٣ - سبأ) فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يُلقيها الآخر إلى من تحته حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة، خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة

كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على ابطال الشرك خصوصًا من تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: قال كذا وكذا.

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة: إرتجاف السموات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذى ينتهي بالوحي إلى حيث أمره.

الحادية عشرة: ذِكر إستراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا ،

الثالثة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

الرابعة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

الخامسة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

السادسة عشرة: قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة

السابعة عشرة: كونهم يلقى بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

الثامنة عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

التاسعة عشرة: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفًا من الله عز وجل.

العشرون: أنهم يخرون لله سجدًا .

◆ **الهدف:**

قصد داعية التوحيد رحمة الله عليه من هذا الباب بيان جهل من يتجه إلى غير الله بأي نوع من أنواع العبادة.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية وحديثان:

فالآية الكريمة جزء من آية مرتبطة بآية قبلها هى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الآية (٢٢، ٢٣ - سبأ) وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إذا ألمت بكم المصائب والمحن، فالجؤوا إلى معبوداتكم التي تزعمون أنها تنفع وتضر، طالبين منها إزالة الضرر عنكم ثم انظروا هل تستطيع شيئًا من ذلك، إذا فعلتم ذلك، وعلمتم أن لا قدرة لها على نفع أو ضر فما هو المبرر لتعلق قلوبكم بها، ودعائكم لها، ناسين أو متناسين خالق هذه المعبودات القادر على النفع والضر.

وفى أسلوب يكشف عجز أولئك المعبودين جاء قول الله تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ﴾ أى إن الذين تدعونهم أيها المشركون من دون الله، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فكيف تدعونهم وتطلبون منهم نفعًا أو ضرًا ، وهم فى منتهى الافلاس من كل شىء، وبهذا المعنى جاءت الآية الكريمة من كتاب الله تقول: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ وقوله تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن

﴿شِرْكٍ﴾ أى وما لهؤلاء المعبودين من مشاركة فى خلق السموات والارض، فيكون لهم شيء من المُلك وإنما المُلك للمتفرد بخلق هذا الكون كله، لذا فهو وحده الذى يستحق العبادة دون غيره.

وزيادة فى نفي أى معاونة من أى من تلك الآلهة التي يعبدها أولئك المشركون فى خلق أى شىء فى السموات أو الأرض جاء قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أى وما الله من معين فى خلق هذا الكون من تلك الآلهة ولا غيرها من المخلوقات.

وتأكيدًا لعجز تلك الآلهة حتى عن الشفاعة لأحد إلا إذا أذن الله فى ذلك جاء قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ - وهو لا يأذن بالشفاعة إلا لأهل التوحيد أما الكافرون بالله المشركون معه فى عبادته فهو لا يأذن فى الشفاعة لهم.

قوله ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أى زال عنهم الرعب والخوف: قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال ربنا القول الحق ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ أى صاحب العلو المطلق - علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فهو تعالى عالٍ على عرشه، بائن من خلقه، مهيمن عليهم، مُطلع على جميع أمورهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الذى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الكبير) أى الذى لا أكبر ولا أجل ولا أعظم منه تعالى وتقدس.

بعد هذه الآيات من كتاب الله العزيز يأتى حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفيه يوضح الرسول عليه الصلاة والسلام مدي خوف الملائكة من الله فيقول: «إذا قضى الله الأمر فى السماء، أى إذا تكلم الله بالوحي لجبريل بما يريده «ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، أي إرتجفت الملائكة فى خوف وذهول مما عساه أن يأمر به الله جل جلاله.

قوله: «كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، أي كأن الصوت الذى تسمعه الملائكة صوت سلسلة على حجر أملس - هذا الصوت ينساب متغلغلًا فى أجسام الملائكة فى فزع شديد إلى أن يأتيهم جبريل عليه السلام فيخبرهم بالأمر فيزول عنهم الخوف حتى إذا عادوا إلى هدوئهم (قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق) أى قال بعضهم لبعض: قال الله الحق لأنهم يعلمون تمام العلم أن الله لا يقول إلا الحق، قوله فيسمعها مسترق السمع أى فتسمع الشياطين ما قضاه الله ووصف سفيان بن عيينة كيفية إستراقهم للسمع بصعود بعضهم على بعض حتى إذا سمع الأعلى منهم الكلمة أعطاها لمن تحته، وهكذا حتى تصل إلى الساحر أو الكاهن فى الأرض.

قوله «فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، أى أن الشهاب أحيانا يحول بين الشيطان وبين إستراق السمع وأحيانا يستمع الكلمة قبل أن يصل إليه الشهاب فيكذب معها الكاهن أو الساحر مائة كذبة، بمعنى أن الكاهن أو الساحر إذا أخبر الناس أن شيئًا سيقع كما أخبره بذلك الشيطان الذى إسترق السمع من السماء فوقع، صدقه الناس فى كل ما يقول وهكذا كلما

سمعت الشياطين عن طريق إستراق السمع من السماء أمر قضاه الله أخبروا السحرة والكهان فزادوا عليه كذبًا كثيرا فيصدقهم الناس.

وفى الحديث أمور منها:

أولًا: أن الله يتكلم إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة.

ثانيًا: أن الله تعالى وتقدس عالٍ على خلقه علوا يليق بجلاله وعظمته.

ثالثًا: أن الملائكة يخافون من الله خوفًا شديدًا شأنهم فى ذلك شأن كل مخلوق إعترف الله بالعبودية المطلقة يرجو رحمته ويخشى عذابه.

رابعًا: أن للسماء حراسة من الشهب وغيرها تمنع من إستراق السمع وغيره، هذه الحراسة لم تكن مشددة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلمة؛ ولذا كانت الشياطين من الجن تسترق السمع من السماء، إلا إذا حالت الشهب بينهم وبين التمكن من ذلك إلى أن بعث الرسول عليه الصلاة والسلام فشددت الحراسة حتى لم تعد الشياطين بقادرة على إستراق السمع بحال من الأحوال.

وفى نهاية الباب يأتى حديث النواس بن سمعان، وفيه الإخبار من الرسول عليه الصلاة والسلام بما يحصل للسموات عند سماعها لكلام الله من إرتجاف ورعب فيقول عليه الصلاة والسلام (إذا أراد الله أن يوحى بالأمر، أخذت السموات منه رجفة أو قال رعده خوفًا من الله عز وجل أى إذا أراد الله أن يتكلم بالوحى إرتجفت السموات خوفًا من الله جلت قدرته،

وحينما تسمع السموات كلام الله وتخاف منه، فإن ذلك يعني أنها لا أكثر من أنها جزء من هذا الكون الهائل الذى يخاف من الله ويخضع لعظمته، جاء ذلك صريحا فى كتاب الله إذ يقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شىء إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وإذا كان كل شىء يُسبح بحمد الله، وأن أعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من أعمال فى الدنيا - حيث تقول الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فليس هذا من الغرابة فى قليل أو كثير بالنسبة لقدرة الله الذى أوجد هذا الكون من لا شىء، أقول هذا لربما يقول قائل كيف يمكن للسماء أن تسمع ولأعضاء الإنسان أن تتكلم، لكننا إذا نظرنا إلى ما وصل إليه الإنسان بما منحه الله من عقل وتفكير من قدرة على إختراع أشياء كثيرة - سهلت له الكثير من وسائل حياته، أدركنا أن قدرة الله التي جعلت السماء تسمع والأعضاء تتكلم أمرًا فى غاية السهولة، ألم تر إلى الإنسان وهو يتصارع مع جاذبية كوكبنا الأرض بوسائله العلمية لينفذ منها إلى كوكب آخر، وإليه وقد إخترع آلة تلتقط الأصوات من جميع أنحاء الدنيا ليسمعها الإنسان فى أى مكان من العالم، ثم إليه وقد إخترع الأجهزة الحاسبة والآلات الحافظة للصوت والصورة، وما إلى ذلك من مخترعات عجيبة وغريبة إذا كانت هذه هى قدرة الإنسان المخلوق الضعيف فكيف بقدرة الخالق الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، قوله: «فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا

وخروا لله سجدا» أي فإذا سمع أهل السموات كلام الله خروا سجدًا لله فى إغماء وذهول، قوله «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، وهذا فيه دلالة على منزلة جبريل عليه السلام عند الله «فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء، سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل، وفى هذا دلالة صريحة على أن لكل سماء حدودًا تفصلها عن الاخرى - لكن كيفية هذه الحدود لا نعرفها، الله وحده يعلم، أما نحن البشر فلا تعلم من أمور الغيب إلا ما أخذناه عن كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

والخلاصة: أنه إذا كانت ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يرتجفون خوفًا من الله، فغيرهم من البشر أولى بالخضوع أمام الله، والإعتراف له بالعبودية الخالصة ومن هنا يكون التوجه إلى غير الله بالعبادة لأي مخلوق مهما كانت منزلته شركًا لا يغفره الله إلا بالتوبة الصادقة والإقبال المخلص على الله.

باب

الشفاعة

وقول الله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الآية (٦١ - الأنعام) وقوله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ الآية (٤٤ - الزمر) وقوله ﴿مَنْ ذَا الذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الآية (٢٠٠ - البقرة) وقوله ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فى السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ الآية (٢٦ - النجم) وقوله ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فى السَّمَوَاتِ وَلَا فى الْأَرْضِ﴾ الآيتين (٢٢، ٢٣ - سبأ)

قال ابن العباس: نفي الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون نفي أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه «يأتى فيسجد لربه ويحمده - لا يبدأ بالشفاعة أولا - ثم يقال له: إرفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع»، وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل

الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أتت الشفاعة بإذنه فى مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص انتهى كلامه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

السادسة: ما أسعد الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

الهدف:

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان الشفاعة ما يصح منها

وما لا يصح.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب خمس آيات وحديث واحد:

فالآية الأولى: جاء فيها قوله تعالى: ﴿وانذر به الذين يخافون إن يحشروا إلى ربهم﴾ أى حذر بما يوحى إليك المؤمنين ذوى القلوب الخائفة من الله، الراجية لما عنده من ثواب عظيم، ﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾ أى

بأن ليس لهم يوم القدوم على الله من ولى ينفعهم ولا شفيع يعول بينهم وبين عذاب الله، ﴿لعلهم يتقون﴾ أى عساهم إذا علموا أن الإعتماد على الأولياء والإتكال على الشفعاء لا يُفيد، يتوجهون إلى الله بالعمل الصالح والإيمان الصادق ليقيهم من عذاب الله.

والآية الثانية: مرتبطة بآية قبلها، هى قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء؟؟ قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقل الله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ (٤٣، ٤٤ الزمر) قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ أم هنا بمعنى بل، أى بل إتخذ المنحرفون عن توحيد الله آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، من أجل أن تشفع لهم عند الله فى قضاء أمورهم وهذا شرك بالله، ولذا أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام، أن يقول لهم ﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون﴾ أى ولو أن الآلهة من بشر أو جماد لا تملك شيئًا ولا تعقل شيئًا

تعبدونها بطلبكم الشفاعة منها، ولاشك أن عملًا كهذا يدل على الجهل وعدم الفهم، وحتى يعلم أولئك المشركون أن الشفاعة كلها ملك لله وأن أى مخلوق لا يستطيع أن يشفع إلا بإذن من الله، جاء قول الله تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أمر من الله لنبيه عليه السلام أن يقول لأولئك المشركين، ولكل من تعلق قلبه بغير الله فى كل زمان ومكان أن الشفاعة لا تطلب إلا من الله، وأنه ليس من حق أحد أن يشفع لأحد إلا بعد إذن من الله ثم بين السبب فى أن الشفاعة كلها لله فقال تعالى فى آخر الآية: ﴿له ملك السموات والارض ثم إليه ترجعون﴾ أى هو المالك لكل ما فى الوجود، فلا يستحق العبادة غيره، ولا يتصرف أحد فى ملكه إلا بإذنه، وإليه يرجع الخلق فيجازى كلا ما يستحقه، أن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

وتأتى الآية الثالثة: لتقرر أن لا أحد يقدر على الشفاعة إلا بعد إذن من الله تعالى، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده ألا باذنه﴾ أى من ذلك الذى يتجرأ على الشفاعة إلا بعد إذن من الله له بذلك ,

وفى تيئيس للمشركين ولكل من إتجه إلى غير الله فى كل زمان ومكان من أن يحصلوا على فائدة من عبادة غير الله.

جاءت الآية الرابعة: لتقرر هذا فتقول: ﴿وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا ألا من بعد إن يأذن الله لمن يشاء ويرضي﴾ والمعني هنا لا يختلف عن معنى الآية السابقة فى الشفاعة وأنها لا تكون إلا بعد إذن

الله - حتى الملائكة المطهرون من الآثام والمعاصى لا يتجرأون على الشفاعة إلا بعد إذن الله لهم بذلك، فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للملائكة المقربين عند الله تعالى، فغير هم أولى بعدم القدرة على الشفاعة إلا بعد إذن من الله، ومن هنا يتضح أن أولئك الذين يطلبون الشفاعة من مخلوقين فارقوا الحياة، أو جمادات لا تسمع إنما يسببون لأنفسهم البُعد من الله، أدركوا ذلك أم لم يدركوه

أما الآية الخامسة: فقد تقدم الكلام عليها فى الباب السابق لهذا الباب وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تقدم معناه فى الآيات السابقة فى الباب أيضًا .

وفى نهاية الباب يأتى حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفيه أنه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن من أسعد الناس بشفاعته قال عليه الصلاة والسلام: «من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه» وهذا الحديث فيه دلالة على أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا للموحدين المخلصين من قلوبهم، وبهذا المعنى جاء الحديث صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني إختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا».

والخلاصة أن الشفاعه نوعان:

النوع الأول:

شفاعة نفاها القرآن الكريم وأخبر أنها لا تُقبل وهي الشفاعة للكفار والمشركين كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وقوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقربونا إلى الله زُلفي إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ وفى هذا إبطال لكل شفاعة تُطلب من غير الله فالذين يتجهون إلى الأرض يدعون من توارى تحتها من أنبياء أو أولياء، أو صالحين أو غير هم من المخلوقين، يدعونهم ويتوكلون عليهم إنما يُبعدون أنفسهم عن الله بشركهم فى العبادة، لأن طلب الشفاعة من الله عبادة وطلبها من غيره شرك.

النوع الثاني:

شفاعة أثبتها القرآن الكريم وهي الشفاعة للموحدين، ولا تحصل هذه الشفاعة إلا بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع بالشفاعة كما قال الله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده ألا بإذنه﴾.

الثاني:رضاه عن المشفوع له بالشفاعة كما قال تعالى: ﴿ولا بشفعون ألا لمن ارتضى﴾ وهو سبحانه وتعالى لا يرضى إلا عن الذين أخلصوا العبادة له وحده.

باب

قول الله تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية (٥٦ - القصص)

فى الصحيح عن ابن المُسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده عبد الله بن أبى أُمية وأبوجهل، فقال له يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا، فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا إن يستغفروا للمشركين﴾، وأنزل فى أبى طالب ﴿إنك لا تهدي من احبت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله «إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدى من يشاء».

الثانية: تفسير قوله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾.

الثالثة: وهي المسألة الكبرى تفسير قوله (قل لا إله إلا الله) بخلاف ما

عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال للرجل «قل لا إلٰه إلا الله» فقبح الله من ابوجهل أعلم منه بأهل الإسلام.

الخامسة: جِّده صلى الله عليه وسلم ومبالغته فى إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه صلى الله عليه وسلم إستغفر له فلم يُغفر له بل نُهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين فى ذلك لإستدلال أبى جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين، لنفي القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم إقتصروا عليها.

- **الهدف:**

قصد المصلح الكبير رحمة الله عليه من هذا الباب بيان أن الرسول

عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية التوفيق، وشرح الصدر للإيمان، وإنما الذى يملك ذلك الله سبحانه وتعالى كما ورد ذلك فى كتابه العزيز: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعّد فى السماء﴾ وإنما الذى يملكه عليه الصلاة والسلام هداية الدعوة والإرشاد، كما قال الله تعالى ﴿إنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية وحديث واحد:

فالآية الكريمة - جاء فيها قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ أى إنك لا تقدر على هداية من أحببت، وإنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة، وبهذا المعنى جاءت هذه الآية من كتاب الله تعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وقوله تعالى: ﴿وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ والهداية المنفية هنا عن النبي صلى الله عليه وسلم هى هداية التوفيق والقبول، وقوله تعالى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي هو أعلم بمن لديه الإستعداد للهداية، ومن طبعه الإنكار والجحود والعناد.

وبعد هذه الآية من كتاب الله يأتى حديث ابن المسيب وفيه يحكي قصة الرسول عليه السلام مع عمه أبى طالب حينما حضرته الوفاة فيقول: لما

حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبى أُمية وأبو جهل فقال له «**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**» أى إعترف لله بالوحدانية، أجد وسيلة أطلب بها لك منزلة رفيعة عند الله، لكن أبا طالب وهو رجل ذو مكانة فى قومه لم يستطع إن يعرض نفسه للإهانة، ومركزه للإنهيار لأنه يدرك تماما أن كلمة (لا إله إلا الله) تعني البراءة من الشرك، والإتجاه إلى الله بالقلب واللسان والجوارح، وهذا معناه التنكر لما عليه قومه من عبادة الأوثان.

وبتأثير من جلساء السوء عبد الله بن أبى أمية، وأبى جهل حين قالا له فى إستفهام يشبه التحذير «أترغب عن ملة عبد المطلب، أى أترك دين آبائك وأجدادك - أجاب أبو طالب رسول الله عليه السلام بقوله: «لولا أن تُعيرني قريش، يقولون ما حمله على ذلك إلا جزعه من الموت - لأقررت بها عينك، ومع حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على إسلام عمه فقد فارق أبو طالب الدنيا دون أن يدخل فى الإسلام، ولعل فى ذلك حكمة، هى أن يؤكد الخالق العظيم للناس جميعًا أن هداية التوفيق وشرح الصدر للإسلام الله وحده، قوله: «فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا، أى فأعاد عليه السلام الدعوة للدخول فى الإسلام، فأعادا تذكيره بأن هذا يتنافى مع ملة عبد المطلب، التي هى الشرك بالله فى العبادة قوله: «فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب» أى سيبقى على ما كان عليه آباؤه - قوله: وأى أن يقول «لا إله إلا الله، وفى هذا تأكيد من راوى الحديث بأن أبا طالب قد بني على

دين عبد المطلب، وفى هذا رد على من زعم أن أبا طالب دخل فى الإسلام.

قوله: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك) أى لأطلبن لك المغفرة ما لم ينهي الله عن ذلك، وقد وقع ما كان يتوقعه عليه السلام من عدم السماح له بالإستغفار لعمه، فقد أنزل الله عز وجل فى ذلك قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ كما أنزل فيه أيضًا قوله تعالى ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾.

باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين وقول الله عز وجل ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ (١٧١ - النساء) وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرُن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ الآية (٢٣ - نوح) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي علام عبدت.

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه.

و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» ولمسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هلك المتنطعون» قالها ثلاثا ,

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أن أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أنه أول شىء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطرة تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل.

فالاول: محبة الصالحين.

والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي فى سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: أن فيه شاهدًا لما نُقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهى عن التماثيل والحكمة من إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عِظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب قرائتهم إياها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهي الله رسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة :، ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم فى قوله (لا تطروني)، إلخ فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: إن سبب فقد العلم موت العلماء.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان أن الغلو فى المخلوقين يؤدي فى النهاية إلى الشرك بالله.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية واحدة واربعة أحاديث:

فالآية الكريمة جاء فيها قوله تعالى ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله ألا الحق﴾ أى لا تتجاوزوا الحد فى التعظيم، والخطاب هنا وأن كان موجهًا لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) إلا أنه يشمل جميع البشر فى النهى عن الإرتفاع بالمخلوق عن منزلة العبودية إلى مقام الألوهية، كما فعل ذلك النصارى فى تعظيمهم لعيسى عليه الصلاة والسلام إلى درجة العبادة، وكما يفعله الكثير من الجُهال من تجاوز للحد فى تعظيم الأنبياء والأولياء والصالحين مما أدى بالكثير منهم إلى الخروج عن

دائرة التوحيد إلى منحدر الشرك الذى هو أعظم الذنوب جُرمًا عند الله.

بعد هذه الآية من كتاب الله يأتى:

الحديث الأول بهذا الباب: وهو حديث ابن عباس رضى الله عنه الذى يحكي فيه قصة الأصنام، ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، بأنها كانت أسماء الرجال صالحين من قوم نوح، ولمعرفة الشيطان بحب الناس فى عهد نوح عليه السلام لهؤلاء الرجال الصالحين، ولإدراكه بما يؤول إليه الغلو من مفاسد كبيرة، أوحي إلى أتباعهم الذين يقتدون بهم، بعد أن ماتوا أن يجعلوا لهم تماثيل على صورهم، ويضعوها فى مجالسهم، ويسموها بأسمائهم لكي يتمثلوهم فيكون ذلك أدعى إلى الإقتداء بهم فى العبادة، وفعلوا ذلك عن حسن نية، ولم تعد هذه الأصنام حتى مات أولئك الذين صوروا تلك الأصنام وفشا الجهل فى الناس، فجاء ابليس وقد تهيأت نفوس الناس لتقبل الخرافة بسبب الجهل، فقال لهم، أن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم، ويستسقون بهم المطر، وبهذا زين لهم عبادة الأصنام، فوقعوا فى الشرك بسبب الغلو فى محبة الصالحين، وكان هذا أول شرك حدث فى الأرض، وعن طريق غواية الشيطان وملاحقته للإنسان ليبقى دائما فى متاهات الضلال والبُعد عن الله، إنتقلت هذه الأصنام إلى العرب فيما بعد:

فكان ودا: لكلب.

وسواع: لهذيل.

ويغوث: لغطيف بالجرف عند سبأ.

ويعوق: لهمدان.

ونسر: لحمير آل ذي الكلاع.

وسرت عدوى الغلو فى المخلوقين فى البلاد الإسلامية كلها إلى أن إنقلب الأمر إلى عبادة من دون الله ،، ففي نجد والحجاز كانت هناك أصنام وأوثان يقصدها الناس لطلب الشفاعة، وجلب الرخاء إلى أن جاء داعية التوحيد الشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله فقضى على كل مظاهر الوثنية فى هذه البلاد، وفى مصر ما يزال الناس حتى اليوم يطوفون حول قبر أحمد البدوي وغيره داعين مبتهلين ومقدمين له النذور من دون الله وفى العراق هناك حيث يتجه الجُهال إلى مشهد علي والحسين وعبد القادر الجيلانى وغيرهم من البشر طالبين منه فى تذلل وخشوع الشفاعة، وجلب السعادة، وما من بلد إسلامي إلا ويوجد فيه قبر أو مشهد، أو صنم أو طاغوت، يضج حوله الجُهال ملتمسين منه الخير والبركة، وهو عمل لا يرضى عنه الله، لأنه ليس من الإسلام فى أى شىء، وكل هذا سببه مجاوزة الحد فى تعظيم المخلوقين، ببناء القباب على القبور وزخرفتها وإنارتها بالشموع وغيرها، وإحاطتها بهالة من القداسة والتعظيم، الشيء الذى أدى بالناس فى النهاية إلى الوقوع فى الشرك بالله تعالى.

الحديث الثاني فى الباب: هو حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تجاوز الحد فى مدحه تواضعًا منه عليه الصلاة والسلام، وخوفًا من أن يتطور الأمر إلى رفعه إلى منزلة لا تليق بالمخلوق: إذ قال عليه السلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم».

قوله: «لا تطروني» أى لا تمدحونى بالباطل ولا تتجاوزوا الحد فى مدحى ولذا ورد فى حديث عنه عليه السلام جاء فيه «أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان - أنا محمد ابن عبد الله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» ومع نهيه عليه السلام فقد تجاوز كثير من المسلمين الحد فى مدحه ونسبوا إليه بعض ما هو من خصائص الله تعالى: فقد زعم أصحاب الخرافة الجهلة بدين الله، أنه عليه الصلاة والسلام يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، كما ورد ذلك فى قول الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ويابس إلا فى كتاب مبين﴾ لكن النبي عليه السلام نفي عن نفسه هذا الزعم.

فى تلك الآية الكريمة من سورة الأعراف: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ وشبيه بهذا ما يدّعيه الدجّالون من أصحاب الطرق الصوفية وغيرهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر مجالس الذكر التي يعقدونها

بمناسبة مولد الرسول عليه السلام أو غير ذلك من الموالد البدعية التي إستحدثها الجُهال وأعداء الإسلام، ليشوهوا حقيقة دين الله بمثل هذه الخرافات التي لا تقوم على دليل من شريعة رب العالمين.

قوله «كما أطرت النصارى ابن مريم» أى تتعدوا الحدود فى رفعي إلى منزلة فوق التي منحني الله إياها فتقعوا فيما وقع فيه النصارى من كفر بالله بسبب تجاوزهم الحد فى تعظيمهم لنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام الذى آل بهم إلى أن يرفعوه من منزلة العبودية إلى مقام الإله المعبود كما جاء ذلك فى كتاب الله: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾.

وحتى لا تقع أمة الإسلام فيما وقع فيه النصارى من كفر بالله بسبب مجاوزة الحد فى التعظيم نهى الرسول عليه السلام عن مجاوزة الحد فى المدح، وحتى يُقيم الحجة على كل من أراد أن يتجاوز الحد فى تعظيمه قال عليه السلام: «إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أى لا تغلوا فى مدحى، فإنما أنا عبد من عباد الله، ورسول من رسله، الذين أرسلهم إلى البشر ليُخرجوهم من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق جل جلاله والرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال: «إنما أنا عبد» يشير بذلك إلى أمرين:

الأول: إعتزازه بعبوديته لله تعالى وإعترافه بأن المخلوق مهما كانت منزلته عالية عند الله فإنه لا يخرج عن كونه عبد الله، ولهذا السبب صار

من يتجه بأي نوع من أنواع العبادة للملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين مشركًا مع الله فى عبادته.

الثاني: أنه رسول من عند الله للبشرية كافة وكل الأنبياء من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد عليه السلام، كان أول شىء يدعون الناس إليه عبادة الله وحده، وترك عبادة المخلوقين، وما كان لنبي أن يرضى بصرف ما هو حق من حقوق الله لأى مخلوق فى الأرض ولا فى السماء، وتعظيم الرسول عليه السلام وحبه، ولا يكون إلا بالإهتداء بهديه والسير على طريقته، كما جاء فى قول الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾

أما الغلو فيه بصرف أى نوع من أنواع العبادة له فأمر يخالف شرع الله ودينه.

الحديث الثالث: فى هذا الباب هو ما جاء فيه نهى الرسول عليه السلام عن الغلو، وإخباره بأنه كان سببًا فى إهلاك أمم سابقة، وهذا دليل على العواة، السيئة التي تنتج عن الغلو فى جميع الأعمال قلبية كانت أو جسمية.

وآخر حديث هو حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه إخبار الرسول عليه السلام بخطورة التنطع لأنه نوع من الغلو، قال: أبوالسعادات: المتنطعون هم المتعمقون الغالون فى الكلام، المتكلمون من أقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم أُستعمل فى كل متعمق قولًا

وفعلًا ، ومن أمثلة التنطع الإمتناع عن الزواج إبتعادًا عن الإستمتاع بملاذ الحياة، ولبس الخشن من الثياب بدلًا من لبس الثياب الأنيقة الناعمة، والتضييق على الناس فى أشياء مختلف عليها بين علماء الشريعة، والحكم على الأشياء تحليلًا أو تحريمًا دونما دليل واضح من شريعة الله، ولخطورة تكلف الأمور بترك ما أباحه الله لعباده، قال عليه السلام: «هلك المتنطعون، قالها ثلاثًا ، ، أى قال هلك المتنطعون، هلك المتنطعون - هلك المتنطعون»، وتكريره عليه السلام، الكلام ثلاث مرات دليل على أهميته، وعلى ما يترتب على التنطع من نتائج سيئة لا على الإنسان المتنطع فحسب، وإنما أيضًا على الإسلام نفسه الذى يظهر بسبب هذا الغلو بمظهر المتناقض أحيانا، والحائل بين الناس وبين التمتع بالمباح من مباهج الحياة مرة أخرى، وهو بريء من هذا وذاك بدليل قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ وقوله تعالى ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا أنه لا يحب المسرفين﴾ ,

والخلاصة: أن الغلو فى الدين أمر مذموم، حذر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، بقوله: إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحدًا إلا غلبه فسددوا وقاربوا، وأبشروا وإستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة كما روى ذلك البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه.

باب

«ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده»

فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجدًا ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شِرار الخلق عند الله، فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل، ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا أغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك ولعنة الله على اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا ، أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول «إني ابرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله قد إتخذني خليلًا كما إتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لأتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد - فإني

أنهاكم عن ذلك»، فقد نهى عنه فى آخر حياته ثم أنه لعن - وهو فى السباق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبن مسجد، وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجدًا - فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد إتخذ مسجدًا ، بل كل موضع يصلي فيه يسمى مسجدًا ، كما قال صلى الله عليه وسلم، جُعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم فى صحيحه.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل,

الثانية: النهي عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك.

الثالثة: العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا أولًا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان النزع لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده صلى الله عليه وسلم تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة فى عدم إبراز قبره.

التاسعة: فى معنى إتخاذه مسجدًا .

العاشرة: أنه قرن بين من إتخذها مسجدًا ، وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره فى خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة، والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بلى به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق، أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ المجدد رحمة الله عليه، من هذا الباب الإبتعاد عن كل وسيلة قد تؤدي إلى أى نوع من أنواع الشرك.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب أربعة أحاديث:

أولها حديث أم سلمة[1] رضى الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم بأنها لما هاجرت مع زوجها أبي سلمه إلى الحبشة بعد إضطهاد مرير من المشركين، رأت هناك كنيسة[2] فيها تصاوير، فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام: مخبرًا لها عن دافع أولئك الناس، بأنهم إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح: بنوا على قبره مسجدًا - يعني مكانًا للعبادة، وصوروا فيه تلك الصور التي رأتها أم سلمة ثم وضح عليه السلام أن عملًا كهذا ضلال وبُعد عن الله إذ قال عليه السلام: أولئك شِرار الخلق عند الله، أى أولئك الذين يعملون هذا العمل هم شرار الخلق عند الله، لما سنوه من سنة سيئة أدت بمن جاء من بعدهم إلى عبادة غير الله، وفى هذا دليل على تحريم بناء المساجد على القبور.

---

(١) أم سلمة: أسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أبي سلمة سنة أربع من الهجرة.

(٢) الكنيسة: مكان العبادة لدى النصارى.

قوله: «فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل» هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد أورده الشيخ محمد رحمه الله للتنبيه على ما وقع فيه الجُهال من الإفتتان بالقبور والتماثيل.

الثاني: حديث عائشة وفيه تخبر رضى الله عنها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ظهرت عليه علامات الوفاة وحان إلتحاقه بالرفيق الأعلى، جعل يضع كساءًا له على وجهه، فإذا غطى به وجهه أزاله عنه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا)، أي أبعد الله اليهود والنصارى وطردهم من رحمته، بسبب جعلهم قبور أنبيائهم مساجد، ومعنى هذا أن كل من فعل مثل فعل اليهود والنصارى فقد إستحق الإبعاد من رحمة الله، وكلمة «يحذر ما صنعوا» ليست من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يظهر، وإنما هى من كلام عائشة رضى الله عنها، ومعنى يحذر ما صنعوا، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام يحذر أمته أن تفعل كما فعل اليهود والنصارى من إتخاذ القبور مساجد فيكون ذلك سببًا فى عبادة القبور، قوله: (ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا) يعني لولا الخوف من إتخاذ قبره مسجدًا لجعل بارزًا فى البقيع، مع قبور الصحابة رضى الله عنهم، لكنه أمر أن يُدفن فى المكان الذى توفي فيه، وقيل أن الصحابة رضى الله عنهم هم الذين خشوا فيما لو أبرز قبره أن يغلو فيه الناس فبقى فى مكانه الذى توفي فيه.

الثالث: حديث جندب بن عبد الله وفيه يقول: أنه سمع رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل» أى إني أعلن فى عزم وتصميم بأنى أمتنع عما لا يجوز لى فعله من إتخاذ أحد تتجاوز مودته فى قلبي مكانة الحب إلى مقام الخلة - التي هى نهاية الحب ,

لأن الحب الذى يملك على الإنسان مشاعره وأحاسيسه، ويطغى على عقله وفكره، ينبغي ألا يكون إلا الله، صاحب الفضل والاحسان،

و قوله (فإن الله قد إتخذنى خليلًا كما إتخذ إبراهيم خليلا)، بمعنى أن الله جلت قدرته منحه المكانة الرفيعة من حبه - كما منحها لإبراهيم عليه السلام - لذا ولأن قلبه عليه الصلاة والسلام قد إمتلأ بحب الله وتعظيمه، لم يتخذ له خليلًا من البشر وقال: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» أى لو كان فى نيتي أن أجعل لى خليلًا من البشر لكان أبا بكر، وفى هذا دلالة على ما يحتله أبو بكر من مكانة رفيعة فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن فيه إشارة إلى أولويته بالخلافة، وإستخلافه عليه الصلاة والسلام له فى الصلاة بالناس فى مرض موته يؤيد أنه أحق بالخلافة من غيره، ولذا إنتخبه الصحابة للخلافة، فكان أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبياهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)، فى هذا المقطع من الحديث خبر، ونهي، الخبر: أنه عليه السلام أخبر أن اليهود والنصارى كانوا

يصلون لله فى مدافن أنبيائهم، ويتوجهون بالصلاة إلى قبورهم.

والنهي: أنه بعد أن أمر ألّا يتخذ المسلمون القبور مساجد قال: «فإنى أنهاكم عن ذلك، أي أنهاكم أن تفعلوا كما فعل من كان قبلكم من جعل القبور مساجد»، قوله: فقد نهى عنه فى آخر حياته إلى آخر الحديث كلمة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولا شك أن نهيه عليه السلام عن الصلاة عند القبور، وإن كانت الصلاة لله، ولعن من فعل ذلك، كان المقصود منه إبعاد المسلم عن كل وسيلة يمكن أن تؤدي إلى أى نوع من أنواع الشرك مع الله فى عبادته.

الرابع: حديث ابن مسعود رضى الله عنه الذى جاء فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد».

ويتضمن هذا الحديث أمرين:

الأول: أن تغييرات فكرية وخلقية ستحصل فى المجتمع البشرى، ينحرف معها الإنسان عن طريق الله الذى أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، ولقد وقع هذا كما أخبر عليه السلام، فالمجتمع العالمي الآن يتجه إلى منحدر رهيب من التفسخ والإنحلال، وإنكار أن يكون لهذا الكون خالق أوجده من العدم، ومعنى هذا ان وقتًا سيأتى تتنكر فيه أغلب المجتمعات البشرية لكل القيم والأخلاق، ويصبح فيه الناس بلا دين ولا أخلاق،

ومجتمع هذا شأنه، مجتمع أشرار ولا شك - يشير إلى هذا المقطع الأول من الحديث «أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء».

ومعنى هذا أن الذين تقوم عليهم الساعة وهم أحياء إنما هم من شرار الناس وما ذلك إلا لما يعيشه الناس أو أغلبهم فى ذلك الزمن من حياة تحكمها الشهوات والأهواء، وتتغلب عليها نوازع الشر وعوامل الفساد ,

الثاني: من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد وما ذلك إلا لأن الصلاة عند القبور، وبناء المساجد عليها، وسيلة من وسائل الوقوع فى الشرك الذى هو أشد الذنوب جرمًا ، وأسوأها مصيرًا ، وأقبحها نهاية، لهذا ذكر الرسول عليه السلام - إن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، ولا ريب أن من أنكر فضل الله عليه، وأشرك معه أحدًا فى عبادته، فهو من شرار خلق الله عملًا ومصيرًا .

باب

ما جاء إن الغلو[1] فى قبور الصالحين يصيرها أو ثانا تعبد من دون الله

روى مالك[2] فى الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، إشتد غضب الله على قومٍ إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولإبن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد, والسرج، رواه أهل السنن.

◆ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

(١)الغلو: مجاوزة الحدود التي حددها الله.

(٢)مالك: هو مالك بن أنس أمام دار الهجرة واحد الأئمة الأربعة.

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا إتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه إسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

- **الهدف:**

قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب التحذير من تعظيم قبور الصالحين وأن مجاوزة الحد فى تعظيمها يؤدي فى النهاية إلى عبادتها من دون الله.

- **الشرح:**

أورد الشيخ رحمه الله تحت هذا الباب حديثين وروايتين للإستدلال بهما على التحذير من الغلو فى تعظيم القبور إلى درجة تتنافى مع التوحيد الخالص لله رب العالمين - فأورد حديث مالك الذى جاء فيه دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام بأن لا يجعل قبره وثنًا يُعبد، وفى دعاء الرسول هذا

تحذير للبشرية من الإتجاه إلى الوثنية على أى شكل من أشكالها القديم أو الحديث.

وقد استجاب الله دعاء رسوله، فصان قبره من العبادة وحماه من الوثنية، وبعد أن وجه الرسول دعاء المستجاب، أخبر أن غضب الله كان شديدًا على الذين يجعلون قبور أنبيائهم مساجد، وفى هذا إشارة إلى تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها وتحذير من التورط فيما وقع فيه اليهود والنصارى من عبادة أنبيائهم بسبب الغلو فيهم.

وفى رواية ابن جرير[1] عن مجاهد فى قول الله ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ تقريع وتوبيخ لسخفاء العقول من الناس الذين يحملهم الغلو على عبادة البشر كما فعل أولئك الذين عبدوا اللات، ذلك الرجل الصالح الذى كان يلت السويق للناس (وفى رواية أبى الجوزاء كان يلت السويق[2] للحاج) فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه ووضعوا له صورة، وعبدوها، أو على عبادة الجماد كما فعلت قريش من عبادة العزى، تلك الشجرة التي كانت بين مكة والطائف، إلى أن قطعها خالد بن الوليد رضى الله عنه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن جرير: هو الامام الحافظ محمد إبن جرير بن يزيد الطبري، يقول بن خزيمة لا أعلم على وجه الأرض أعلم من محمد بن جرير.

(٢) السويق: دقيق الحنطة أو الشعير، لته (بله بالماء أو السمن).

و المناسبة التي أورد الشيخ هذه الرواية من أجلها هى أن الغلو فى ذلك الرجل لصلاحه حمل الناس فى عهده على أن يجعلوا قبره وثنًا من أوثان الجاهلية يقصده الناس للعبادة التي هى من خصائص الله وحده.

وحديث ابن عباس قصد المؤلف منه إيضاح تحريم زيارة القبور للنساء لأمرين: -

الأول: أن المرأة رقيقة العاطفة، سريعة الجزع، قليلة الصبر، وهذه الطباع ربما تدفعها إلى إزعاج الناس بالعويل والبكاء داخل القبور.

الثاني: أنه لو فتح الباب أمام النساء لزيارة القبور فإن ذلك سوف يؤدى إلى أمور محرمة وسوف يتخذ كثير ممن لا تؤثر زيارة القبور فى نفوسهم شيئًا هذه الأمكنة ملتقى للوصول إلى أغراض لا يرضى عنها الله جل جلاله.

وأما تحريم البناء على القبور وإضاءتها إلا من أجل الحيلولة دون تعظيمها الذى يوقع فى عبادة المخلوقين.

◆ **الخلاصة:**

حرص الإسلام كل الحرص على تحرير نفس المسلم من العبودية إلا لله وحده ولهذا سأل الرسول عليه السلام ربه ألّا يجعل قبره وثنًا يعبد.

باب

ما جاء فى حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ الآية (التوبة - ١٢٨)، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوا قبرى عيدًا ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلُغني حيث كنتم)، رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات.

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلًا يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا ، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلُغني أين كنتم) رواه فى المختار.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاد أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة القبور على وجه مخصوص.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافله فى البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بَعُد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض عليه أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه.

◆ **الهدف:**

قصد المولف رحمه الله من هذا الباب بيان أن كل الأسباب والوسائل التي قد تُقرب من الشرك ينبغى البُعد عنها.

◆ **الشرح:**

ذكر المؤلف رحمة الله عليه فى أول هذا الباب الآية القرآنية ليدلل بها على أن الله سبحانه أرسل إلى العرب رسولًا من جنسهم، يؤلمه أشد الألم أن ينالهم مكروه فى الدنيا أو يحل بهم عقاب فى الآخرة ومن هنا جاء حرصه على هدايتهم وصلاح شأنهم ورأفته ورحمته بهم، ومن رأفته ورحمته بهم، أن

يوجههم إلى ما يقيهم من الوقوع فيما وقع فيه المشركون من إنحراف عن توحيد الله.

وجاء حديث أبى هريرة بعد الآية الكريمة وبه ثلاثة أمور من الرسول صلى الله عليه وسلم.

الأول: قوله: (لا تجعلوا بيوتكم قبورًا) بمعنى لا تُعطلوا بيوتكم من القراءة والصلاة فيها، فتكون كأنها قبور وفى هذا إشارة إلى النهى عن العبادة عند القبور

الثاني: قوله: (ولا تجعلوا قبرى عيدًا [1]) بمعنى لا تحددوا مكانًا أو زمانًا معينًا للسلام علّى

الثالث: قوله: (وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلُغني حيثُ كنتم) بمعنى إن صلاتكم علي تصلني فى أى مكان كنتم، كما ورد بذلك الحديث الوارد فى السلام (أن الله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتي السلام) إذا فلا حاجة إلى تخصيص مكان أو زمان من أجل السلام عليّ يؤكد هذا ما جاء فى نهي علي بن الحسين رضى الله عنه لذلك الرجل الذى كان يجي إلى فرجة[2] كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، وأورد دليلًا على ذلك حديثًا سمعه من أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١)العيد: إسم للشيئ يتكرر مجيئه سواء كان هذا التكرر أسبوعيًا أو شهريًا أو سنوياً.

(٢)الفرجة: هي المدخل الصغير.

فذكر نفس الحديث الذى رواه أبو هريرة فى أول هذا الباب وهذا فيه دلالة صريحة على أن المجيء إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لتحري إجابة الدعاء عنده ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة وغير رسول الله من البشر أحق بعدم تحرى إجابة الدعاء عند قبره، وكل ذلك من أجل البُعد بالعقيدة الخالصة الله عن أن تتلوث من قريب أو بعيد بأى تعظيم لأي شيء تكون نتيجته إشراك مع الله فى عبادته.

باب

ما جاء إن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت[1] والطاغوت[2] ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ (النساء - ٥١) وقول الله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ الاية (المائدة - ٦٠).

وقول الله تعالى: ﴿قال الذين غلبوا على أمر دم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ (الكهف - ٢١) ,

عن أبي سعيد رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعُن سنن من كان قبلكم حذو القذه[3] بالقذه حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي يبلغ

---

(1) الجبت: المراد به هنا الخرافات.

(2) الطاغوت: ما تكون عبادته والإيمان به سببًا للخروج عن الحق.

(3) القذه: بمعنى إنكم ستعملون ما يعملونه سواء بسواء.

ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتي أن لا يُهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو إجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضا، ورواه البرقاني فى صحيحه

وزاد (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئات من أمتي الأوثان وأنه سيكون فى أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى»

- **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت هل هو إعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بعضها ومعرفة بطلانها.

الخامسة: قولهم أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلًا من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبى سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان فى هذه الأمة فى جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب خروج من يدّعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق، وفيه أن محمدًا خاتم النبيين ومع هذا يصدق فى هذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئات كثيرة.

التاسعة: البِشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة, منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يُرفع إذا وقع، وإخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحد منها أبعد ما يكون فى العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

◆ **الهدف:**

فى هذا الباب التأكيد على أن ما أخبر به محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام من أمور غيبية سوف تقع، وأهمها إرتداد بعض هذه الأمة عن الإسلام، وقد وقعت كلها كما أخبر وسيأتي تفصيل ذلك الشرح: أورد المؤلف رحمه الله تحت هذا الباب ثلاث آيات من كتاب الله العزيز وحديثين عن رسول الله عليه السلام.

فالآية الأولى: من سورة النساء تشير إلى حِرمان اليهود الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب، من هدايته بتعظيمهم غير الله بالعبادة ومساعدتهم للمشركين على المؤمنين بالله ورسوله، وإنكارهم لدعوة رسول الله وعدم إيمانهم به مع علمهم بأنه رسول الله الذى أخبرت عنه كتبهم التوراة والإنجيل، ووجه الإستدلال بهذه الآية أنه مطلوب من اليهود كغيرهم من البشر الإيمان بالدين الإسلامي الحنيف الذى جاء به محمد عليه السلام ولكنهم لم يؤمنوا بل عاندوا وبقوا على ما هم عليه من كفر وعناد.

والآية الثانية: من سورة المائدة وبعد إن نهي الله فى الآية قبلها عن إتخاذ اليهود والنصارى أولياء من دونه وأنه لا يواليهم إلا مرضى القلوب من المنافقين أعاد النهي فى هذه الآية عن موالاة الكفار عامة الذين إتخذوا دين

الله هزوًا ولعبًا وأخبر عما هو شر منهم فقال: ﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾، والمقصود من الإستدلال بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وعبد الطاغوت﴾.

والآية الثالثة: من سورة الكهف وبعد أن ذكر الله قصة الفئة المؤمنة من الشباب الذين أووا إلى الكهف فرارًا بدينهم من عبادة غير الله والذين بقوا فيه نيامًا ثلاثمائة سنين وإزدادوا تسعا، أخبر أن الفريق الآخر الذين كانوا فى شك من قدرة الله على أحياء الموتى بعد أن عثروا عليهم إتفقوا على أن يبنوا عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس وإتخاذ المساجد على أضرحة الأولياء والصالحين والتمسح بأعتابها، وثنية مقنعة وعودة إلى عبادة الأوثان وذلك إشراك بالله فى ربوبيته وعبادته.

ثم بعد هذه الآيات الثلاث وما جاء فيها يأتى حديث أبى سعيد رضى الله عنه ليقرر حقيقة نعيشها الآن تلك هى تقليد المسلمين لليهود والنصارى فى أفعالهم وأعمالهم وتصرفاتهم وهذه علامة من العلامات التي تؤكد لكل البشر أن محمدًا عليه الصلاة والسلام رسولٌ من عند الله وقد وقع ما أخبر به من لا ينطق عن الهوى، فقد إتبع كثيرٌ من المسلمين اليهود والنصارى فى الإلحاد والإنحرافات الخُلقية فكثير من المسلمين يستبيحون لأنفسهم كل الآثام والذنوب تقليدًا لليهود والنصارى حتى فى العبادة قلدوهم فيها - فالنصارى المتدينون لا يذهبون إلى الكنيسة إلا فى يوم الأحد، وكذلك كثير من المسلمين لا يأتون للصلاة فى المسجد إلا يوم الجمعة،

وربما إن بعضهم لا يصلي الصلاة إلا يوم الجمعة، ولم يكن نصيب المرأة المسلمة فى هذا التقليد الضار بأقل من نصيب الرجل بل هى تزيد عليه بتقليدها للمرأة اليهودية والنصرانية فى عرض جسدها عاريًا من لباس الحياء والحشمة، وفى إختلاطها فى وقاحة وإستهتار بالرجال فى المنتزهات، والنوادي العامة وفى عدم إحترامها لعفتها وشرفها وكرامتها، وأعظم من هذا وذاك أن النصارى يصنعون لبعض زعمائهم تماثيل على صورهم تكون أحيانا من الحجر وتكون من النحاس وغيره

وتوضع هذه التماثيل فى الميادين العامة، كما توضع فى بيوت خاصة، وكذلك إتباعا للنصارى قام بعض المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية بصُنع تماثيل لبعض زعماء المسلمين ووضعت هذه التماثيل فى الميادين العامة وفى أمكنة خاصة، كما قاموا بتشييد قباب على قبور من يقال أنهم من أولياء الله الصالحين.

ثم فى نهاية الباب يورد الشيخ رحمه الله حديث ثوبان الذى أخبر فيه الرسول عليه السلام بأن الله بقدرته طوى له الأرض حتى جعل ينظر إلى ما سوف تملكه أمته منها فى أقاصي المشرق والمغرب وأن أشياء عشرة وردت فى الحديث سوف تحدث فى السنين القادمة من الزمان وقد حدثت كما أخبر وهذه الاشياء العشرة:

أولها: أن ملك أمته إمتد غربًا إلى أقصى طنجة من بلاد المغرب وشرقًا

إلى ما وراء خراسان وكثيرًا من بلاد الصين.

الثاني: إستولى المسلمون على مُلك قيصر ملك الروم وكنوزه وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأحمر أى الذهب لأنه النقد الغالب فى بلاد الروم وكذا مُلك كسرى ملك الفرس وكنوزه وهو ما عبر عنه عليه السلام بالأبيض أي الفضة لأنه النقد الغالب فى بلاد الفرس وذلك فى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

الثالث: أن الله سبحانه استجاب لطلب نبيه لم يسلط على أمته هلاكًا عامًا بسبب تتابع السنين المجدبة.

الرابع: أن الله لم يسلط على كافة المسلمين عدوًا خارجيًا يستولي على جميع البلاد الاسلامية إلى أن يحدث الإختلاف فيما بينهم وكان ذلك ما حدث فيوم أن كان المسلمون مشدودين برباط عقيدة الإسلام الخالصة الصافية كانوا فى قمة المجد ومركز القوة ولم يستطع أى عدو خارجي مهما كانت قوته أن يستولي على بلاد المسلمين وحرماتهم إلى أن إنتشرت الخلافات فيما بينهم وأخذ بعضهم يأكل بعضًا كما تأكل النار حصيلتها من الحطب وهنا وجد العدو الخارجي طريقًا للتسلط عليهم والإستيلاء على بلادهم.

الخامس: وقع ما تخوف منه الرسول عليه السلام من وجود قادة وزعماء وعلماء وعباد كان لهم النصيب الأوفي فى الإنحراف بالأمة عن

طريق الله المستقيم إلى الطرق المنحرفة التي أدت بكثير من المسلمين إلى التنكر لعقيدتهم وإسلامهم فكثير من قادة وزعماء المسلمين إنحرفوا بسياسة بلادهم إلى إتجاهات تخالف اتجاه الإسلام تمام المخالفة، وعدد من علماء المسلمين تساهل فى التوسل بالأموات وبناء القباب على القبور مما أوقع فى الشرك بالله ومجموعات من العباد عرضوا الإسلام عن طريق حياتهم الخاملة الكسولة فى صورة ممقوتة مشوهة، وضللوا عن طريق خرافاتهم كثيرًا من جُهال المسلمين وعرضوا الإسلام نفسه الإنتقادات كثيرة من أعدائه والكائدين له.

السادس: بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه لم يُرفع السيف إلى وقتنا هذا والأدلة حية نعيشها ونراها رأي العين فكل المجازر البشرية التي حصلت فى المدى البعيد والقريب فى البلاد الاسلامية وبين المسلمين أهل البلد الواحد لا من أجل الغيرة على دين الله وإنما محاولة للحصول على مراكز الحكم إنما هو تأكيد لما أخبر به الرسول عليه السلام.

السابع: إرتد عامة العرب عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدت جماعات كثيرة الأوثان وما تزال جماعات كثيرة إلى عصرنا هذا ترتد عن الإسلام إلى الإلحاد وإنكار الله كما توجد حتى الآن جماعات تعكُف حول قبور من يقال عنهم أنهم عباد صالحون يستغيثون بهم بينما هم فى عجز تام عن تحقيقه.

الثامن: وتصديقًا لإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فقد إدعى النبوة فى عهده عليه السلام الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وفى عهد أبى بكر إدعى النبوة طليحة بن خويلد وسجاح بنت المنذر، وفى أول خلافة ابن الزبير إدعى النبوة المختار بن أبى عبيد الثقفي، وفى عهد عبد الملك بن مروان خرج الحارث الكذاب مُدعيًا النبوة وفى خلافة بني العباس خرج عدد من الكذابين يدعون النبوة، وما يزال أناس من وقت لآخر يدعون النبوة ففي عام ١٢٠٩ هـ إدعى محمد علي الشيرازي البابي النبوة، ومن قلب البابية نبتت حركة البهائية التي يتزعمها الميرزا حسين علي المازندراني، وفى عام ١٣٢٧ هـ إدعى النبوة زعيم القاديانية الميرزا غلام أحمد والذى عرف مذهبه بالمذهب القاديانى، ويوجد الآن فى أمريكا شخص يدعى اليجا محمد يدعي لنفسه النبوة ويقول: أنه فى السود، وكل هذه المذاهب وجدت من أجل تشويه الإسلام، وإفساد عقائد المسلمين، وتحديد الرسول الكذابين بثلاثين ليس المقصود به حصر الكذابين فى نطاق هذا العدد وإنما كان يقصد الذين يشتهر أمرهم على نطاق واسع ويكون لهم أتباع كثيرون.

التاسع: كان قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ما كان محمد ابًا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ واضحًا فى أن محمدًا خاتم النبيين كما أخبر بذلك فى الحديث ولأجل هذا فإن كل مُدع للنبوة بعد محمد كذّاب تجب محاربته.

العاشر: بالرغم من المحاربة المستمرة للإسلام منذ بزوغ شمسه إلى

يومنا هذا والدسائس والمكائد التي تحاك ضد كل الدعاة إليه والمدافعين عنه فإنه ما تزال هناك جماعات تقف فى صمود وإيمان داعية للإسلام ومدافعة عنه رغم ما تعانيه هذه الجماعات من قتل وتشريد وإضطهاد ولكن الله دائما يقف مع أهل الحق ينصرهم ويشد من أزرهم ولن يتخلى عنهم أبدًا حتى يأذن بفناء هذه الأرض لأن الله جل جلاله لا يخلف وعده وقد وعد بأنه لا يتخلى عن عباده المؤمنين.

باب

ما جاء فى السحر(1)

وقول الله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق﴾ (البقرة - ١٠٢) وقوله: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ (النساء - ٥١) قال عمر: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقال جابر: الطواغيت كُهّان كان ينزل عليهم الشيطان فى كل حى واحد.

عن أبي هريرة رضى الله عنه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وعن جندب مرفوعًا «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف.

وفى صحيح البخارى عن مجالة بن عبده قال: كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن أقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقتلنا ثلاثة سواحر، وصح عن حفصة رضى الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت

(1) السحر: لغة ما لطف مأخذه وخفي سببه.

وكذلك صح عن جندب قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

◆ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنبي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده.

◆ الهدف:

قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب بيان أن من تعلم السحر وعمل به كفر.

◆ الشرح:

ذكر الشيخ المصلح رحمه الله تحت هذا الباب لبيان تحريم تعاطي السحر وحكم فاعله آيتين وحديثا مرفوعا، وحديثا موقوفًا وثلاثة آثار ففي

الآية الأولى نص صريح على أن السحر كان يُعلّم ويُلّقن وهو إما حيلة وشعوذة كما يفعل ذلك من يسمون أنفسهم بقراء الكف، ومن يزعمون أن الجن مسخرون لهم، كما حصل لسحرة فرعون الذين إستعانوا بالزئبق على إظهار الحبال والعصي بصورة الحيات والثعابين حتى خُيّل إلى الناس أنها تسعى.

وأما حقيقه كما ورد ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ لأنه لو لم يكن حقيقة لم يأمر الله نبيه بالإستعاذة من شر السواحر اللاتى يعقدن العقد وينفثن فيها، وقوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ ومهما يكن من أمر فإن السحر سبب من الأسباب فإذا أُصيب أحد بضرر منه فإنما ذلك بإرادة الله، ولقد أورد الشيخ رحمه الله هذه الآية مستدلا بها على أن فريقًا من أهل الكتاب كذّبوا الرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب الذى أُنزل عليه (القرآن) ونبذوا بهذا التكذيب التوراة التي تُثبت أن محمدًا رسول من عند الله وإتبع فريق من أحبار اليهود وعلمائهم الذين نبذوا التوراة تجاهلًا منهم بما هم عالمون به وإتبعوا السحر الذى تلته الشياطين فى عهد سليمان بن داود وعملوا به ولأجل هذا أخبر الله أن هؤلاء الذين إختاروا علم السحر وعملوا به وأنكروا ما أثبتته التوراة من نبوة محمد عليه السلام أنهم لا نصيب لهم فى الآخرة.

أما الآية الثانية ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ فقد سبق الكلام عليها

فى الباب السابق إلا إن عمر رضى الله عنه فى هذا الباب فسر الجبت بالسحر والطاغوت بالشيطان ويقول جابر بن عبد الله: الطواغيت كُهان كان ينزل عليهم الشيطان فى كل حى واحد يعني كان لكل قبيلة من القبائل كاهن يفصل فى مشكلاتهم، وينزل عليه الشيطان بخبر السماء إلى أن حرست السماء بالشُهب، بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم.

وجاء حديث أبى هريرة بعد هاتين الآيتين ليأمر بالإبتعاد عن سبعة أشياء خطيرة لما تسببه من عقوبات فى الدنيا والآخرة، والمناسبة التي ذكر الحديث من أجلها فى هذا الباب هى كلمة السحر البيان أن السحر من السبع المُهلكات وقد جاء ترتيب هذه السبع الموبقات على النحو التالي:

١)الشرك بالله: وبدأ به لأنه ليس هناك ذنب أعظم من الشرك بالله فالله لا يغفر لمن مات مشركًا ، ولا يُدخله الجنة ومأواه النار خالدًا فيها.

٢) السحر: وقد جاء فى المرتبة الثانية لخطورته على إفساد العقائد، وضرره الذى يتعدى إلى الآخرين.

٣) قتل المسلم بغير حق: ومثله قتل المعاهد بدون جريمة ولجسامة الجريمة فى قتل المسلم بغير حق قررته الشريعة، جاء قول الله تعالى موضحًا الجزاء: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدا فجزاءه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾، كما جاء فى تحريم قتل المعاهد بغير جريمة ينتفي بها عهده قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة).

٤) أكل الربا: ولشدة تحريمه لأنه أكل لأموال الناس بالباطل قال عنه الرسول عليه السلام: (الربا نيف وسبعون حوبا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه)

٥) التعدي على مال اليتيم: بعدم المحافظة عليه والإفساد فيه بأى طريق كان ولقد توعد الله الذين يفسدون أموال اليتامى بالأكل وغيره ظلمًا وعدم إهتمام بالأمانة فى قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾.

٦) الإنهزام وقت الملاقاة مع الكفار فى المعركة وذلك لما يترتب عليه من إضعاف معنويات الآخرين المشتركين فى القتال ولأن الهروب من المعركة يسبب انتصار للكفار على المسلمين، لذا توعد الله الفارين من المعركة جُبنًا وهلعًا بغضب الله كما جاء فى الآية الكريمة ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزًا إلى فئةٍ فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾

٧) آخر الأمور السبعة المهلكة إتهام المؤمنات العفيفات بالإنحراف وعدم الإستقامة وذلك لما يترتب على هذا من سمعة غير كريمة قد تحرمها من الحياة الزوجية السعيدة، وتخلع على ذويها ثوبًا من العار والفضيحة، ولحساسية هذا المسلك وفظاعته قال الله سبحانه وتعالى ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾.

بعد حديث أبى هريرة هذا جاء حديث جندب الذى قال عنه الترمذي أنه موقوف وخبر بجاله بن عبده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكذا خبر حفصة ومثله خبر جندب وكلها تدل على جواز قتل الساحر، قال الإمام أحمد بن حنبل صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

باب

بيان شىء من أنواع السحر

قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» قال عوف: العيافة - زجر الطير والطرق: الخط يخط بالارض والجبت قال الحسن: رنة الشيطان، إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وإبن حبان فى صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من إقتبس شعبة من النجوم فقد إقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه أبو داود واسناده صحيح.

وللنسائي فى حديث أبى هريرة «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه».

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا هل أنبئكم ما العضه هى النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من البيان لسحرا».

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجِبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم من أنواع السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن بعض الفصاحة منه.

◆ الهدف:

المقصود من ذِكر هذا الباب، توضيح بعض أنواع من السحر كان أهل الجاهلية يعتقدون إن لها تأثيرًا فى سعادتهم أو شقاوتهم فى نصرهم أو هزيمتهم، وبيان أن هذه الأشياء التي يعتقدون أنها تكشف شيئًا من علم المستقبل إنما هى خرافة لا تستند إلى حقيقة علمية وليست من باب خوارق العادات أو كرامة الأولياء.

◆ الشرح:

أورد الشيخ رحمه الله تحت هذا الباب خمسة أحاديث وكل حديث منها يدل على نوع معين من أنواع السحر.

فحديث قطن بن قبيصة، يدل على أن العيافة - وهى التفاؤل والظن

بأن أسماء الطيور وأصواتها وممراتها تدُل على أشياء قد تكون حسنة أو قبيحة، وقد تكون علامة على خير أو شر، وكمثال على ما كان يعتقده العرب قبل الإسلام، أن الطير إذا مر من فوقهم وإتجه ذات اليمين تفاءلوا بأن شيئًا فيه فائدة سوف يحصل لهم، أما إذا إتجه نحو الشمال فإن هذا يعني أن شيئًا غير محبوب سيقع عليهم وكذلك إذا كان إسم الطير أو صوته محبوبًا أو مكروهًا لهم تكون نفس النتيجة حسبما كانوا يعتقدون، كما يدل على إن الطرق، وهو الخط على الأرض ومثله ما يفعله بعض الدجالين من رجال ونساء من الضرب بالودع والحصى وإدعائهم أن هذا يكشف الاشياء المجهولة.

وقد أورد الشيخ رحمه الله هذا الحديث للإستدلال على أن العيافة والطرق من السحر، أما كلمة الطيرة فستأتى فى بابها إن شاء الله.

وحديث ابن عباس الذى جاء فيه «**من إقتبس شعبة من النجوم فقد أقتبس شعلة من السحر**»، سيأتى الكلام عليه فى باب التنجيم إن شاء الله.

ورواية النسائى عن أبى هريرة، إستدل بها على أن عقد الخيوط أو الشعر أو غير ذلك والنفخ فيها بقصد التأثير نوع من أنواع السحر ومن تعلم السحر القائم على الطلاسم والتقرب إلى الشياطين للإستعانة بهم فى جلب الأذى للآخرين صار مشركًا كما ورد فى آخر هذا الحديث أن من تعلق شيئًا وكل إليه فمن تعلق قلبه بالله حفظه من كل سوء ووقاه من كل مكروه،

ومن تعلق قلبه بعلم السحر المحرم والإعتماد على شياطين الجن والانس - ضاع وهلك.

وحديث ابن مسعود الذى هو الحديث الرابع فى هذا الباب فيه أن النميمة تحدث فى إفساد العلاقات بين الناس أكثر مما يفعله السحر.

وقد ذكر عن ابن كثير رحمه الله أن النمام والكذاب يُفسد فى الساعة الواحدة بمقدار ما يفسده الساحر فى السنة، وقد إعتبر الشيخ رحمه الله النميمة نوعًا من أنواع السحر، بجامع أن كلًا من السحر والنميمة مفسد للعلاقات التي أمر الله أن تبقى دائمًا فى صفاءٍ ونقاء.

وآخر حديث ورد فى هذا الباب قول الرسول عليه السلام: «**إن من البيان لسحرا**».

وقد سمي البيان سحرًا إما لرقة الكلام وروعة الأسلوب وصفاء الفكرة بحيث يستولى المتكلم على عقول السامعين ومشاعرهم وهذا سحر حلال إذا إستُخدم فى أغراض الخير وإسعاد الناس، وسمي هذا العمل سحرًا على المجاز لا على الحقيقة لأن الكلام الرقيق والأسلوب الرائع والفكرة الصافية كل هذه الأمور تفعل فعلها فى إستمالة القلوب كما يفعل السحر فى النفس,

وإما لقدرة المتكلم بأسلوب مؤثر على وضع الحق فى قالب الباطل أو الباطل فى صيغة الحق وهذا حرام لأنه أيضًا يشبه السحر من هذا الوجه.

باب

ما جاء فى الكُهان ونحوهم

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيءٍ فصدقه لم تُقبل له صلاة أربعين يوما**».

وعن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**» رواه أبو داود.

وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبى هريرة (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) ولأبى يعلى بسنِد جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا ,

وعن عمران بن حصين مرفوعًا «**ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**» رواه البزار بإسنادٍ جيد، ورواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادٍ حسن من حديث ابن عباس دون قوله (ومن أتى)، إلى آخره.

قال البغوى: العرّاف: الذى يدّعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن والكاهن: هو الذى يُخبر عن المغيبات فى المستقبل، وقيل: الذى يخبر عما فى الضمير، وقال أبو العباس ابن تيمية: العرّاف إسم للكاهن والمُنجّم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق، وقال ابن عباس فى قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون فى النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تكهن له.

الرابعة: ذكر من تطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم «أبا جاد».

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعرّاف.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب النهى عن تصديق الكهان وغيرهم من أصحاب الدجل والشعوذة وأن تصديقهم منافٍ للتوحيد.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب أربعة أحاديث كلها تدُل على التحذير من إتيان الكاهن وتصديقه فيما يقول، وقد وردت هذه الأحاديث الأربعة بألفاظ متقاربة.

ففي الحديث الأول: (من أتى عرّافًا فسأله عن شيءٍ فصدقه بما يقول لم تُقبل له صلاة أربعين يوما).

وفى الحديث الثانى: دلالة صريحة على أن من ذهب إلى كاهن معتقدًا أنه يستطيع كشف الغيبيات فإنه يكفر، لكنه كفر لا يُخرج المسلم من دائرة الإسلام.

أما الحديث الثالث: فيدل على ما دل عليه الحديث السابق له لكنه قال من أتى عرافا أو كاهنًا .

وإذا نظرنا إلى الأحاديث الثلاثة نجد أن الحديث الأول ورد فيه ذكر العراف والحديث الثاني ورد فيه ذكر الكاهن - والحديث الثالث ورد فيه ذكر الكاهن والعراف معًا - وحتى لا يكون هناك لبس فى المعنى فإن العراف إسم يشمل كل المشعوذين بما فيهم الكُهان والمُنجّمين، وقارئى الكف، وضاربي الودع وغيرهم من المرتزقة الذين يدّعون الكرامات وكشف الحجاب.

أما الحديث الرابع والأخير فى هذا الباب (حديث عمران بن حصين) فيه دلالة واضحة على براءة الرسول عليه الصلاة والسلام ممن تطير - يعني باشر عمل الطيرة بنفسه، أو تُطير له أى قبل أن تُعمل الطيرة من أجله، وتقدم الكلام على الطيرة فى باب سابق، أو تكهن يعني باشر عمل الكهانة بنفسه أو تُكهن له أى قبل أن تُعمل الكهانة من أجله، أو سحر: يعني باشر عمل السحر بنفسه أو سُحر له، أي قبل أن يُعمل السحر من أجله، وتقدم الكلام على السحر وأنواعه فى باب سابق وفى آخر الحديث جاء: (أن من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم).

باب

(ما جاء في النُشرة)

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن النُشرة فقال هى (من عمل الشيطان) رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال سُئل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله.

وفى البخارى عن قتاده: قلت لإبن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن إمرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه، انتهى.

وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

الأول: حل بسحر مثله، وهو الذى من عمل الشيطان وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: النهى عن النُشرة.

الثانية: الفرق بين المنهى عنه والمُرخّص فيه مما يزيل الإشكال.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان النُشرة ما يصح منها وما لا يصح والنشرة هى حل السحر عن المسحور - وهى نوعان كما ذكرها ابن القيم رحمه الله نوع محرم وهو حل السحر بسحر مثله وسبب تحريم هذا النوع أن الناشر يتقرب إلى الشياطين بأعمال غير مباحة من أجل الحصول على مساعدتهم فى إبطال السحر عن المسحور وهذا يتنافى مع التوحيد ونوع حلال وهو حل السحر عن المسحور عن طريق الإبتهال إلى الله والدعوات المخلصة إليه فى أن يزيل عن المسحور ما به من سحر، وكذلك عن طريق الأدوية المباحة.

◆ **الشرح:**

جاء تحت هذا الباب ثلاثة أسئلة وأثر واحد:

الأول: سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال «هى من عمل الشيطان»، والمقصود بالنُشرة هنا تلك التي كان أهل الجاهلية يعملونها، وهي حل السحر بسحر مثله.

الثاني: أجاب عنه الإمام أحمد بن حنبل بقوله أن ابن مسعود يكره

هذا كله (يعني أنه يكره النُشرة).

الثالث: أما السؤال الثالث فمن قتاده لإبن المسيب يسأله فيه عن رجل عمل له سحر حال بينه وبين مباشرة زوجته، أيصح حل السحر عنه أم لا؟ فيجيبه ابن المسيب بأن لا بأس بذلك ما دام الأمر للإصلاح ونفع الناس، ولكن قول ابن المسيب هذا يُحمل على أنه يقصد حل السحر بالطريق المباح.

وفى نهاية هذا الباب ورد الأثر عن الحسن أنه قال لا يحل السحر إلا ساحر وهذا معناه أنه لا يستطيع حل السحر إلا من تعلم السحر، وقد تقدم لنا أن من تعلم السحر للعمل به كافر.

باب

ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ الآية (١٣١ - الأعراف) وقوله: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ الاية (١٩ - يس) ,

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر» أخرجاه، زاد مسلم «ولا نوء، ولا غول» ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «لا عدوى ولا طيرة»، ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة» ولأبى داود بسنِدٍ صحيح، عن عُقبة بن عامر، قال ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: «اللّٰهُمَّ لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»

وله من حديث ابن مسعود مرفوعا «الطيرة شرك، الطيرة شرك وما منا إلا ,,, ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود والترمذى

وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولأحمد من حديث ابن عمرو «من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك، قالوا فما كفارة ذلك؟ قال

أن يقول: **اللّٰهُمَّ لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إلٰه غيرك»** , وله من حديث الفضل بن العباس «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»، فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله «**ألا إنما طائرهم عند اللّٰه**» مع قوله طائركم معكم»، الثانية: نفى العدوى، الثالثة: نفي الطيرة, الرابعة: نفي الهامة، الخامسة: نفي الصفر، السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب، السابعة: تفسير الفأل: أن الواقع فى القلب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل , التاسعة: ذكر ما يقوله من وجده، العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك، الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب إبطال العقيدة القائمة على أن شيئًا ما من مخلوقات الله يستطيع أن يأتى بخير للإنسان أو يدفع عنه.

الثامنة: شرًا دون إرادة من الله، وأن ما يعتقده الناس قديما وحديثا من أن للطير أو الأيام أو الشهور دخلا فى السعادة أو الشقاء - إنما هو خرافة أبطلها الإسلام لمنافاته للتوحيد، الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان وستة أحاديث كلها تدل على النبي عن التطير فى الآية الأولى يوضح الله موقف آل فرعون الجائر من موسى عليه السلام والذى يتلخص فى أنه إذا أصابهم خير وخصب وسعة فى الرزق قالوا هذا بسبب خصوبة أرضنا، ونتيجة لأعمالنا، وإذا أصابهم مرض أو جدب

أو غير ذلك من الأمور المزعجة لهم قالوا هذا بسبب شؤم موسى وقومه ,

(فإذا جاءتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئةٌ يطّيروا بموسى ومن معه) فنفى الله هذا الإعتقاد بقوله (ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون), يعني أن كل ما يصيبهم من خير أو شر إنما هو بقضاء الله وقدره.

وفى الآية الثانية من سورة يس إخبار عن تكذيب أهل انطاكية (قرية ببلاد الروم) للحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام إليهم ليعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة الأوثان، ولكنهم أصرّوا على بقائهم على الكُفر بالله مهددين الرسل بأن دعوتهم إلى التوحيد فيها شؤم بسبب استمالة بعضهم إلى عبادة الله وتفرق كلمتهم نحو الاتجاه إلى التوحيد أو البقاء على الوثنية، فرد عليهم الرسل بأن سبب شؤمهم إنما هو بسبب إشراكهم بالله وكفرهم وضلالهم،

بعد هاتين الآيتين تأتى الأحاديث وفى كل حديث منها استدلال على شيء أو أشياء مما هو ممنوع اعتقاده ,

فحديث أبى هريرة رضى الله عنه يوضح بُطلان ما يعتقده الناس فينفي أن الأمراض بطبيعتها تعدي الآخرين دون إرادة من الله وأن للطيور فى مرورها ذاتُ اليمين أو ذاتُ اليسار، أو مجيئها من الأمام أو الخلف أى تأثير فى حياة الناس من حصول الخير أو الشر كما كان يعتقد ذلك أهل الجاهلية

فى السوانح وهى الطيور التي تمُر من ناحية اليمين، والبوارح وهى التي تمر من ناحية اليسار، والناطح والنطيح وهو الذى يأتى من الأمام، والقاعد والقعيد وهو الذى يجىء من الخلف.

كما نفى الوهم القائم فى أذهان بعض الجُهّال من أن وقوع البومة على بيت من البيوت معناه إنذار بموت أحد سكان ذلك البيت.

وأخبر بأن شهر صفر كغيره من الشهور وأن ما يعتقده الجُهال من أنه أشهر مشئوم إعتقاد خاطئ أبطله الإسلام، وقوله فى رواية مسلم ولا نوء سيأتى الكلام عليه فى بابه.

قوله ولا غول: يعني أن الغول لا تؤثر مع ذكر الله والتوكل عليه والغيلان هى أشباح من الجن والشياطين تتلون أمام عيون الناس فى الليل فى صور مختلفة وتُضلهم عن الطريق فى الفلاة فيهلكون.

ويأتى بعد حديث أبى هريرة هذا حديث انس وفيه زياده ويعجبي الفأل قالوا: وما الفأل - قال الكلمة الطيبة وفى هذا دلالة على أن التفاؤل ليس من الطيرة التي نهى عنها, لأنه حُسن ظن بالله، أما التشاؤم فهو سوء ظن بالله وعلامة إيمان الإنسان أن يكون حسن الظن بالله فى كل لحظة من لحظات حياته.

وفى رواية عُقبة بن عامر أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفأل من الطيرة ولكنه فرق بينهما لما بينهما من الاختلاف فالفأل فيه نفع،

والتشاؤم فيه مضرة، ولهذا قال الرسول عليه السلام أحسنُها الفأل، ثم أخبر أن الطيرة لا ترد مسلما، وأشار إلى دعاء يقوله الإنسان عندما يرى ما يكره **«اللّٰهُمَّ لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك»**.

ويأتى بعد رواية عُقبة حديث ابن مسعود وفيه إشارة صريحة إلى تحريم الطيرة وأنها من الشرك لأنها تنافى التوكل على الله وتجعل الإنسان يعتقد أن الطيرة فيها نفع أو ضرر والنفع والضرر بيد الله وحده، فإذا تعلق قلب الإنسان بشيء غير الله فى النفع أو الضرر كان ذلك شركا، وليس هناك من شىء يُذهب الطيرة غير التوكل على الله، واعتقاد أنه هو صاحب الأمر والنهي والإرادة.

و بعد رواية عُقبة يجىء حديث ابن عُمر وبمعنى جديد وهو أن من عزم على فعل شىء فرأى أو سمع شيئا تشاءم منه فعدل عن فعل ذلك الشىء كان ذلك شركا، لكن إذا وقع التشاؤم فى قلب الإنسان ثم عدل عنه وسار فى تنفيذ ما هو عازم على فعله، فإن كفارة ذلك التشاؤم الذى وقع فى القلب ذلك الدعاء اللّٰهُمَّ لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك وفى نهاية هذا الباب يأتى حديث الفضل ليُبين أن الطيرة التي نهى عنها إنما هى تلك التي تمنع الإنسان من مواصلة السير فيما عزم عليه أو تدفع به إلى تنفيذ ما يُريده.

باب

ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم الثلاث زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، إنتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يُرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما، ورخّص فى تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبى موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر) رواه أحمد وإبن حِبان فى صحيحه.

- **فيه مسائل:**

الأولى: الحكمة فى خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف فى تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر ولو عرف أنه باطل.

◆ **الهدف:**

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب توضيح أن علم النجوم ينقسم إلى نوعين نوع يسمى علم التسيير وهو معرفة حركة النجوم وتنقلاتها وتحديد منازلها سواء عن طريق النظر بالعين المجردة أو بواسطة الآلات المقربةوهذا العلم مباح لعدم تعارضه مع العقيدة الخالصة لله.

ونوع يُسمى علم التأثير وهو الإعتقاد بأن للنجوم والكواكب تأثيرًا على ما يحدث على هذه الأرض من حرب أو سلم أو حياة أو موت أو نجاح أو فشل أو قدوم غائب أو شفاء مريض وهذا العلم محرم لأنه وهم وفيه تعارض مع ما إختص الله به نفسه من علم الغيب، وهو إلى جانب هذا شرك لأن نسبة الحوادث إلى غير الله شرك

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب أثر عن قتادة بيّن فيه أن هذه النجوم التي نُشاهدها فى السماء خُلقت من أجل أمور ثلاثة: -

أولها: أنها زينة للسماء وفيها بهجة وعبرة.

ثانيها: أنها بمثابة قذائف نارية لحماية السماء من الشياطين وهذا ما يُعرف فى عصرنا بالشهب الكونية.

ثالثها: أنها علامات يستدل بها المسافرون وغيرهم فى البر والبحر على جهة سيرهم ومعرفة القبلة لصلاتهم.

فإذا زعم أحد فيها غير هذه الثلاثة فقد أخطأ فى زعمه وكلف نفسه شيئًا لا يعلمه.

بعد أثر قتادة هذا ورد خلاف حول جواز تعلم منازل القمر فقتادة يكرهه وإبن عيينة لم يرخص فيه، واحمد وإبن اسحاق رخصا فيه.

والحقيقة إن تعلم منازل القمر مثل تعلم النجوم، فإذا كان الهدف

من تعلم منازل القمر يتعلق بأشياء علمية تتعلق بمصالح الناس فى حياتهم فهذا مباح، وإن كان الهدف من تعلم المنازل الإعتقاد بأن المنازل القمر المختلفة أي تأثير على الحوادث التي تقع على الأرض مثل السعادة والتعاسة، والربح والخسارة، والصحة والمرض مثلًا فهذا لا يجوز.

وفى نهاية هذا الباب يأتى حديث أبى موسى ليقرر أن جزًا ء شديدًا ومؤلمًا ينتظر مدمن الخمر يعني المداوم على شربها وذلك لما للخمر من مضرة على العقل والجسم والمجتمع، والقاطع للرحم يعني القاطع صلته بأقاربه والمانع خيره عنهم والمصدق بالسحر وقد تقدم الكلام عليه فى بابه والشاهد من هذا الحديث قوله: ومصدق بالسحر، لأن تعلم النجوم للإعتقاد بأنه لها تأثيرًا على الحوادث الأرضية يقوم على الوهم والتخمين والظن الكاذب وهذا نوع من السحر.

باب

ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢].

عن أبي مالك الأشعرى رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربع فى أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن فى الأنساب، والإستسقاء بالنجوم، والنِياحة) وقال: (النائحة إذا لم تَتُب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سِربال من قطران ودرِع من جرب) رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحُديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما إنصرف أقبل على الناس فقال (هل تدرون ماذا قال ربكم)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: قال: (أصبح من عبادي مؤمن بى وكافر فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بى كافرٌ بالكوكب وأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكوكب).

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ إلى قوله ﴿تكذبون﴾.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التى من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر فى بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان فى هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر فى هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله لقد صدق نوء كذا وكذا.

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالإستفهام عنها، لقوله أتدرون ماذا قال ربكم.

العاشرة: وعيد النائحة.

الهدف

القصد من هذا الباب بيان أن نسبة نزول المطر إلى وجود القمر فى منزلة من منازله الثمانية والعشرين، أو إلى طلوع نجم أو غروبه أمر يتنافى مع توحيد الله إذا اعتقد القائل بأن للقمر أو النجوم أى تأثير فى نزول المطر.

◆ الشرح:

ذكر الشيخ رحمه الله ورضى عنه تحت هذا الباب آية واحدة وثلاثة أحاديث ففي الآية الكريمة يُنكر الله على الذين ينسبون نزول المطر إلى الأنواء ويعتقدون أن لها دخلًا فى ذلك، كما يعتقد ذلك المنكرون لوجود الله الذين ينسبون كل مظاهر هذا الكون إلى الطبيعة، فيقول: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ يعني وتجعلون شكر رزقكم إذا مطرتم ﴿انكم تكذبون﴾ أن الله هو الذى أنزله وتقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا، على أن ذلك لا يعني إنكار نزول المطر فى أوقات معينة من السنة بإرادة الله لا بتأثير الظواهر الطبيعة من طلوع نجم أو أُفوله كما يعتقد ذلك الطبيعيون الذين ينسبون كل شىء إلى الطبيعة.

ويأتى بعد هذه الآية حديث أبى مالك الأشعرى الذى أخبر فيه الرسول عليه السلام أن أمورًا أربعة مما كان يفعله الناس فى الجاهلية لا يتركها الناس حتى بعد دخولهم فى الإسلام هذه الأمور الأربعة هى:

أولًا: الفخر بالأحساب يعنى تعالى بعض الناس على بعض بمفاخر

آبائهم وأجدادهم وإعتقادهم بأنهم أفضل من غيرهم من عباد الله رغم قول الرسول صلى الله عليه وسلم «ألا إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم

وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان».

ثانيًا: الطعن فى الأنساب، يعني التقليل من شأن بعض فئات معينة من المجتمع بسبب عدم معرفة إنتسابهم إلى قبيلة معروفة من قبائل العرب، رغم أن القرآن جعل مقياس التفاضل فيما بين البشر الإستقامة فى طاعة الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

ثالثًا: الإستسقاء بالنجوم، يعني الإعتقاد بأن المنازل القمر ومطالع النجوم تأثيرًا فى نزول المطر كما كان يعتقد ذلك أهل الجاهلية فهذا الإعتقاد شرك لأن المطر لا ينزل إلا بإرادة الله وأمره، وليس لمنازل القمر أو النجوم دخل فى ذلك.

رابعًا: النياحه، يعني رفع الصوت بالبكاء عند نزول المصائب أو عمل أى شىء يدل على الجزع مما قدره الله وقضاه كما يفعله الكثير من الناس اليوم عندما يموت لهم قريب أو صديق.

وهذه الأمور الأربعة ما يزال الناس متمسكين بها كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، والشاهد من هذا الحديث قوله الاستسقاء بالنجوم.

ثم يورد الشيخ رحمه الله بعد حديث أبى مالك حديث زيد بن خالد

ليدلل به على أن من اعتقد أن للنجوم تأثيرًا فى نزول المطر فهو كافر بالله).

فيقول زيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية بعد مطر نزل فى تلك الليلة وبعد أن انتهى من صلاته سأل الناس قائلًا: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: **(أصبح من عبادي مؤمن بى وكافر فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب).**

والمعنى أن من نسب نزول المطر إلى الله صار من المؤمنين بالله لأن الله هو الذى يملك إنزال المطر دون غيره.

وأن من نسب نزول المطر إلى النجوم أو غيرها من المخلوقات فهو كافر بالله لأن النجوم وكل المخلوقات لا دخل لها فى التصرف فى مُلك الله ولا تستطيع أن تؤثر فى شىء دون إرادة الله.

باب

قول الله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ الآية ﴿البقرة - ١٩٠﴾

وقوله: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم - إلى قوله - أحب اليكم من الله ورسوله﴾ الآية ﴿التوبة٢٦﴾

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، اخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف فى النار) وفى رواية (لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى) إلى آخره.

وعن ابن عباس قال (من أحب فى الله، وأبغض فى الله، ووالى فى الله، وعادي فى الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه - حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا تجدي على أهله شيئًا ، رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس فى قوله «**وتقطعت بهم الأسباب**» قال: المودة.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للايمان حلاوة قد تجدها العبد وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا تجد أحد طعم الإمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابى للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير ﴿**وتقطعت بهم الاسباب**﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًا شديدًا

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من إتخذ ندًا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

◆ الهدف:

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب التنبيه على أن من جعل الله مساويًا فى المحبة والطاعة والتعظيم فهو مشرك.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديثان وأثران، ففي الآية الأولى يخبر الله عن أولئك النوع من البشر الذين يرفعون قادتهم وزعماءهم إلى منزلة فوق منزلتهم البشرية فيحبونهم كحب الله ويتقربون إليهم كما يتقربون إلى الله فلا يطلبون من الله شيئًا إلا عن طريقهم وبواسطتهم، ومعنى هذا أنهم يلتجئون إليهم كما يلتجئون إلى الله لهذا خرجوا من دائرة التوحيد إلى مستنقع الشرك، وصاروا عبيدًا لمخلوقين مثلهم، فأورثهم الله حسرة وشقاء فى الدار الاخرة بسبب بعدهم عن التوحيد الخالص لله رب العالمين.

وفى الآية الثانية: وبعد أن أعلن براءته ورسوله من المشركين وأذنهم بنبذ عهدهم بعد أن ثبت أنه لا عهد لهم كره بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين قتال المشركين لسببين: -

أولًا: وجود رابطة القربى بين المسلمين وبعض المشركين.

ثانيًا: طمعهم فى أن يدخل أولئك المشركون فى الإسلام، ولكن الله بيّن فى هذه الآية والتي قبلها بأن فضل الإيمان بالله والجهاد فى سبيله لا يكمل إلا بإيثار حب الله ورسوله وترك ولاية الكافرين،

لهذا قال الله: جلت قدرته، لرسول الله عليه الصلاة والسلام: ، قُل لهؤلاء ضُعفاء الإيمان من المسلمين: إن كنتم تفضلون حب الآباء والأبناء والإخوة والأزواج، والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله فإنتظروا عقابًا من الله يحِل بكم عاجلًا أو آجلا.

يأتى بعد هاتين الآيتين حديث أنس رضى الله عنه ليعلن نقص إيمان المسلم إذا لم يكن حب الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفسه أعظم وأعمق من حب الوالد والولد ومن الناس أجمعين، وذلك لما له عليه السلام من فضل على البشر فى هدايتهم للخير، وإبعادهم عن مواطن الشر.

ثم يتلو حديث أنس هذا حديثه الثانى ليوضح فيه أن لذة الإيمان تتحقق للنفس عند أمور ثلاثة: -

الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان من كل شىء فى هذا الوجود مهما كانت منزلته أو مكانته، وهذه النظرة الرفيعة يُصبح الإنسان ذا صلة بالله لأن الله دائمًا فى قلبه يأمره ما يجب وينهاه عما لا يحب.

الثانى: ألا يكون الغرض من حب المسلم لأخيه الطمع فى الحصول على منفعة من منافع الدنيا أو مصلحة من مصالح الحياة، وإنما يكون حبه لله وحده لأن هذه المحبة هى التي تبقى خالدة مع الزمن، ويجد المسلم لها لذة فى قلبه لأنها قائمة على الحب فى الله.

الثالث: أن يكره عودته إلى الكفر بعد أن أنعم الله عليه بالإسلام

كما يكره إلقاءه فى قلب النار وكما يكره ذلك لنفسه يكره لأخيه المسلم خروجه عن الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو غيرهما من الديانات الأخرى التي نسخها الإسلام بقول الله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ أو إعتناق المعتقد الإلحادى المعروف بالمذهب الشيوعى القائم على إنكار وجود الله الخالق لهذا الكون.

وفى نهاية هذا الباب يورد الشيخ رحمه الله هذين الأثرين وكلاهما عن ابن عباس رضى الله عنه فى الأثر الأول يُقرر رضى الله عنه أن الإنسان لن يجد لذة الإيمان وإن كثرت عبادته لله حتى يُحب أهل الصلاح والإيمان والتقوى، محبة خالصة لله حتى وإن لم يكن يعرفهم.

ويكره أهل الكفر والذنوب والمعاصى ولو كانوا من ذوى القُربى، وهذه صفات من صفات أولياء الله المؤمنين كما قال الله جلت قدرته وتنزهت أسماؤه وصفاته ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ويختتم ابن عباس أثره بقوله: وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يُجدى على أهله شيئًا ، فإذا كان هذا قد حدث فى عهد ابن عباس، فكيف لو شاهد عصرنا هذا الذى ثقُل فيه ظل الرجل الصالح على الكثير من الناس، وحل محله فى المحبة والتقدير أصحاب الفسق والفجور والعصيان.

والأثر الثاني: يوضح تبرؤ الرؤساء الذين أضلوا أتباعهم وتقطع الروابط

فيما بينهم وذلك حينما يرون العذاب يوم القيامة بسبب ما إقترفوه من ذنوب وسيئات وتبرؤ التابعين من الذين إتبعوهم وجعلوهم أندادًا لله فى المحبة والتعظيم ولكن أنّى ينفع التابعين والمتبوعين الندم وقد واجهوا الحساب وجهًا لوجه.

باب

قول الله تعالى ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ الآية [النساء - ١٧٠].

وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ الآية (التوبة - ١٨) وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ الآية (العنكبوت)

عن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعًا «أن من ضعف اليقين أن تُرضى الناس بسخط الله، وأن تحملهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا تجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره».

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من إلتمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن إلتمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»، رواه ابن حِبان فى صحيحه.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعُف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف الله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

الهدف:

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن الخوف من الأصنام والأوثان وكل المعبودات من دون الله يتنافى مع التوحيد الخالص الخالق هذه الكون كله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب ثلاث آيات، وحديثان:

ففي الآية الأولى: إخبار، ونهي وأمر, إخبار بأن عبدة القبور يتملكهم الخوف من أصنامهم وأوثانهم لإعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون وإذا ما أنكر عليهم أهل التوحيد عبادتهم, لتلك الأوثان والأصنام خوفوهم بأنهم إن لم يتركوا هذا الإنكار عليهم فإن هذه الأصنام سوف تسبب لهم الكثير

من المصائب.

نهى الله المؤمنين على أن يدخل الخوف إلى نفوسهم لأن ذلك إنما هو من وحي الشيطان وأمرهم ألا تخافوا إلا منه لأنه هو المالك لكل شيء وبيده النفع والضر، ويمكن أن نقسم الخوف من حيث درجاته إلى ثلاثة أقسام:

الأول: شرك وهو الخوف من غير الله كالخوف من الأصنام والأوثان، والاعتقاد أنها تنفع أو تضر.

الثانى: حرام وهو ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مجاراة للناس فى أمور غير مباحة بسبب الخوف من كلامهم.

الثالث: مباح، وهو الطبيعي، كالخوف من الفقر والمرض: ومن العدو والحيوانات المفترسة كالأسود والنمور والذئاب وغيرها.

وفى الآية الثانية يُخبر الله سبحانه أنه لا يقوم بعِمارة مساجد الله إلا من وحد الله وآمن به ربًا وخالقًا ، وصدق بيوم القيامة والجنة والنار وحافظ على الصلاة فى خشوع وذلة وخضوع وأعطى الزكاة برضاء وإيمان وإقتناع، ولم يخش إلا الله، والمراد بالخشية هنا العبادة والتعظيم، ومتى ما عظّم الإنسان بشرًا تعظيم عبودية وخشي أن ينفعه أو يضره من دون الله كان ذلك شركًا ، لكن إذا خشي الإنسان من ظلم ظالم أو تأثير فاسق أو غدر غادر فإن هذا لا محذور فيه.

أما الآية الثالثة: فيُخبر الله تعالى فيها أن من الناس من يدّعى الإيمان

بلسانه فإذا حصلت له فتنة فى إيمانه أو عقيدته إرتد عن إسلامه خوفًا من الناس ولهذا فالناس منقسمون فى الدين إلى ثلاثة أقسام، قسم صلب العقيدة، عميق الإيمان بالله وقسم كافر مجاهر بكفره وعناده، وهذان القسمان يشير اليهما قول الله الكريم: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾، أما القسم الثالث فهو مذبذب بين الإيمان بلسانه ويبطن الكفر فى قلبه، يشير إلى هذا القسم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾,

يأتى بعد هذه الآيات حديث أبى سعيد وفيه أن بعض أشياء يعملها الإنسان تدل على ضعف إيمانه، وقد حصر هذه الأشياء فى أمور ثلاثة:

الأول: إرضاء الناس بما يُسخط الله من ذلك على سبيل المثال ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مجاراة لإرضاء رغبات الناس.

الثاني: حمد الناس على رزق من عند الله قدره على يد أحد منهم وهيأ أسبابه وهذا لا يتنافى مع الإعتراف بما يقدمه الناس بعضهم لبعض من معروف وإحسان - بدليل قول الرسول عليه السلام (من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)

الثالث: ذم الناس على شىء لم يرده الله، لأن الله سبحانه

هو المُعطي وهو المانع، والناس إنما هم واسطة يقدر الله الرزق عن طريقهم ومن هنا كان ذم الناس على شيء لم يرده الله دليلًا على ضعف يقين الإنسان بالله.

وفى آخر هذا الحديث أخبر الرسول عليه السلام أن رزق الله لا يأتى عن طريق الحرص والمهارة والمغامرة ولا يمتنع عن طريق الحسد والكراهية فما أراده الله كان وما لم يرده لم يكن.

وفى نهاية هذا الباب يَرِد حديث عائشة رضى الله عنها مبينًا أمرًا كثيرًا ما يقع فيه الناس بسبب ضعف إيمانهم فيقول أن من يطلب رضاء الله بسخط الناس فإن الله يرضى عنه، ويُرضى عنه الناس مثال هذا لو أن حاكمًا من حكام المسلمين أو زعيمًا من زعمائهم دفعه إيمانه إلى القيام بدعوة خيرة تجمع كلمة المسلمين، وتعيدهم إلى إسلامهم من جديد، ونال فى سبيل ذلك سخط القادة والزعماء، ومعارضة السخفاء والسفهاء فإن الله يرضى عنه ويُرضى عنه الناس.

كما أن من يطلب رضاء الناس بسخط الله فإن الله يسخط عليه، ويُسخط عليه الناس، مثال ذلك لو أن حاكمًا من حكام المسلمين أو زعيمًا من زعمائهم أراد أن ينحرف بعقيدة الأمة، ونظام حياتها إلى طريق غير طريق الإسلام، وإستخدم لهذا الغرض أحدًا من العلماء ليُخضع نصوص الشريعة، ويتحايل على شرحها وتأويلها بما يتلاءم مع أهداف ذلك الحاكم

المنحرف وأغراضه فإن ذلك العالم يكون قد أرضى الناس بسخط الله لذا فإن الله يسخط عليه، ويُسخط عليه الناس.

باب

قول الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ (المائدة - ٢٣)

وقوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية (الانفال: ٢) وقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الآية (الأنفال - ٦٤) وقوله ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ الآية (الطلاق - ٣)

عن ابن عباس قال (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا» رواه البخارى والنسائي.

- **فيه مسائل:**

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية فى آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق ,

السادسة: عِظم شأن هذه الكلمة وأنها قول إبراهيم عليه السلام

و محمد صلى الله عليه وسلم فى الشدائد.

◆ الهدف:

مراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن التوحيد لا يتحقق كماله إلا بالتوكل على الله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وأثر واحد:

ففي الآية الأولى:- إشارة صريحة إلى أن شرط الإيمان الصحيح هو التوكل على الله وحده ومفهوم هذا أن التوكل على المخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك لا يتجاوز الله عنه إلا بالتوبة الصادقة.

وفى الآية الثانية:- يصف الله المؤمنين المخلصين فى إيمانهم بأنهم هم الذين اجتمعت فيهم خِصال خمس: -

الأولى: أنهم إذا ذُكر الله فزعت قلوبهم لعظمة الله ووعده ووعيده.

الثانية: إذا تُليت عليهم آيات الله زادتهم يقينا وإطمئنانًا .

الثالثة: أنهم يتوكلون على الله وحده ولا يفوضون أمورهم إلى غيره.

الرابعة: أنهم يؤدون الصلاة فى صورتها الكاملة فى مناجاة وخشوع

الخامسة: أنهم يُنفقون بعض ما أعطاهم الله من مال فى الزكاة وفى طريق الخير.

وفى الآية الثالثة:- إخبار من الله أنه يكفي نبيه عليه السلام وأتباعه المؤمنين كل ما يُهمهم من أمر الأعداء، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾، فإذا كان المؤمنون دائمًا متوكلين على الله، ملتجئين إليه بقولهم (حسبنا الله ونعم الوكيل) فأولى بأنبيائه أن يكونوا أكمل توحيدًا وتوكلًا من غيرهم.

أما الآية الرابعة: - فيُخبر الله فيها أن من يكل أمره إلى الله، ويفوض إليه مصيره فإن الله يكفيه ما أهمه فى دنياه وآخرته، وليس معنى هذا أن يترك المسلم العمل لطلب الرزق إعتمادًا على التوكل على الله فما هذا أمر الإسلام، ولكن المطلوب من المسلم أن يستغل كل طاقاته للعمل ما يجلب له السعادة فى الدنيا والآخرة، مع التوكل على الله، والاعتقاد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

يأتى بعد هذه الآيات الأثر الوارد عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أن إبراهيم حينما حطم أصنام المشركين إتفقوا على أن يقتلوه حرقًا بالنار فلما ألقوه فى قلبها وهي تلتهب قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) فجاءه المدد من الله مُسرعًا ففقدت النار حرارتها كما قال الله سبحانه وتعالى، ﴿قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾.

و قالها محمد عليه السلام حينما بلغه خبر تصميم المشركين على قتاله هو وأصحابه كما ذكر الله ذلك بقوله ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد

جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

فالإعتماد على الله والتوكل عليه، يقوى من عزيمة المؤمن ويعمق من إيمانه بالله.

باب

قول الله تعالى ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ الآية ﴿الاعراف - ٩٩﴾

وقوله: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الآية (الحجر - ٥٦)

عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر فقال «الشرك بالله، واليأس من روح الله والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، رواه عبد الرزاق.

◆ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد فى القنوط.

◆ الهدف:

أراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ذنبان عظيمان منافيان لكمال التوحيد.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان وحديث وأثر:

فى الآية الأولى: وبعد أن بيّن سبحانه وتعالى فى آية سابقة أخذه لأهل القُرى الذين كذّبوا رسلهم وأصروا على الشرك والمعاصى، ذكر فى أول هذه الآية أن أهل مكة ومن حولهم من أهل القرى وغيرهم من الناس لو استجابوا لدعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وإنتهوا عما نهاهم عنه من الشرك بالله، لوسع الله عليهم فى الخير وفتح عليهم بركات من السماء والأرض، ولكنهم كذبوه واستمروا فى شركهم وفسادهم فخوفهم الله نزول العذاب بهم بقوله: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

والآية الثانية: تحكي إستعظام إبراهيم عليه السلام نعمة الله عليه مولود فى وقت بلغ فيه الشيخوخة التامة وذلك من غير إستبعاد لقدرة ربه القادر على كل شىء.

فقد جاءت الملائكة مُبشرين له بولد فى وقت لم تجرِ العادة بإنجاب أولاد لمثل من هو فى سنه، ولذا قال لهم متعجبًا: ﴿أبشرتموني على أن مسني الكبر فيم تبشرون﴾، فأجابته الملائكة مؤكدين ما بشروه به ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾، اليائسين من خرق العادة فالله قادر على كل شىء، فأجاهم إبراهيم هذه الآية ﴿قال ومن يقنط من رحمة

ربه إلا الضالون﴾ يعني لا ييأس من رحمة الله إلا من أخطأ سبيل الصواب.

من هاتين الآيتين يظهر أن الاستمرار فى الذنوب والآثام إستهتارًا وعدم خوف من عقاب الله مناف لكمال التوحيد.

كما أن اليأس من رحمة الله، وإستبعاد قبول التوبة كذلك مناف لكمال التوحيد.

يأتى بعد هاتين الآيتين حديث ابن عباس رضى الله عنه وفيه أن أكبر الكبائر الإشراك بالله ولأنه أعظم الذنوب جميعًا فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾، واليأس من روح الله يعني قطع الأمل والرجاء فى الله وقد قال الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (والأمن من مكر الله) الاستمرار فى الذنوب والمعاصى من غير خوف من الله مع متابعة الله نعمه وخيراته على ذلك الإنسان المستهتر المعاند، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأُملي لهم إن كيدي متين﴾.

وفى نهاية هذا الباب يأتى أثر بن مسعود رضى الله عنه وليس فيه زيادة عما ورد فى الحديث السابق له سوى كلمة (والقنوط من رحمة الله) والقنوط هو أعلى درجات اليأس.

والخلاصة: هى أن الإنسان الذى يطلب كمال التوحيد هو الذى يسير

فى حياته بين الخوف والرجاء، والخوف من الله فى إرتكاب المعاصى والذنوب، وعدم اليأس من رحمة الله فى قبول التوبة والتجاوز عن الهفوات إذا وقع فى ذنب أو معصية.

باب

من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ الآية (التغابن -١١)

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إثنتان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى النسب، والنياحة على الميت، ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

وعن أنس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده للشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا إبتلاهم، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط»، حسنه الترمذي.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن فى النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة حب الله للعبد.

السابعة: تحريم السخط.

الثامنة: ثواب الرضا بالبلاء.

◆ **الهدف:**

قصد رحمه الله من هذا الباب بيان أن الصبر على أقدار الله المؤلمة يقتضيه كمال التوحيد وإن عدم الجزع مما قدره الله دليل على عمق إيمان المسلم.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وأربعة أحاديث:

ففي أول هذه الآية جاء قول الله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله﴾ يعني أن كل ما يحدث فى هذه الحياة إنما هو بقضاء الله وقدره، لذا فلا يجزع الإنسان عندما يحصل له ما يكره ثم بين أن الإيمان يُضيء القلب،

فقال ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ أي أن من صبر على المصيبة وإحتسب مثوبة ذلك عند الله فإن الله يشرح صدره ويمنحه إستراحة النفس وإطمئنان القلب ﴿والله بكل شيء عليم﴾ يعني أن الله مطلع على كل ما فى هذا الكون من ما نعلمه وما لا نعلمه وله الحكمة فيما يقضيه ويقدره.

ويمثل علقمة لمن ينطبق عليه معنى الآية الكريمة فيقول (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم).

يأتى بعد هذا حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفيه أن الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت أمران من أمور الجاهلية يجب الابتعاد عنهما، وقد تقدم الكلام عليهما فى باب الإستسقاء بالنجوم ولكن المصنف هنا ذكرهما لإن النياحة تنافي الصبر على أقدار الله.

يتلو هذا الحديث حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه وعيد وتخويف لمن جزع من قضاء الله وقدره.

فيقول أن الرسول عليه السلام قال «ليس منا من ضرب الخدود» يعني ليس من طريقتنا ولا من تعاليم شريعتنا ضرب الخدود تبرما وعدم رضا مما يقدره الله وعبر بضرب الخدود عن الجزع لأن الناس الذين لا يملكون القدرة على الصبر يقومون عادة بضرب خدودهم عند حلول المصائب والكوارث، ومثل ضرب الخدود شق الجيوب كل منهما يدل على عدم الرضا بقضاء الله وقدره، «ودعا بدعوى الجاهلية» وهذا يحتمل أمرين إما أن يُراد

به دعاء الشخص المصاب على نفسه بالويل والثبور وعظائم الأمور وإما أن يُراد به الدعوة إلى العصبية الجاهلية للإلتفاف حول العنصر والجنس بدلا من العقيدة والدين، كما يفعل ذلك دعاة القومية العربية مثلا[1].

وفى الحديث الثالث حديث أنس دليل على أن المصائب فى الحياة تكون سببًا فى مغفرة الذنوب والآثام، لذا فهي فى الواقع نعمة، لأن

تعجيل العقوبة فى الدنيا خير أراده الله لعبده «إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة فى الدنيا» «كما أن الله إذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، بمعنى أن من العصاة والمنحرفين من يتركه الله هائمًا فى ضلاله غارقًا فى رذائله حتى إذا جاء يوم القيامة يحمل أوزاره وشاهد الجزاء الذى ينتظره تذكر أنه كان مجرمًا فى حق الله بسبب إنتهاكه لمحارمه وعصيانه له ولكن أنّا ينفع ذلك التذكر والجزاء العادل حاصل لا محالة».

وفى نهاية هذا الباب يأتى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء»، بمعنى أنه كلما كان البلاء عظيمًا كلما كان الجزاء عظيمًا ، لكن بشرط وجود الصبر والرضا بقضاء الله رضاء كاملا «وقوله

(١)لا يخفى ما يراه الامامان الجليلان أحمد بن حنبل وسفيان الثوري من كراهية تأويل نصوص الوعيد، لكن خوفا من تمسك بعض الناس بظاهر الحديث فى اخراج المرتكب لهذا الأمر من دائرة الإسلام ذكرت ذلك.

وإن الله إذا أحب قومًا إبتلاهم» بمعنى أن إبتلاء الله لأحد من المسلمين دليل على حبه له، وإمتحان لإيمانه وصبره فمن رضى بهذا الامتحان وتحمل وصبر فله الرضاء ومن سخط من هذا الإبتلاء وجزع ولم يصبر فله السخط من الله.

باب

ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما الهكم إله واحد﴾ الآية (الكهف - ١١٠)

عن أبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشِركه) رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعًا «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال،؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال «الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد.

- فيه مسائل:

الاولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخله شىء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغني.

الرابعة: أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن المرء يصلى لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب، بيان أن العمل إذا لم يكن خالصًا لله فهو مناف للتوحيد، وأن أولئك الذين يُكثرون من الأعمال الصالحة من أجل أن يصفهم الناس بالتقوى والصلاح، إنما هم مخادعون ولن يقبل الله منهم تلك الأعمال لأنها ليست لله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وحديثان:

فالآية فيها أمر من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، أن يعلم الناس أنه بشر لا يعلم شيئًا من الأمور الغيبية وغيرها إلا ما أوحى الله به إليه من أمور أهمها أن العبودية لا تكون إلا لله وحده وأن من يطمع فى رضاء الله، فليُخلص العبادة له دون سواه، ولا يُشرك مع الله فى عبادته شركًا أكبر كما يفعل ذلك عبدة الأصنام والأوثان ولا شركًا خفيًا كما يفعل ذلك أهل الرياء، والسبب فى تسميته بالشرك الخفي أنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله فصاحب الرياء يظهر أن عمله الله، وهو يقصد ثناء الناس ومدحهم، أو التوصل بذلك العمل إلى غرض من أغراض الدنيا.

يأتى بعد هذه الآية حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وفيه أن من قصد

بعمله غير الله جازاه الله على عمله السيء ولم يقبل منه ذلك العمل لأنه لم يكن خالصًا لله.

وفى نهاية الباب يأتى خبر أبى سعيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أنه يخاف على أمته من الشرك الخفي أكثر من خوفه عليهم من فتنة المسيح الدجال وحينما سألوه عن هذا الشيء الخطير قال: «**الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»، وهذا دليل على خطورة الرياء وعلى ضعف إيمان المُرائي وفساد قلبه.

والخلاصة:

أن الرياء شرك لكنه لا يُخرج المسلم من دائرة الإسلام.

باب

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم فى الاخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ (هود ١٠, ١٦)

فى الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضى وإن لم يُعط سخط، تعس وإنتكس، وإذا شيك فلا إنتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة، إن إستأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطى رضى وإن لم يُعط سخط.

الخامسة: قوله: «**تعس وإنتكس**».

السادسة: قوله وإذا شيك فلا إنتقش.

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله فى هذا الباب بيان أن من قصد بعمله الصالح أمرًا دنيويًا كان عمله هذا منافية للتوحيد، وهذا الباب قريب فى معناه من باب الرياء إلا إن بينهما فرقًا دقيقًا قد لا يتضح للكثير من الناس فالرياء هو إن يتظاهر الإنسان بالصلاح والتقوى طلبًا لمدح الناس وثنائهم.

أما إرادة الإنسان بعمله الدنيا، فهو أن يعمل الإنسان أعمالًا صالحة يقصد منها الحصول على المال مثل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للحصول على الوظيفة أو يحافظ على الصلاة ليتحصل على وظيفة الإمامة مثلًا ، أو يتعلم العلم من أجل الدنيا.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية وحديث:

فى الآية الكريمة إخبار بأن من كان همه من الأعمال الصالحة التي يعملها التمتع بزخارف الدنيا وما بها من نعيم، دون إهتمام بالآخرة، أو استعداد للجنة بالأعمال الصالحة الخالصة لله فإن الله يُعجل لهم جزاء أعمالهم فى الدنيا بتوفير أسباب السعادة لهم فيعطيهم من الأموال والأولاد

ما يشعرون معه بنعيم الحياة حتى إذا جاء يوم القيامة لم يجدوا لهم رصيدًا من الأعمال الصالحة، فيتحقق فيهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ يعني هؤلاء الذين ليس لهم فى الدنيا إلا التمتع بملذات الحياة، ليس لهم فى الآخرة إلا النار، لأن ما عملوه من أعمال لم يقصدوا بها التقرب إلى الله، وإنما من أجل الوصول إلى غايات دنيوية وقد أعطاهم الله جزاء أعمالهم فى الدنيا فصاروا من الخاسرين فى الآخرة.

الفساد أعمالهم وعدم قبولها عند الله جل جلاله، ويأتى بعد هذه الآية الكريمة حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وفيه ماهو دعاء بلفظ الخبر من الرسول عليه الصلاة والسلام بالشقاء لمن إستولى حب المال على قلبه، حتى صار بمنزلة العبد له فقال:

(تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة)، الدينار: يعني به الذهب - والدرهم: يقصد به الفضة - الخميصة، والخميلة: يشير بهما إلى نوع من الثياب الفاخرة الناعمة والمقصود هذا كله تعلق القلب بحب الدنيا تعلقًا يجعله مستعبدًا لها معتمدًا عليها، وهذا ينافى حقيقة العبودية لله وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم عابد المال بصفة تتلاءم مع منزلة الدنيا فى قلبه فقال إن أُعْطِي من الدنيا رضى وإن لم يُعط منها سخط وهذا دليل على إستيلاء حب المال على قلبه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (تعس وإنتكس) يعني حصل له شقاء

بعد شقاء لأن رضاءه وسخطه لم يكن لله وإنما من أجل الدنيا، (وإذا شيك فلا إنتقش) دعاء أيضًا من الرسول عليه السلام بلفظ الخبر بأنه إذا أصابته شوكة لا يستطيع على إخراجها بالمنقاش ومعلوم ما لبقاء الشوكة فى الجسم من ألم نفسي وجسمي وقلق وإزعاج إلى أن تخرج منه، إذًا فدعاء الرسول عليه السلام بهذه الدعوة دليلٌ على عدم رضائه عن عبدة المال، وسوء المصير الذى ينتظرهم، ثم بعد أن بين حالة عبدة المال وما يُلاقونه فى الآخرة من خسارة وإفلاس بيّن أوصافًا أخرى، لأُناس يختلفون عن هؤلاء فى نظرتهم للحياة، وما ينتظرهم من حُسن جزاء عند الله، (فقال طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله).

ثم ذكر أوصاف ذلك الرجل بأمور أربعة:

الأول: أنه أشعث الرأس، وهذا يشير إلى أنه لإنشغاله بالجهاد فى سبيل الله لم يكن لديه من الوقت ما يتيح له اصلاح شعر رأسه وتنظيمه وإبعاد التراب عنه.

الثاني: أنه مغبر القدمين للسبب نفسه، إن كان فى حراسة الجيش فتنبه لتحركات العدو وإن كان فى مؤخرة الجيش فكذلك يقظة وحذر.

الثالث: أنه لا جاه ولا منزلة له عند القادة والزعماء، لذا فإنه لا يؤذن له إذا إستأذن للدخول عندهم.

الرابع: أنه لو أراد إن يشفع فى أمر من الأمور فإن شفاعته لا تُقبل ولا تُنفّذ.

ومقارنة بسيطة بين العابد لله والعابد للمال، أن العابد لله يعيش حياة قاسية، وأنه لا جاه له ولا منزلة لدى الناس.

و عابد المال يعيش حياة ناعمة، وله المكان الأول فى الإكرام، والتقدير والإحترام ولكن الأمر فى الآخرة يختلف، فعابد المال يذهب إلى النار، والعابد لله يذهب إلى الجنة.

وليس معنى هذا أن ينقطع المسلم للعبادة، ويترك طلب الرزق فى الدنيا لأن هذا ليس من الإسلام، ولكن المطلوب من المسلم أن يبحث عن الرزق الحلال بكل الوسائل الشريفة النزيهة ليستعين به على طاعة الله، وليبذل منه فى طرق الخير، على أن لا يحتل حب الدنيا مكانة الله فى قلبه.

باب

و من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر، وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره إن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شيء من الزيغ فيهلِك.

عن عُدى بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله﴾ الآية (التوبة - ٣١)، فقلت له أنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يُحرمون ما أحل الله فتُحرمونه، ويُحلون ما حرم الله فتُحلونه؟ فقلت بلى قال: فتلك عبادتهم» رواه أحمدوالترمذي وحسنه.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي انكرها عُدى.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هى العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن مصدر التشريع هو الله وحده وأن من أطاع العلماء والأُمراء والعباد وغيرهم فى تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرمه الله فقد جعلهم أربابًا من دون الله، والربوبية تستلزم الألوهية.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب أثر عن ابن عباس، وقول للإمام أحمد وحديث عن عدى بن حاتم فأثر ابن عباس رضى الله عنه فيه تحذير من عقاب ينزل على من يستدل بقول أحد على تحليل شيء أو تحريمه مع مخالفته لقول الرسول

صلى الله عليه وسلم، وقصة هذا التحذير أنه حصل نقاش بين ابن عباس وبين بعض الصحابة فى هل الإفراد بالحج أفضل أم التمتع بالعمرة إلى

الحج أفضل، وكان ابن عباس يرى أن التمتع أفضل من الإفراد.

ويستدل على قوله بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لو إستقبلت من أمري ما إستدبرت ما أهللت بالحج ولجعلتها عمرة» غير أن بعض الصحابة يرى أن الإفراد أفضل إستدلالا برأى أبى بكر وعمر فى ذلك فأجابهم ابن عباس قائلًا يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر.

وقول الأمام أحمد رحمه الله فيه إنكار على الذين يعرفون إسناد الحديث وصحته ثم يتركونه تقليدًا لعالم من العلماء مهما كان فضله وعلمه أما من لا يعرف الإسناد وصحته لقصوره عن فهم الحديث السبب من الأسباب فلا حرج عليه فى أن يُقلد من يرى فيه العلم والتقوى، ولتأكيد الإنكار أورد الإمام رحمه الله الآية الكريمة: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره إن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾.

ثم فسر الفتنة بأنها الشرك وزاد على ذلك بأن من رد بعض قول الرسول صلى الله عليه وسلم ربما يقع فى قلبه زيغ فيهلك.

وعلى العموم فقد نهى الأئمة رحمهم الله عن تقليدهم إذا إستبانت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول أبو حنيفة رحمه الله، إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن التابعين فهم

رجال ونحن رجال، ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: إذا صح الحديث بما يخالف قولى فإضربوا بقولى الحائط.

ويقول الإمام مالك رحمه الله: كلٌّ يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يأتى بعد هذا الحديث حديث عُدى بن حاتم رضى الله عنه، وفيه دليلٌ واضح على أن طاعة العلماء والعباد أو غيرهم من قادة أو زعماء

فى معصية الله عبادة لهم من دون الله.

والخُلاصة من هذا كله:-

١) أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم مُقدّم على قول كل أحد وأنه لا يصح التقليد بإتباع رأى أى شخص فى التحليل والتحريم مع مخالفته للنص الوارد عن الرسول عليه السلام.

٢) أن باب الإجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة لمن كان أهلًا له.

٣) أن طاعة العلماء والقادة والزعماء وغيرهم فى تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله شرك أكبر لا يغفره الله.

باب

قول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أُمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدا﴾ الآيات (النساء - ٦٠)

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم لا تُفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ الاية (البقرة - ١١) وقوله: ﴿ولا تُفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾(الأعراف - ٥٦) وقوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ الآية (المائدة - ٥٠).

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جِئتُ به» قال النووي حديث صحيح، رويناه فى كتاب الحجه بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعِلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا فى جهينة فيتحاكما إليه فنزلت ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾

الآية، وقيل نزلت فى رجلين إختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر

فذكر له أحدهما القصة، ، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

- **فيه مسائل**:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فِهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض﴾.

الثالثة: تفسير آية الأعراف (ولا تُفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها).

الرابعة: تفسير ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبي فى سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصُل لأحد حتى يكون هواه تَبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

- **الهدف**:

أراد الشيخ رحمه الله من هذا الباب، التوضيح بأن كل تحاكُم لا يقوم على شريعة الله تحاكم باطل لأنه ينافي التوحيد.

- **الشرح**:

ورد تحت هذا الباب أربع آيات وقول للشعبي فى سبب نزول

الآية الأولى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ الآية وحديث واحد.

فالآية الأولى: فيها إشارة إلى تناقض أولئك الذين يدعون الإيمان بالقرآن وما سبقه من الكتب السماوية، ثم يفعلون ما تخالف ذلك من التحاكم إلى الكهنة والدجالين ومدعي الكشف والولاية، أو ما يصنعه البشر من أنظمة أو قوانين تخالف شرع الله ودينه.

وفى الآية إشارة إلى أن التحاكم إلى الطاغوت، وإستبدال أحكام الله بأحكام تخالف شريعته خروج عن الإسلام؛ وسبب نزول هذه الآية كما ذكر فى آخر هذا الباب أن رجلين إختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر تترافع إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذى لم يرض برسول الله: أكذلك قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

وفى الآية الثانية: نهي عن الفساد بكل أنواعه وصوره وتصوير الواقع المفسدين فى الأرض فى كل مكان وزمان، ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض﴾ بمحاربة التوحيد، والدعوة إلى الفتنة، وعدم الرضا بالتحاكم إلى شريعة الله ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ وفى إجابتهم هذه خِداع وتضليل، لأنهم يعلمون تمام العِلم فساد ما يفعلونه بدافع من طمع فى مركز، أو إنحراف فى خُلق، وهذا شأن كل المفسدين فى الأرض حينما يريدون الإنحراف بالبشر عن طريق الله، إلى طرق المتاهات والشرور، يدعون أنهم

مصلحون حتى ولو أخرجوا الناس عن دينهم، وإستباحوا محارمهم، ونهبوا أموالهم فهم يدعون أنهم مُصلِحون، ولكن الله سبحانه وتعالى كذّبَهُم بقوله: ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ المفسدون ظاهرًا وباطنًا وأن إدعاءهِم الإصلاح لا حقيقة له فى واقع الأمر.

وفى الآية الثالثة: نهي عن الإفساد فى الأرض بعد أن أنعم الله عليها بالإصلاح، وهذا يشمل إفساد العقول بالكفر بعد الإيمان وإفساد النفوس بالفجور بعد الصلاح والتقوى، وإفساد تعاليم الخالق بإستبدالها بآراء المخلوقين بها.

أما الآية الرابعة: فهي تُنكر فى شدة على الذين تختارون حكم الجاهلية القائم على الجور والهوى، على حكم الله المبني على العدل وعدم التحيّز، وسبب نزول هذه الآية، أن بني النضير وبني قُريظة كانت بينهم خصومة، فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهم من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحكم بينهم ما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل والتمييز بين الناس فى الأحكام بجعل دية القرَظى ضعفي دية النضيرى، فقال عليه السلام (القتلى بواء) (سواء) فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك.

بعد هذه الآيات الأربع يأتى حديث ابن عمر وفيه إشارة صريحة إلى نقص الإيمان لدى كل شخص لا تكون نفسه راضية رضاء تامًا ما جاء به

الرسول صلى الله عليه وسلم من أحكام وأوامر وتوجيهات، والخُلاصة من هذا الباب كله، أن كل من رفض الحكم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، وإستبدل بها غيرها من آراء البشر فهو كافر، يدل على ذلك دلالة قاطعة قول الله سبحانه وتعالى ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾.

باب

من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: (وهم يكفرون بالرحمن) الآية (الرعد - ٣٠) وفى صحيح البخارى قال علي: حدثوا الناس ما يعرفون أتريدون أن يُكذّبَ الله ورسوله.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجُلًا إنتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الصفات إستنكارًا لذلك فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث مما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد

المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن إستنكر شيئًا من ذلك وأنه هلكة.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان ما يترتب على جحود شيء من أسماء الله أو صفاته

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية، وروايتان أحداهما عن علي والثانية رواية عبد الرزاق عن ابن عباس.

فالآية الكريمة قيل فى سبب نزولها أن المشركين جحدوا إسم (الرحمن والقصة بإختصار كما رواها قتادة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما أراد أن يعقد صُلح الحديبية بينه وبين المشركين أمر أن تبدأ وثيقة الصُلح بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون: لا نعرف الرحمن وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللّهُمَّ فقال أصحابه دعنا نقاتلهم فقال: لا، إكتبوا ما يريدون ثم قال الله لرسوله عليه السلام: (قل هو ربي لا إلٰه إلا هو) يعني قل لهؤلاء الضالين المشركين أن الرحمن الذى كفرتم به (هو خالقي ومعبودى عليه توكلت فى جميع أموري واليه متاب) يعني إليه وحده توبتى.

وقريب من هؤلاء الجهمية وبعض من المعتزلة القائلين أن الرحمة لا تدُل على صفة قائمة بالله، ونظرتهم هذه قائمة على أن إثبات صفات الله

يستلزم إثبات أن له جسمًا ، وهذا فيه تشبيه للخالق بالمخلوقين، ونتيجة لهذه النظرية الخاطئة عطلوا الله من صفاته، مخالفين بذلك أهل السنة والجماعة، الذين يصفون الله ما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تعطيل، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾.

يأتى بعد هذه الآية قول علي رضى الله عنه، وسبب هذا أن القصاصين كثروا فى عهده حتى وصل بهم الأمر إلى ذكر أحاديث غريبة وغير صحيحة، والشيء الذى يخشى معه الشك فيما هو صحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر علي رضى الله عنه أولئك القصاصين ألا يحدثوا العوام من الناس إلا ما هو واضح ومفيد لهم فى عقيدتهم وعباداتهم، ومعاملاتهم دون التوسع فى أشياء فوق مدارك عقولهم.

وفى آخر هذا الباب ترِد رواية عبد الرزاق عن ابن عباس، وفيها أن ابن عباس رضى الله عنه، إستغرب من رجل ممن يُنكر صفات الله ينزعج عندما سمع حديثًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى صفات الله، مع أن صفات الله ثابتة فى القرآن والسنة، وهي صفات كمال، يجب على المسلم أن يؤمن بها، ويسلم بأن لكل منها مدلولًا خاصًا يليق بجلال الله وعظمته، وفى نهاية الباب تأتي الرواية ,, أن قريشًا حينما سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وقصة هذا الإنكار أن المشركين سمعوا النبي عليه السلام يقول فى دعائه وهو ساجد

«يا رحمن يارحيم» فقالوا أن محمدًا يزعُم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله ﴿قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾.

والخلاصة: أن صفات الله التي وردت فى القرآن الكريم أو سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام صفات حقيقية يجب إثباتها لله كما يعتقد ذلك أهل السنة والجماعة.

باب

قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ الآية (النحل- ٨٣)

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالى ورثته عن آبائى، وقال عون بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا، وقال ابن قتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذى فيه «أن الله تعالى قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر» الحديث وقد تقدم - وهذا كثير فى الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به، قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكار للنعمة.

الرابعة: إجتماع الضدين فى القلب.

- **الهدف: قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب بيان ذم الذين ينسبون نِعَم الله إلى غيره لمنافاته ذلك لكمال التوحيد.**

◆ الشرح:

ورد فى هذا الباب آية واحدة وبعض أمثلة عليها:

فالآية الكريمة هذه مرتبطة بآيتين قبلها هما قول الله سبحانه ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا، وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم اقامتكم ومن أصوافها، وأوبارها وأشعارها أثاثا لكم ومتاعا إلى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا، وجعل لكم من الجبال اكنانا، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تُسلمون، فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، واكثرهم الكافرون﴾.

ومن سياق الآية نرى أن الله تعالى بعد أن عدد على المُنكرين لنعمه هذه النعم الكبيرة فجعل لهم بيوتًا من الحجارة، وغيرها يسكنونها ومن جلود الأنعام وأصواف الضأن وأوبار الإبل، وأشعار المعِز أثاثا للبيوت ولباسًا للأجسام إلى جانب البيوت الخفيفة الحمل التي يأوون إليها فى نزهاتهم وأسفار هم (الخيام والخدور وغيرها).

ومن الجبال معاقل وحصونًا يلجأون إليها فى وقت السلم والحرب، وثيابًا من القطن وغيره تقيهم الحر، ودروعًا تمنع عنهم بأس السلاح.

بين أنهم يعرفون أن هذه النعم كلها من الله، ولكنهم مع هذا الإعتراف، ينكرونها بأفعالهم، إذ ينسبون النعم إلى شفاعة آلهتهم، أو إلى

مجهود آبائهم أو غير ذلك مما يشعر بعدم الإعتراف بأن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الفضل دائما وأبدًا .

والخلاصة: أن كل من نسب النعم إلى غير الله فقد أوقع نفسه فى نوع من أنواع الشرك.

باب

قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ الآية [البقرة: ٢٢]

قال ابن عباس فى الآية الأنداء هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتى، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط فى الدار لأتى اللصوص, وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا ، هذا كله به شرك رواه ابن أبى حاتم

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك» رواه الترمذى وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقًا .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول بالله ثم بك، قال: ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

- **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية البقرة فى الأنداد.

الثانية: أن الصحابة يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعُم الاصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم فى اللفظ.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب التنبيه على أن أولئك الذين يرفعون المخلوق إلى درجة الخالق ويساوون بينه وبين الله إنما هم مشركون مع الله فى عبادته.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب هذه الآية تفسير لإبن عباس الكلمة الأنداد وحديثان وقولان:

فالآية الكريمة فى بدايتها أمر من الله للبشر بأن يتجهوا إليه بالعبادة دون غيره، مذكرًا لهم أنه صاحب الفضل والإنعام فى خلْقهم من العدم إلى الوجود، وفوق هذا جعل الأرض فِراشًا لهم والسماء بناءَ، وأنزل لهم المطر فتفجرت الأرض بالثمار والزروع، فنعموا بخيرات الله، وعاشوا فى نعمة من

الله ولهذا وبعد أن عدد الله عليهم هذه النعم الكثيرة، وأنه هو المُنعم بها وصاحب الفضل فيها دون غيره.

قال: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾، يعني فلا تجعلوا لله شركاء فى عبادته.

وقد فسر ابن عباس رضى الله عنه الأنداد بأنهم الشركاء ووصف الشرك بوصف دقيق وخفي فقال: هو أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل، ثم مثل هذا الشرك الخفي بقوله: وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتى، ولولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط فى الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك.

و بسبب خفاء هذا الشرك الأصغر كثيرًا ما يقع فيه الناس، والسبب الذى جعل هذه الكلمات تجعل المتكلم بها مشركًا ، أن الواو تقتضي مساواة المعطوف للمعطوف عليه، فإذا قال أحد لولا الله والرئيس، فكأنه جعل الرئيس هذا مساويًا لله فى الأمر والتصرف والتدبير، وهذا شرك لكن لو قال: لولا الله ثم الرئيس لم يكن ذلك شركًا ، لأن ثم ليست كالواو تقتضي مساواة المعطوف للمعطوف عليه، وإنما تقتضي التعقيب والتراخى، يعني أن مساعدة الرئيس جاءت بعد أمر الله وإرادته متأخرة عنه، ومن هنا يظهر الفرق بين لفظ الواو وثم.

ولذا ورد هنا فى حديث حذيفة عن النبي عليه السلام قوله: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**» وهذا المعنى جاءت رواية إبراهيم النخعي الواردة فى هذا الباب.

يأتى بعد تفسير ابن عباس هذا حديث عمر رضى الله عنه وفيه دليل صريح على كُفر من حلف بغير الله.

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله فى قرة عيون الموحدين، تعليقًا على هذا الحديث بأنه كُفر دون كُفر يعني أنه كُفر لا يُخرج مِن الإسلام.

ولخطورة الحلف بغير الله، وأنه أكبر من الذنوب الكبيرة، قال ابن مسعود رضى الله عنه: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقًا .

باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدُق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب إيضاح أن عدم الإقتناع بالحلف بالله دليل على ضعف الإيمان وعدم إستشعار النفس لعظمة الله وجلاله.

◆ الشرح:

لم يرد تحت هذا الباب سوى حديث واحد هو حديث ابن عمر رضى الله عنه وقد احتوى على أربعة أمور:

الأول: النهى عن الحلف بالآباء ومثله الحلف بالكعبة والنبي والحياة

والشرف وما أشبه ذلك من مخلوقات الله والسبب فى هذا أن الحلف تعظيم واستشعار فى القلب بعظمة المحلوف به والتعظيم القائم على خضوع القلب عبادة والعبادة لا تكون إلا لله وحده لذا كان الحلف بغير الله شركًا .

الثاني: الأمر بعدم الكذب فى الحلف بالله، وذلك أن الكذب فى حد ذاته رذيلة من الرذائل، وإذا كان فى حق الله كان أكبر جُرمًا ، وقد أوجب الله الصدق بقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وحذر من الكذب بقوله تعالى ﴿إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله﴾.

الثالث: أن يكون المسلم حَسَن الظن بأخيه المسلم إذا حلف له بالله على شىء فيرضى ويُسلّم.

الرابع: خطورة عدم الرضا بالحلف بالله، كما ورد فى آخر الحديث

«ومن لم يرض فليس من الله» ,

باب

قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تُشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت، رواه النسائي وصححه.

وله أيضًا عن ابن عباس أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت: فقال «**أجعلتني لله ندًا ، ما شاء الله وحده**»، ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود، قلت إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ماشاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال: «**هل أخبرت بها أحدًا** »؟ قلت: نعم، قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن طفلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما

شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا: ما شاء الله وحده.

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله ندًا؟ فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك، والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحى.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

◆ الهدف:

قصد الإمام المجدد رحمه الله من هذا الباب توجيه المسلم إلى العقيدة الصافية القائمة على التوحيد الخالص وأن التلفظ مثل ما ورد فى ترجمة الباب مناف لكمال التوحيد.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديثان لقتيلة وإبن عباس، ورؤيا منامية للطفيل بن عبد الله.

والحديثان أولهما: ينهى عن الحلف بالكعبة، وعن مساواة أحد مع الله

فى المشيئة وحتى لا يقع الإنسان فى أمر نهى عنه الله أمر الرسول من أراد أن يحلف أن يقول ورب الكعبة، وأن يقول ما شاء الله ثم شئت، وقد مر بنا تفصيل لهذا المعنى فى باب قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون﴾.

وثانيهما: فيه سد لأى منفذ يمكن أن يؤدي إلى أى نوع من أنواع الشرك إذ أنكر الرسول عليه السلام على الرجل ذلك الوارد ذكره فى الحديث قوله: ما شاء الله وشئت، قائلًا: أجعلتني لله ندًا ، ثم وجهه إلى أن يجعل المشيئة لله وحده قائلًا: قل ما شاء الله وحده.

وفى آخر الباب تأتي رؤيا الطفيل المنامية فيرويها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه ألّا يقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن ليقولوا: ما شاء الله وحده، وهذا فيه دليل على حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على أن تكون عقيدة المسلم خالصة لله، بعيدة عن كل ما يؤثر على صفاء هذه العقيدة الخالصة لله رب العالمين.

باب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ فى الصحيح عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار)، وفى رواية لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر.

- **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

الثالثة: التأمل فى قوله (فإن الله هو الدهر).

الرابعة: أنه قد يكون سابًا ولو لم يقصد بقلبه.

- **الهدف:**

قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب الكشف عن جهل أولئك الذين يسبون الدهر وينسبون إليه ما يصادفهم من منغصات فى هذه الحياة.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذه الترجمة آية وحديث قدسي:

فالآية القرآنية الكريمة تتحدث عن إنكار دهرية الكفار ومن تبعهم من مشركى العرب للبعث وإعتقادهم أن الدهر هو الذى يسبب لهم المتاعب ويجر عليهم النكبات وأن موتهم أمر طبيعي يتم بفعل الزمن، وعقيدتهم هذه قائمة على أنهم بعد موتهم، يحيا أبناؤهم من بعدهم، ثم يموت أبناؤهم ويحيا أبناؤهم من بعدهم وهكذا إلى ما لا نهاية له، وعلى ضوء هذه العقيدة فلا حياة عندهم بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة، ولا نار، وإنما هى أيام تتلاحق لإفناء الناس لكن الله أخبر أن هذا الإعتقاد مجرد أوهام وظنون، ولهذا قال الله تعالى ﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ يعني أن إعتقادهم أنه ليست هناك حياة غير هذه الحياة الدنيا، وأن الدهر هو الذى يسبب الهلاك للبشر إعتقاد لا يستند إلى منطق أو دليل.

وتتناول الآية الكريمة، العقيدة الشيوعية القائمة على إنكار وجود الله، وهذا هو أعلى مراتب الكفر، وأخطر أنواع الجهل، لأنه ما من

ذرة فى الأرض ولا فى السماء، إلا وهى تؤكد أن هذا الكون بكل ما فيه من صغير أو كبير مُتحرك أو ساكن إنما كان بإرادة الله وقدرته وليس للصدفة فيه أدنى نصيب، ذلك أنه لو كان للصدفة أى نوع من أنواع التأثير، لما كان هذا الكون فى تركيبه ودقته وتنظيمه، على هذا النحو من الأحكام

والإتقان، فالشمس مثلًا نراها فى كل يوم تطلُع من جهة معينة، ثم تغيب فى جهة معينة، متخذة لها مسارة وضع بدقة متناهية، ومثل الشمس فى دقة نظامها، جميع الكواكب فى تحركاتها، فى مداراتها المختلفة منذ أن خلقها الله، والى أن يأذن الله بفناء هذا الكون كله.

يأتى بعد الآية فى هذا الباب الحديث القدسى، وفيه النهى عن سب الدهر، والسبب فى هذا النهى أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا أصابهم مكروه، أو شدة قالوا: يا خيبة الدهر، إعتقادًا منهم بأن الدهر هو سبب هذه الكوارث فيسبونه، وسبهم للدهر، إنما هو سب لله لأن الفاعل فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، أما الأيام والشهور فهي مخلوقة لله وليس لها تأثير فى شىء دون إرادة الله.

و شبيه بالذين ينسبون الكوارث للدهر، أولئك الذين ينسبون حدوث الزلازل والبراكين، ونحو ذلك إلى الطبيعة وحدها، فالكل يعيش فى متاهة عقلية، وضلال مهلِك.

والخلاصة: أن كل شىء فى هذا الوجود خاضع لإرادة الله وتدبيره، وأن الأيام والشهور لا تنفع أحدًا ولا تضره، وأن من أنكر وجود الله أو لم يصدق بالحياة الآخرة، فهو كافر يستحق الخلود فى النار.

باب

التسمي بقاضى القضاة ونحوه

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديث ورواية:

فالحديث فيه التحذير من التسمى ملِك الأملاك، لأن ملِك الأملاك فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى صاحب المُلك المطلق، يُعطى الملك من عباده لمن يشاء، وينزعه من يشاء، ولفظ ملِك الملوك يوحى بالتعظيم الذى يُشبه تعظيم الخالق وهذا لا يجوز، وشبيه فى النهى بالتسمي ملِك الملوك التسمي بقاضى القضاة قياسًا على ملك الملوك، لأن قاضى القضاة، معناه أحكم الحاكمين، وأحكم الحاكمين فى الواقع هو الله وحده.

وأما الرواية فتأتى بلفظ آخر فتقول: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه....إلخ».يعني أن من تسمي بهذا الإسم أو غيره من الأسماء التي توحى بالتعظيم المتكلف الباعث على الكِبر، والتعاظم على الناس، فإن الله يُبغضه، ويُسقط هيبته، وإحترامه بين البشر، ويؤيد هذا حديث عوف عن جلاس عن أبى هُريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إشتد غضب الله على من قتله نبي، وإشتد غضب الله على رجل تسمى ملِك الأملاك لا مالك إلا الله عز وجل»

باب

إحترام أسماء الله تعالى وتغيير الإسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم» فقال إن قومى إذا إختلفوا فى شيء آتوني فحكمت بينهم، فرضى كلا الفريقين، فقال «ما أحسن هذا فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبدالله: قال فمن أكبرهم؛ «قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: إحترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الإسم لأجل ذلك.

الثالثة: إختيار أكبر الأبناء للكنية.

◆ **الهدف:**

قصد داعية الإسلام من هذا الباب بيان الأمر بإحترام أسماء الله وعدم التسمي بها تعظيمًا لذاته وإعترافًا مقام العبودية له وحماية لجانب التوحيد.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديث أبى شُريح هذا، وفيه أن أبا شُريح الخزاعي كان رجلًا مرضيًا فى قومه لما عُرف عنه من إنصاف وعدم تحيز، فكانوا يلجأون إليه عن تراض، ليقوم بالصُلح فيما بينهم من خلافات، فكنوه بأبى الحكم، وما زال الناس يكنونه بهذه الكنية حتى غير الرسول عليه الصلاة والسلام كنيته من أبى الحكم إلى أبى شريح والسبب فى تغيير ذلك، ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بقوله أن الله هو الحكم واليه الحكم.

فالله هو الحكم وإليه الحكم فى الدنيا ويوم القيامة، كما قال الله تعالى ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ وقوله ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ والحُكم إلى الله معناه الحكم إلى كتابه العزيز والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه فى حياته والى سنته بعد مماته.

والخلاصة: أن أبا شُريح هذا لم يكن يقضي بين الناس بأحكام ملزمة كما يفعل ذلك الطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وإنما كان يحل خلافات قومه عن طريق الصلح القائم على التراضى، وهذا أمر محمود ومطلوب من كل أحد، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾

باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله - إلى ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ الآية (٩٠ - التوبة) ,

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم فى بعض أنه قال رجل فى غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم وقد إرتحل وركب ناقته - فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكِب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)؟ ما يلتفت إليه وما يزيد عليه.

فيه مسائل: الأولى: وهي العظيمة أن من هزل بهذا فهو كافر

الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذى يُحبه الله وبين الغِلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الأعذار ما لا ينبغى أن يُقبل.

◆ **الهدف:**

قصد صاحب الكتاب رحمه الله من هذا الباب بيان كفر من إستهزأ بالله أو آياته أو رسوله.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية وسبب نزولها:

فالآية الكريمة جاءت بين آيتين مرتبطتين بها تمام الإرتباط، وحتى تكون الصورة متكاملة فى الذهن نذكر الآيات الثلاث حسب ترتيبها القرآني:

﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم، "قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون, لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم إن تعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾

والآيات الثلاث جاءت لفضح حال من أحوال المنافقين، وقد بدأت الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث بيان حذر المنافقين - الشديد من نزول سورة تكشف ما تنطوى قلوبهم عليه من شك فى الوحى ورسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتوضح ترددهم بين الإيمان والكفر لهذا كانت أحاديثهم فى مجالسهم الخاصة لا تكون لذيذة ومسلية إلا حينما تقوم على الإستهزاء والسخرية من الرسول عليه السلام وأصحابه القراء، كما حدث ذلك فى غزوة تبوك حينما أخذ جماعة من المنافقين يتندرون كعادتهم بنبي الله وصحابته، بقولهم: (ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونًا) يعنون أكثر شرهًا فى الأكل من غيرهم، (ولا أكذب ألسنًا)، يعنون أنهم لا يصدقون فى أقوالهم، وهذا معناه، أن الرسول عليه السلام غير صادق فى قوله بأنه رسول من عند الله، وأن القرآن الكريم كلام الله، وفى تكذيب الرسول عليه السلام فيما جاء به من عند الله تكذيب لكتاب الله، وتكذيب كتاب الله تكذيب لذات الله ،وهذا كفر صريح، (ولا أجبن عند اللقاء) ،يعنون أنهم ليسوا شجعانًا عند ملاقاة الأعداء، وهذا كله كذب يعرفه المنافقون أنفسهم قبل غيرهم، لكن إرتيابهم فى صدق الرسول عليه السلام جعلهم مذبذبين فلا هم بالمؤمنين الصادقين فى إيمانهم، ولا هم بالكافرين الجازمين بالكفر، ولهذا السبب لم يتورعوا عن وصف الرسول وأصحابه بأوصاف لم يقصدوا من ورائها سوى التشويه، وتنفير الناس عن دين الله.

ولذا أراد الله أن يظهرهم على حقيقتهم، فنزلت الآية الكريمة

﴿قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ يعني هل ضاقت عليكم طُرق الكلام فلم تجدوا ما تتسلون به فى هزل وسخرية إلا الله وآياته ورسوله، فأخذتم تُطلقون ألسنتكم بما لا يليق بالله وكتابه ورسوله، ثم بعد ذلك تظنون إن إعتذاركم بأن ما تتكلمون به إنما هو لمجرد التسلية والتلهي ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم﴾ بمعنى إن عذركم غير مقبول وستلقون الجزاء على ذلك.

و شبيه بأولئك المنافقين أصحاب القلوب المنحرفة فى عصرنا والمعروفين بإسم اللادينيين من وثنيين وملحدين، فى سخريتهم من الدين، وإستهزائهم بتعاليمه، وإحتقارهم للدعاة إليه والمدافعين عنه، ومثل هؤلاء اليهود والنصارى فى محاربتهم للإسلام، وكرههم للمسلمين، وإنكار رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

باب

ما جاء فى قول الله تعالى ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ الآية (فُصّلت - ٥٠)

قال مُجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به وقال: ابن عباس يريد من عندي وقوله ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب وقال آخرون على علم من الله إنى له أهل وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذى قد قذرنى الناس به، قال فمسحه فذهب عنه قذره، وأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا ، قال فأي المال أحب إليك؟ قال الإبل - أو البقر شك إسحاق - فأعطي ناقه عشراء، وقال بارك الله لك فيها، قال فأتى الأقرع فقال أي شئ أحب إليك؟ قال شعر حسن ويذهب عني الذى قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعرًا حسنًا

فقال أي المال أحب إليك؟ قال البقر، أو الابل، فأعطي بقرة حاملا، قال بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى فقال أي شئ أحب إليك؟ قال: أن يرد الله الي بصري فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والدة فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم، قال ثم أنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد إنقطعت بي الحبال فى سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك - بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال - بعيرًا أتبلغ به فى سفري، فقال: الحقوق كثيرة, فقال له - كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع فى صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتي الأعمى فى صورته، فقال رجل مسكين وإبن سبيل، قد إنقطعت بي الحبال فى سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك - بالذي رد عليك بصرك - شاة أتبلغ بها فى سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما أُبتليتم، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك»، أخرجاه.

◆ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى ﴿ليقولن هذا لي﴾.

الثالثة: ما معنى قوله ﴿أوتيته على علم عندي﴾.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العِبر العظيمة.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان عِقاب الله للانسان الذى ينعم عليه بالكثير من المال، ثم لا يشكره ولا يعترف بفضله.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وأربعة أقوال في معنى قوله (ليقولن هذا لي) وحديث واحد:

ففي الآية الكريمة بيّن الله نُكران الإنسان لنعمة الله عليه، وجحوده فضله فقال سبحانه وتعالى ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي﴾ يعني ولئن رفعنا عنه الشدة والضيق وأعطيناه الصحة والغِني، ليقولن إنكارًا وعدم إعتراف بفضل الله عليه ﴿هذا لي﴾ أي بسبب جهادي وكفاحي ثم يزيد الإنكار كُفرًا حين يُنكر قيام الساعة، وأنه لا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ ثم يقول في عناد وإستكبار وحتى لو كان هناك بعث فإن لي عند الله في الآخرة من الخير والنعيم مثل ما لدي في الدنيا ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده

للحسنى﴾ لكن الله جلت قدرته بيّن أن الأمر ليس كذلك فقال فى آخر الآية ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ يعني فلنخبرن هؤلاء الكافرين يوم القيامة بما عملوه من ذنوب وآثام وإنكار لليوم الأخر، ولنجازيهم على ذلك بعذاب غليظ لا مفر منه ولا محيد لهم عنه.

وقد قيل فى تفسير قوله: ﴿ليقولن هذا لي﴾ أربعة أقوال كلها تدور حول معنى واحد هو نُكران الإنسان لفضل الله عليه، وأنه حصل على هذا النعيم بسببه هو دون غيره.

ثم يأتى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ليقص علينا قصة أولئك الرجال الثلاثة، الأبرص والأقرع والأعمي، الذين أنعم الله على كل واحد منهم بأفضل ما يتمناه فى حياته، فالأبرص أعطاه الله لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا ومالًا كثيرًا . والأقرع منحه الله شعرًا جميلًا ومالًا غزيرًا ، والأعمى أعاد إليه بصره ورزقه مالًا وفيرًا ، وبيّن مظاهر هذه النعمة الكبيرة التي أنعم الله بها على هؤلاء الثلاثة وحتى تكون فى قصتهم هذه عبرة للمنكرين لفضل الله الجاحدين لنعمته بعث إليهم ملكًا فى صورة رجل فقير يطلب المساعدة من فضل الله الذى أنعم به عليهم، فجاء إلى الأبرص فسأله بالله الذى أنعم عليه باللون الحسن والجلد الحسن والمال الكثير أن يعطيه بعيرًا واحدًا من هذا المال الكثير فإعتذر له وأنكر نعمة الله عليه، وذهب إلى الأقرع ففعل مثل ما فعل الأبرص وأتى الأعمى وقال له كما قال لكل من

الأبرص، والأقرع فإعترف بنعمة الله عليه، وقال له: خذ ما تشاء من المال ولن أردك عن شئ تريد أخذه منه، والعبرة فى هذا الحديث تتلخص فى أمرين: -

الأول: أن كلا من الأبرص والأقرع تناسى فضل الله وأنكر نعمته عليه فأعاده الله كما كان فقيرًا ممقوتا مسخوطًا عليه من الله.

الثاني: أن الأعمى وقد إعترف بفضل الله عليه، بارك الله فى ماله ومنحه رضوانه ولذا قال له المَلَك أمسك عليك مالك، فإنما أُبتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك.

باب

قول الله تعالى ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ الآية (١٩٠ - الأعراف)

قال ابن حزم: إتفقوا على تحريم كل إسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس فى الآية قال: لما تغشّاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة لتطيعانى أو لأجعلن له قرنى ايل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن - يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا ، ثم حملت، فأتاهما فقال لهما مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا ، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ رواه ابن أبى حاتم، وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء فى طاعته، ولم يكن فى عبادته، وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله ﴿لئن آتانا صالحا﴾ قال: أشفقا ألا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغير هما.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل إسم معبد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك فى مجرد تسمية لم يقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السَلف الفرق بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبادة.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان تحريم كل إسم معبد لغير الله كعبد الكعبة، وعبد الرسول، وعبد الحسين، وما أشبه هذه الأسماء التي توحي بالعبودية لغير الله لما فى ذلك من منافاة لكمال التوحيد.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية، وحكاية لإبن حزم، وأثر لإبن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿**جعلا له شركاء فيما آتاهما**﴾.

فحكاية ابن حزم[1] رحمه الله تقول أن العلماء فى عصره إتفقوا على تحريم كل إسم معبد لغير الله، ومثل لذلك بعبد عمر، وعبد الكعبة، وإستثنى إسم عبد المطلب والسبب فى هذه التسمية إن - المطلب قدم إلى مكة من

---

(١)إبن حزم هو ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، عالم الاندلس توفي عام 406 هـ.

المدينة ومعه شيبة[1] ابن أخيه هاشم وقد تغير لونه بسبب حرارة الشمس، فظنه أهل مكة عبدًا للمطلب - فقالوا هذا عبد المطلب فعلق به هذا الاسم فصار لا يدعى إلا به، وإلا فإسمه الحقيقي شيبة

وعلى هذا لا وجه لإستثناء ابن حزم إسم عبد المطلب من تحريم تعبيد الإسم لغير الله وما جاء فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب فهو من باب الإخبار بالإسم الذى أُشتهر به المسمى دون غيره وليس من باب إنشاء التسمية وباب الإخبار يجوز فيه ما لا يجوز فى باب الإنشاء.

وأما أثر ابن عباس رضى الله عنه فى الآية فهو قوله أن آدم لما تغشى حواء وحملت أتاهما الشيطان، وذكّرهما بأنه هو صاحبهما الذى أخرجهما من الجنة، وأنهما إذا لم يسميا هذا الجنين بعبد الحارث، فلن يعيش فلم يطيعاه فخرج المولود ميتًا ، ثم حملت للمرة الثانية فقال لهما مثل ما قال فى المرة الأولى فلم يطيعاه، فخرج المولود ميتًا ، وفى المرة الثالثة، أعاد عليهما التهديد، فأدركتهما العاطفة البشرية، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾.

وقد قال ابن عباس رضى الله عنه: شركاء فى طاعته ولم يكن فى عبادته، يعني أن آدم وحواء عليهما السلام لم يريدا من التسمية بعبد الحارث أن يكون عبدًا لغير الله، كما كان يريد بذلك إبليس وإنما أرادا

(١)شيبه هذا هو الذي حفر زمزم، وصارت له سقايته ولذريته من بعده.

مجرد التسمية، وعلى هذا فالشرك هنا إنما هو لمجرد التسمية.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد من السياق فى الآية الكريمة ليس آدم وحواء وإنما المراد منه ذريتهما، ولذا فالمراد بالزوجين الجنس الذكر والأنثى، وفردان معينان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فتعال الله عما يشركون﴾ والجنس يصدق ببعض أفراده، والمقصود من الآية بيان ما طرأ على ذرية آدم من إنحراف نحو الإشراك مع الله، ولذا يقول الحافظ بن كثير رحمه الله إن الآثار التي وردت فى نسبة الشرك إلى آدم وحواء إنما هى والله أعلم كانت من دسائس اليهود والذي تميل إليه النفس ويتفق مع مقام أو نبي من أنبياء الله، ميزه الله عن غيره بسجود الملائكة له، أن المراد فى الآية الكريمة ليس آدم وحواء وإنما ذريتهما، والله أعلم.

باب

فول الله تعالى ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه﴾ الآية (١٨٠ - الأعراف)

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿يلحدون فى اسمائه﴾: يشركون, وعنه: سموا اللات من الآله، والعزى من العزيز، وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

- **فيه مسائل:**

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: الوعيد لمن ألحد.

- **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن التوسل إلى الله لا يكون إلا بالأسماء الحسنى، وصفاته العليا، وأن ما يفعله بعض الناس من التوسل إلى الله بالأموات لا يُجيزه الإسلام لمنافاته للتوحيد.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب هذه الآية ،وثلاثة أقوال على قوله تعالى﴿يلحدون﴾[1] والآية الكريمة تقول: إن أسماء الله فيها أجمل المعاني وأكمل الصفات فإدعوه بها عند سؤالكم له وطلبكم منه، وأتركوا الذين يغيرون أسماءه بوضعها لغيره مما عبد من دونه.

فإن الله سوف يجازيهم على إلحادهم على ذلك حيث يقول فى آخر هذه الآية ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

تأتي بعد هذه الآية الأقوال الثلاثة، وكلها تدور حول نقطة واحدة هى الميل بأسماء الله عما تدل عليه.

وقد ورد حديث رواه الشيخان[2] عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعة وتسعين إسما مئة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة) وهذه الأسماء كما ورد فى بعض الأحاديث هى:

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار،

---

(١) الالحاد - معناه الميل عن الوسط إلى جهة اليمين أو اليسار ،ومعناه بالنسبة لاسماء الله الميل بألفاظها أو معانيها عن طريق الحق، إما بالتحريف أو التأويل أو بما يتنافى مع وصفها بالحسنى.

(٢) المراد بالشيخين البخارى ومسلم.

القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع, البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي, الكبير، الحفيظ، المغيث، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصى، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي القيوم، الواجد, الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك ذو الجلال والاكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.

◆ **والخلاصة من هذا الباب:**

1) أن التوسل إلى الله بالأموات لا يجوز.

٢) أن الإنسان إذا أراد إن يطلب من الله فليتوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وبالأعمال الصالحة.

باب

لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، قلنا، السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام)

◆ فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله بهذا الباب بيان النهي عن قول السلام على الله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديث واحد هو حديث ابن مسعود رضي الله

عنه وفيه إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام، والسبب فى هذا النبي من الرسول لأصحابه أن السلام: إسم من أسماء الله، فالله هو السلام ومنه السلام، فإذا قال الإنسان السلام على الله كان معنى ذلك دعاء لله بالسلامة وهذا لا يجوز فى حق الله، لأن الله كامل كَمالًا مطلقًا من كل عيب، أو نقص، فلا يحتاج إلى دعاء أحد، وإنما الخلق هم المحتاجون إلى أن يمنحهم الله السلام والخير والسعادة.

باب

قول: اللّٰهُمَّ إغفر لي إن شئت

فى الصحيح عن أبى هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يقل أحدكم: اللّٰهُمَّ إغفر لي إن شئت، اللّٰهُمَّ إرحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مُكره له، ولمسلم (وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شي أعطاه)

◆ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الإستثناء فى الدعاء.

الثانية: بيان العلة فى ذلك.

الثالثة: قوله ليعزم المسألة.

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب، بيان عدم جواز قول: اللّٰهُمَّ إغفر لي إن شئت وما أشبه.

- **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب حديث أبى هريرة رضى الله عنه، ورواية مسلم وحديث أبى هريرة هذا فيه نهي صريح عن تقييد استجابة الدعاء من الله بشرط المشيئة، وأمر صريح بأن من أراد أن يدعو ربه أن يدعوه بما يشاء بلا قيد ولا شرط، ذلك أن الله جلت قدرته أغنى الأغنياء وأكرم الأكرمين، وقد أمر عباده أن يدعوه ووعدهم باستجابة دعائهم، وفى نهاية الحديث وضح الرسول عليه السلام سبب النهي، عن قول **«اللَّهُمَّ إغفر لى إن شئت ونحوه، بقوله «فإن الله لا مُكره له»**

يعني أن الله سبحانه وتعالى لجوده وكرمه ولأنه المالك لهذا الوجود كله ولحبه فى أن يتوجه إليه عباده بالدعاء، ليعطيهم ما يشاؤن، ليس فى حاجة إلى إن يقول الداعي له إن شئت لأنه يعطي لا خوفًا من كُفر أحد ولا طمعًا فى إيمان أحد، فهو الغني عن كل البشر، والبشر فقراء ومحتاجون إليه، ولهذا فهو غير مكره على شئ، بعكس المخلوقين فإنهم، لا يعطون إلا طمعًا فى شئ أو خوفًا من شئ، ويعطون فى أكثر الأحيان وهم كارهون.

أما رواية مسلم ففيها زيادة هى (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شي أعطاه) يعني، إذا سأل الإنسان ربه فليسأل ما يشاء - ولا يتعاظمه الشئ الذى طلبه، لأن الله بيده ملكوت السموات والأرض، وكل شي عظيم فى نفس الإنسان هو حقير وصغير عند الله.

باب

لا يقول عبدي وأمتي

فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **«لا يقل أحدكم اطعم ربك، وضئ ربك، وليقل سيدى ومولاى، ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى»**

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد ربي ولا يقال أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ.

◆ **الهدف:**

قصد داعية التوحيد رحمة الله عليه من هذا الباب النهي عن إستعمال الألفاظ التي وردت فى الحديث إبعادًا لتشبيه المخلوقين بالخالق العظيم.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب حديث أبى هريرة هذا وفيه نهيان وأمران:

الأمر الأول النهي عن قول: أطعم ربك، وضئ ربك، هذا اللفظ وإن

كان جائزًا لغًة إلا أنه لا يجوز شرعًا ، وذلك إبعادًا للمسلم عن التشريك مع الله حتى فى الألفاظ، لأن الله هو رب العالمين خلقهم ورزقهم وبيده مصيرهم، فإذا أُطلق هذا اللفظ على شخص كان معنى ذلك أنه شارك الله فى وصف الربوبية، حتى ولو لم يكن ذلك مقصودًا ، وبدلًا من وقوع المسلم فى محظور، أمر الرسول عليه السلام بإستعمال لفظ آخر لا محذور منه حين قال: (وليقل سيدي وموﻻ ي).

الأمر الثاني:- النهي عن قول (عبدي وأمتي) وهذا اللفظ وإن كان جائزًا لغًة إلا أنه لا يجوز شرعًا ، وذلك حرصًا على بقاء عقيدة المسلم القائمة على العبودية الخالصة لله رب العالمين، فإذا أُطلق هذا اللفظ على شخص كان معنى ذلك أنه شارك الله فى وصفه بالألوهية، حتى ولو لم يكن ذلك مقصودًا ، وبدلًا من الوقوع فيما هو غير جائز، أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإستعمال لفظ آخر لا محذور فيه حين قال: (وليقل فتاي وفتاتي).

باب

لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من إستعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**»، رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

- **فيه مسائل:**

الأولى: إعاذة من إستعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله «**حتى ترّوا إنكم قد كافأتموه**».

- **الهدف:**

قصد رحمه الله من هذا الباب بيان النهى عن رد السائل إذا سأل بالله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديث ابن عمر وفيه أربعة أمور:

الأول: قول الرسول عليه الصلاة والسلام «من سأل بالله فأعطوه».
وظاهر هذا الكلام النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، ومعنى هذا أنه يجب على المسلم لأخيه المسلم حينما يسأله بالله فى أمر من الأمور، إزالة ضرر مثلًا ، أو مشاركة فى رأى، أو مساعدة فى حل مشكلة، أن يبادر لإجابة طلبه تعظيمًا لمن سأل به وهو الله جلت قدرته، أما إذا كان سؤاله بالله من أجل الحصول على شيئ من المال، فإن كان فى غير حاجة ملجئة له إلى السؤال فذلك حرام عليه ولا تجب إجابة طلبه، وإن كان فقيرًا فإنه يجب على بيت مال المسلمين أن يعطيه بقدر حاجته لأنه فرد من أفراد المسلمين وله حق فى بيت المال، وعلى من عنده فضل مال من المسلمين أن يساعده مما أعطاه الله وإلا فالجميع آثمون.

الثاني: قوله: (ومن إستعاذ بالله فأعيذوه) وهذا يعني أن المسلم إذا إستعاذ بالله أُعيذ، كما فعل الرسول عليه السلام، فقد روى أنه أراد أن يتزوج بأمرأة جميلة فقيل لها إذا كنت ترغبين أن يحبك فقولى له إذا دخل عليك أعوذ بالله منك، ففعلت المسكينة عن حًسن نية ما قيل لها، فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام، لقد عذت بمعاذ - إلحقي بأهلك -

الثالث: قوله: (ومن دعاكم فأجيبوه) وهذا يعني أن من حق المسلم

على أخيه ألا يرفض دعوته إذا دعاه للتحدث إليه أو تناول طعام فى بيته، لما فى هذا من توثيق روابط الأخوة والمحبة فيما بين المسلمين.

الرابع: قوله: (ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروانكم قد كافأتموه).

وفى هذا أمر بالمجازاة على المعروف، وفى ذلك حث على البذل والعطاء وتبادل المصالح بين الناس، وفى حالة عدم المقدرة على المجازاة على المعروف بالمال، أرشد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى شئ آخر ينوب عنه وهو الدعاء فقال: (فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه).

باب

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**» رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان المنع من السؤال بوجه الله - فى أمر من أمور الدنيا.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديث واحد هو حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه وفيه دلالة على النهى عن السؤال بوجه الله إلا فى طلب الجنة التي هى أُمنية كل مؤمن بالله - أما السؤال بوجه الله فى أمور سهلة من أمور الحياة مثل السؤال فى زيادة المال وكثرة الأولاد والصحة والسعادة مثلًا فلا يجوز ذلك كما هو مفهوم الحديث، وهذا الحديث لا تعارض بينه وبين ما

ورد فى بعض الأحاديث التي ورد فيها السؤال بوجه الله، كما ورد فى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام لدى منصرفه من الطائف وقد كذبته ثقيف حين قال: (اللّٰهُمَّ إليك أشكو ضعف قولى، وقلة حيلتي وهوالى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالى، غير أن عافيتك أوسع لي، «**وفى آخر الدعاء، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**».

وعدم التعارض بين الحديث وهذا الدعاء وأمثاله أنه دعاء فيما يقرب إلى الجنة، وليس دعاء من أجل أمر من أمور الدنيا.

باب

ما جاء فى اللو

وقول الله تعالى ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شي ما قتلنا ههنا﴾ الآيه (١٥٤ - آل عمران) وقوله ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا﴾ الآية (١٩٨ - آل عمران) فى الصحيح عن أبى هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إحرص على ما ينفعك وإستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان).

- **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير الآيتين فى آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الإستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

- **الهدف:**

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب النهي عن الجزع وعدم الصبر عند المصائب.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان، وحديث واحد:

فالآية الأولى: قال الزبير فى سبب نزولها، لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين إشتد علينا الخوف، فأرسل الله علينا النوم، والله إنى لأسمع معتب بن قشير والنعاس يغشانى، ما أسمعه إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا، فأنزل الله عز وجل ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا﴾.

يعني يقول بعض هؤلاء المنافقين لبعض، فى جزع وعدم إيمان بقضاء الله وقدره، لو كان النصر بأيدينا كما يدّعي ذلك محمد لما قُتل من المسلمين من قُتل فرد الله عليهم هذا الزعم، (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كُتبت عليهم القتل إلى مضاجعهم) يعني لو بقيتم فى بيوتكم ولم تخرجوا للقتال، لخرج منكم من أراد الله له القتل كما هو مقدر فى اللوح المحفوظ وعلى هذا فكلمة (لو) لا تُرد قدرًا أراده الله.

والآية الثانية: تحكي قصة عبد الله بن أبى وأصحابه الذين أشاروا على بعض من خرج مع الرسول عليه السلام فى غزوة أُحد بعدم الخروج معه، فلما قُتلوا قال ابن أُبى ومن تخلف معه عن الجهاد أن أولئك الذين قُتلوا لو

سمعوا مشورتنا، وأطاعوا رأينا وقعدوا عن القتال لما قتلوا - فرد الله عليهم قولهم هذا بقوله تعالى ﴿قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ يعني إن كان سلامتكم من الموت بسبب قعودكم عن القتال فى سبيل الله فادفعوا عن أنفسكم أنواع الموت، التي تأتى بصور مختلفة وأسباب متعددة، ومن هنا فإن كلمة لولا تقف أمام شيء مقدر من عند الله.

يأتى بعد هاتين الآيتين - حديث أبى هريرة، وفيه الأمر بحرص المسلم على عمل ما ينفعه فى حياته وآخرته من طلب رزق حلال، وعمل صالح يقر به من ربه طالبًا الإعانة من الله ومحّذرًا له من العجز لأن العجز أمر مستقبح فى نظر الإسلام، وفى آخر الحديث نهى عن إستعمال كلمة (لو) لما فيها من عدم الصبر بقضاء الله وقدره، فقال (واذ أصابك شيء فلا تقل لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان) وعمل الشيطان يتمثل فى عدم الرضاء ما قدره الله وقضاه، وعدم الرضا بما قدره الله دليلٌ على ضعف الإيمان لدى الإنسان.

باب

النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا «اللَّهُمَّ أنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أمرت به» صححه الترمذى.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

◆ **الهدف:**

قصد الإمام رحمة الله عليه بهذا الباب بيان إن سب الريح يعني أنها هى الجالبة للأذى بنفسها دون أمر من الله وفى هذا منافاة لكمال التوحيد لله الذى بيده الأمر والتدبير.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب حديث واحد هو حديث أُبى بن كعب وفيه نهى وإرشاد فالنهى جاء فى كلمة: (لا تسبوا الريح) لأن الريح مخلوقة من مخلوقات الله يأمرها الله بأن تثير السحاب، وتحمله على متنها تذهب به حيث يريد الله فتفعل كما جاء ذلك فى قوله تعالى وهو الذى يُرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويأمرها بأن تُلقح السحاب بالماء، وتنقل اللقاح للأشجار فتنفذ كما قال الله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾، ويأمرها بأن تدمر كل شىء، وتقضي على كل شىء فلا تتأخر، كما فعلت بأمر من الله لقوم عاد، حين جاء ذلك فى قوله تعالى ﴿وأما عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام فترى القوم فيها مرعي كأنهم اعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية﴾ وعلى هذا فالريح قد تأتى بخير، وقد تجلب مكروها، لكن ذلك كله بتوجيه من الله لها ولهذا لا معنى لسبها، أما الإرشاد فى قوله عليه السلام: «فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللّهُمَّ إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أُمرت به».

والخلاصة: أنه لا يجوز سب الريح لأن سبها سبٌّ لله لأنه هو الذى أمرها.

باب

قول الله تعالى ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شىء، قل إن الأمر كله لله﴾، الآية (١٥٤ - آل عمران).

وقوله ﴿الظانين بالله ظن السوء، عليهم دائرة السوء﴾, الآية (٦ الفتح).

قال ابن القيم فى الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يُظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذى ظنه المنافقون والمشركون فى سورة الفتح وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق أدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ﴿فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه

بهذاوليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش فى نفسك هل أنت سالم؟ فإن تنج منها منها تنج من ذي عظيمة.............. وإلا فإني لا أخالك ناجيا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمة الله عليه بهذا الباب التحذير من سوء الظن بالله جل جلاله، لأن سوء الظن بالله يقدح فى توحيد الإنسان.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آيتان وتفسير لإبن القيم لكلمة الظن فالآية الأولى من هاتين الآيتين تتحدث عن إعتقاد فريق من المحاربين مع الرسول عليه السلام فى غزوة أحد حينما أصابهم الهلع وإستولى عليهم الخوف وقت

هزيمتهم بأن ما حصل لهم من هزيمة وقتل ليس بسبب تنازعهم وعصيانهم للرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما لأن الله لم يحقق وعده لمحمد بالنصر على أعدائه، وهذا فيه سوء ظن بالله ولهذا قال تعالى ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ يعني يظنون بالله ظنًا لا يليق به سبحانه وتعالى وذلك عندما كانوا يقولون فى انفسهم لو كان محمد نبيًا: ما إنتصر المشركون على المسلمين فى هذه المعركة، ولذا حكى الله عنهم قولهم: بقوله سبحانه ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شىء﴾ يعني يقول بعضهم لبعض على سبيل الإستفهام الإنكارى، هل حصلنا على شىء من النصر الذى قال محمد إن الله وعده به فرد الله عليهم هذا الزعم بقوله تعالى: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ أي أن كل ما تجرى فى هذا الكون من نصر أو هزيمة أو غير ذلك إنما هو بإرادة الله ولحكمة يراها جلت قدرته و نصر الله لنبيه وللمؤمنين من بعده إلى يوم القيامة لا يمنع أن تكون الحرب سجالًا لكن النصر فى النهاية دائما يكون للمؤمنين كما قال الله سبحانه ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ وهنا فضح الله أولئك الذين يُبطنون الإنكار والتكذيب بالرسول عليه السلام، وعدم الوثوق بوعد الله بقوله ﴿يخفون فى أنفسهم ما لا يُبدون لك﴾ وبقية هذه الآية تقدم بيانها فى باب ما جاء فى اللو.

أما الآية الثانية: فى هذا الباب فتتحدث عن العذاب الذى أعده الله للذين ظنوا أنه لا ينصر رسوله، أو أنه يتخلى عن عباده المؤمنين به الصادقين معه، فقال ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين

بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا!﴾.

والخلاصة: أن من ظن أن الله لا ينصر عباده المؤمنين أو لا يتجاوز عن هفوات التائبين، أو لا يعدل بين الناس أجمعين، أو لا يفي بوعده للطائعين، ووعيده للعاصين، فقد ظن بالله ظن السوء، وهو أمر يعرض الإنسان ولاشك لغضب الله وعقابه.

باب

ما جاء فى مُنكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهبًا ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم إستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم.

وعن عُبادة بن الصامت أنه قال لإبنه، يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أن أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب فقال رب وماذا أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة «يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من مات على غير هذا فليس مني» وفى رواية لأحمد «أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: أكتب، فجرى فى تلك الساعة ما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفى رواية لإبن وهب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار).

وفى المسند والسنن عن ابن الديلمي قال أتيت أُبى بن كعب فقلت: (فى نفسي شىء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال: لو

أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم)، حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به

الرابعة: الإخبار بأن أى أحد لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن إنكار القدر منافٍ للتوحيد لما فى ذلك من نسبة الأفعال لغير الله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب ثلاثة أحاديث:

أولها: الحديث الذى رواه ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن القدر ركن من أركان الإيمان الستة، وأن من أنكره فقد أنكر أصلًا من هذه الأصول ولخطورة هذا الإنكار أقسم ابن عمر رضى الله عنه بأن الله لا يتقبل صدقة من إنسان مهما كانت هذه الصدقة عظيمة حتى يؤمن بالقدر.

وثانيها: حديث عبادة بن الصامت الذى قال فيه: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب، فقال: يا رب وماذا أكتب؟ فقال: أكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة وقد ورد هذا الحديث برواية أخرى عن الأمام أحمد «أن أول ما خلق الله القلم فقال: أكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» وحديث عبادة ورواية الإمام أحمد فيهما دلالة على أن كل ما يجري فى هذا الكون

منذ أن خلقه الله إلى قيام الساعة إنما جاء نتيجة القدر الله، ولهذا قال عبادة لإبنه يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، وفى آخر حديث عبادة هذا قال لإبنه يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس منى».

وهذا هو معنى الإيمان بالقدر، إعتقاد الإنسان بأن ما كان وما يكون إنما هو بأمر الله وتدبيره، ومن اعتقد غير ذلك فقد عرض نفسه لخطر كبير، ولذا ورد فى رواية ابن وهب قول الرسول عليه الصلاة والسلام «من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار»: أما الحديث الأخير: حديث أُبى بن كعب فهو لا يختلف فى معناه عن معنى الحديثين السابقين فى هذا الباب.

والخُلاصة من هذا الباب: أن الله سبحانه وتعالى قدر مقاديرالكائنات قبل خلق السموات والأرض، وأنه ما من شيء يحدث فى هذا الكون إلا بقدر من الله، وهنا ربما يرد سؤال ليقول: إذا كان الله سبحانه قد قدر كل شيء، فما الفائدة من العمل؟ والجواب عن هذا جاء فى حديث رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه بقوله: كنا فى جنازة فى بقيع الغرقه - فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا من حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل:

يا رسول الله ألا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيُيَسر إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيُيَسر إلى عمل أهل الشقاوة.

وليس معنى هذا أن الإنسان مسلوب الإرادة مجبور على ما يأتيه من أعمال صالحة أو فاسدة، لأن الله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان، أعطاه العقل ليميز به بين الخير والشر، ومنحه الإرادة لتحول بينه وبين نوازع الفساد والإنحراف والإنسان بعد ذلك هو الذى يختار وبطوع إرادته إلى الطريق الذى يرتضيه لنفسه.

مثال يوضح هذا المعنى - تلميذ تعمد أن لا ينجح فى الإمتحان فأعطى إجابة سيئة فرسب، أليس ذلك بإختياره؟ كما أنه أيضًا بإختياره لو أراد النجاح لإجتهد وأعطى إجابة حسنة ونجح.

مثال آخر: شخص ما عزم على الإقدام على فعل أمر محرم ثم رجع من نفسه أليس قد فعل ذلك بإختياره؟

مثال ثالث: شخص تعمد خيانة عقيدته وأُمته لسبب ما أليس ذلك بإختياره؟

هذه أمثلة وغيرها كثير لإبطال عقيدة الذين يقولون أن العبد مسير وليس له إرادة يحمي بها نفسه من الوقوع فى الأخطاء، والدليل المنطقي على فساد هذه العقيدة (عقيدة الجبر) إننا لو قُلنا أن الإنسان ليس له إختيار

فيما يفعله فى هذه الحياة فإن هذا القول يؤدي بنا إلى نتائج خطيرة من أهمها أنه إذا تعدى شخص على آخر فقتله، أو سرق ماله - أو زنى أو شرب خمرًا أو فعل غير ذلك من الجرائم، فإنه لا عِقاب عليه فى ذلك ما دام أنه مجبور ليس له إختيار فى ذلك ومعنى ذلك الفوضى بكل معانيها وفساد النظام الإجتماعي بكل صوره وهذا شيء لا يقره العقل.

باب

«ما جاء فى المصورين»

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلُقوا ذرة، أو ليخلُقوا حبة، وليخلُقوا شعيرة» أخرجاه، ولهما عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله» ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مصور فى النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذّب بها فى جهنم» ولهما عنه مرفوعًا «من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا تدع صورة إلا طمسها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد فى المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله «ومن أظلم

ممن ذهب يخلُق كخلقي».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله (فليخلقوا ذرة أو شعيرة).

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا .

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذّب بها المصور فى النار

السادسة: أنه يُكلَّف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

◆ الهدف:

قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب بيان عقوبة المصورين الذين يضاهئون خلق الله حماية العقيدة التوحيد فى النفوس من كل شبهة وثنية، وخوفًا من أن تتحول تلك الصور من بعد زمن إلى آلهة تُعبد من دون الله كما حدث ذلك لقوم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب خمسة أحاديث، أربعة تتحدث عن عذاب المصورين الذين يضاهئون خلق الله، والحديث الخامس يوضح كيفية إزالة الصور والقبور المرفوعة عن الأرض بشكل بارز عن القبور الأخرى والأحاديث الأربعة هى:

أولًا: الحديث القدسي الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه، وفيه أن الله سبحانه وتعالى بيّن أنه لا أحد أظلم من الذى يُحاول أن يتشبه بالله فى الخلق، وذلك بتصوير أشياء على شكل ما خلق الله من إنسان أو حيوان أو غير ذلك مما له روح، وحتي يُظهر الله عجز المصورين تحداهم إذا كانوا يقدرون على مشابهة الله فى الخلق من العدم، أن يخلُقوا ذرة، أو حبة، أو شعيرة، ولكنهم قطعًا لا يستطيعون ذلك وحتى العالم كله بكل وسائله العلمية لو أراد أن يخلُق ذرة أو ذبابًا ما إستطاع ذلك أبدًا وهذا يدل على العجز الكامل للإنسان عن أن يضاهى الله فى شىء من خلْقه.

ثانيًا: حديث عائشة رضى الله عنها وفيه أن عذابًا شديدًا يوم القيامة للذين يضاهئون بخلق الله لما إرتكبوه من ذنب كبير لا يرضى عنه الله.

ثالثًا: حديث ابن عباس رضى الله عنهما، وفيه أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذَّب بها المصور فى جهنم.

والحديث الرابع: عنه أيضًا أن الله إظهارًا لعجز المصور يكلفه يوم القيامة بأن يجعل فى كل صورة حياة حقيقية، لكنه لن يقدر على ذلك .

أما الحديث الخامس والأخير فى هذا الباب: حديث علي رضى الله عنه ففيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطمس الصور وتسوية القبور المرتفعة ببناء أو غيره والسبب فى ذلك أن الصور فيها مضاهاة لخلق الله ، ورفع القبور بالبناء عليها أو غيره مدعاة لتعظيمها ووسيلة من الوسائل

المؤدية إلى الشرك بالله.

والخلاصة من هذا الباب: تحريم التصوير، لكن الأحاديث الواردة فيه لم تفرق فى التحريم بين الصور المجسمة والصور التي لا جسم لها، ولعموميات هذه الأحاديث وغيرها، حصل الخلاف بين العلماء فى التصوير، منهم من حرم الصور بدون إستثناء سواء كانت الصورة مجسمة أو غير مجسمة ومنهم من قصر التحريم على الصور المجسمة دون غيرها.

دليل من نهى عن الصور بدون إستثناء الأحاديث الواردة فى هذا الباب والتي لم تفرق فى النهى بين صورة وأخرى وحديث لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة، عام لم يفرق بين الصورة التي لها ظل، والتي لا ظل لها وغير ذلك من أحاديث وردت فى هذا المعنى وإذا فالنهي عام، وعلى هذا فكل تصوير لأى مخلوق له روح حرام، لأنها مضاهاة لخلق الله إلا أن أصحاب هذا الرأى قالوا: إن المحرم من الصور ما كان كاملًا ، أما إذا أُزيل عضو لا تمكن الحياة بدونه فهي مباحة، كما أباحوا من الصور الفوتغرافية ما توجبه الضرورة أو تقتضيه المصلحة العامة مثل البطاقات الشخصية وجوازات السفر، وصور المشبوهين، وما شابهها.

أما من قصر التحريم على الصور المجسمة فإنه يرى أن كل ما ورد فى التصوير والصور من الوعيد إنما يقصد به الصور المجسمة، لأنها هى التي فيها مشابهة للوثنيين الذين يصنعون أصنامهم بأيديهم ثم يقومون بتعظيمها

وتقديسها، ومثل هذا ما يفعله الناس اليوم من تلك التماثيل التي توضع فى الميادين العامة تخليدًا لذكرى قائد أو زعيم، وعلى هذا فإن أصحاب هذا الرأي لا يرون حرمة فى تصوير ما لا ظل له مثل النقوش والصور التي توضع على الفرش والثياب وكذلك الصور الشمسية، اللّٰهُمَّ إلا ما كان منها مخالفًا للآداب الإسلامية، مثل صور النساء العاريات وشبه العاريات، وكذا ما تفعله دور العرض من تصوير للنساء فى أوضاع مبتذلة، وبطريقة مثيرة للفتنة - فإن هذا محرم, أما غير ذلك من الصور التي لا ظل لها فغير منهى عنها، ويستدلون على رأيهم هذا بما رواه مسلم فى صحيحه عن بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبى طلحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة» قال بسر ثم إشتكى زيد بعد ذلك فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة قال: فقلت لعبيد الله الخولانى ربيب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وكان معه) ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: إلا رقمًا فى ثوب ومعنى هذا إن الرقم فى الثوب وما أشبهه لا يدخل فى المنهى عنه من التصوير.

والحديث الذى رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل إستقبله فقال: لي رسول الله عليه السلام: «حولي هذا فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا» وعلى هذا فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يأمرها بتقطيع الستر، وإنما أمرها

بتحويله من مكانه ولو كان ذلك محرمًا لم يسمح ببقائه فى بيته، ومن أجل هذا وذاك يتبين أن المقصود من الصور المحرمة هى الصور المجسمة أما ما ليس لها ظل فلا تدخل فى الوعيد المذكور فى الأحاديث الواردة فى هذا المعنى إلا ما خرج منها عن آداب الإسلام كصور النساء العاريات ونحوها مما حرمته أو نهت عنه تعاليم الإسلام.

باب

ما جاء فى كثرة الحلف

وقول الله تعالى ﴿واحفظوا ايمانكم﴾ الآية (٨٩ - المائدة)

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب» أخرجاه.

وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح وفى الصحيح عن عمران بن حُصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ «ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

وفيه عن ابن مسعود إن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»، وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

◆ **فيه مسائل:**

الأولى: الوصية بحفظ الإيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى.

الخامسة: ذم الدين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن كثرة الحلف دليل على إستخفاف الإنسان بعظمة الله، وفى هذا منافاة لكمال التوحيد.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية واحدة واربعة أحاديث:

فالآية الكريمة، تأمر بعدم الحلف فى كل أمر من الأمور، والإكثار من

الأيمان الصادقة، فضلًا عن الإيمان الكاذبة، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم﴾، وذلك لما فى كثرة الحلف من الاستخفاف بالله وعدم تعظيمه فى القلب.

يأتى بعد هذه الآية الكريمة حديث أبى هريرة وفيه بيان لما يتصف به الكثير من الناس فى تعاملهم مع الآخرين من صفات لا تتفق مع خُلق المسلم، وإبراز هذه الصفات فى التعامل إستخفاف الإنسان بالحلف بالله كذبًا كلما أراد أن يبيع شيئًا من متاع الدنيا ليحصل على ربح أكثر.

مثال: يوضح هذا المعنى رجل إشترى بُستانًا بعشرة آلاف ريال ثم رغب فى بيعه فجاءه شخص يريد شراءه فسأل البائع عن الثمن الذى إشتراه به فأخذ يحلف له بالله أنه أشتراه بخمسة عشر ألف ريال، فيصدق المشترى أنه إشتراه بهذا المبلغ من المال والأمر ليس كذلك، لذا قال النبي عليه السلام فى هذا الحديث (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة)، يعني أن الحلف ربما يكون سببًا للبيع بزيادة، لكن الله لا يبارك فى كسب يقوم على مخالفة أمر الله.

ثم يأتى بعد حديث أبى هريرة، حديث سلمان رضى الله عنه وفيه أن ثلاثة أصناف من الناس لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم، وذلك بسبب إغراقهم فى الإثم واستمرارهم فى فعل المعصية,

الأول من هذه الأصناف الثلاثة كما ورد فى الحديث (أشميط[1] زان) وقد ضوعف له العذاب، لاستمراره على معصية الله فى سن كان ينبغي له فيه أن يحاسب نفسه، ويقبل فيه على ربه، ويتوب إليه من ذنوبه، لكن استمراره على المعصية، دليل على تمكن الفجور من نفسه، وعدم خوفه من الله، فأغلظ الله له فى العقوبة.

والثاني، كما ورد فى الحديث - (عائل[2] مستكبر) وسبب تغليظ العقوبة له تكبره وتعاظمه، بدون داع لذلك، وإن كان التكبر مذموم للغني والفقير لكن تكبر الفقير دليل على إنطباع النفس على هذا الخلق الذميم، لذا عظُمت عقوبته.

أما الصنف الثالث - كما ورد فى الحديث «رجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه».

وسبب تغليظ العقوبة له، حلفه بالله كلما أراد البيع أو الشراء وهذا دليل على الإستخفاف بعظمة الله.

أما الحديث الثالث فى هذا الباب فهو حديث عمران بن حُصين رضى الله عنه، وفيه إخبار عن أمرين:

الأول: أن أفضل الأمة الإسلامية، فى عمق الإيمان، وصفاء العقيدة،

---

(١)الاشيمط: هو الرجل الذي وخطه الشيب.

(٢)العائل: الفقير.

ونقاء النفس، وفى الصلاح، والتقوى، وبذل النفس والمال فى سبيل الدعوة إلى الله، والدفاع عن دينه هم القرن الذين كان فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يليهم فى الأفضلية القرن الثانى، ثم يأتى فى الدرجة الثالثة أهل القرن الثالث.

الثاني: أنه بعد هذه القرون المفضلة، يضعف وازع الإيمان فى القلوب، وتبدأ درجة من الإنحدار فى الأخلاق فيأتى قوم يحرصون على أن يشهدوا قبل أن تطلب منهم الشهادة ودون أن يتحروا الصدق فى شهادتهم، وأُناس لا أمانة لهم، فهم غارقون فى الخيانة لا يتورعون عنها، ولا يحيدون عن مزاولتها وغيرهم لا يوفون بما أوجب الله عليهم من نذر نذروه الله، وآخرون منغمسون فى نعيم الدنيا غير مهتمين بأمور الآخرة، فسمنت أجسامهم، وكل هذه الأمور قد حصلت فى الناس اليوم وهى من الأمور الغيبية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستقع ووقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام لأنه لا ينطق عن الهوى.

وفى نهاية هذا الباب يأتى الحديث الرابع حديث ابن مسعود رضى الله عنه وليس به زيادة عما ورد بالحديث السابق له (حديث عمران بن حصين) سوى ما ورد به من إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن قومًا بعد ذهاب القرون الثلاثة يأتون، وقد وصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بوصف يدل على ضعف فى إيمانهم وعدم خوف من الله فى قلوبهم، إذ يقول عليه السلام: ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه

شهادته، وقد وقع هذا كما أخبر عليه السلام، وحدث ما هو أكبر جُرمًا منه، وإذ وجد من يعرض نفسه لأداء الشهادة كذبًا وزورًا فى مقابل أخذ شىء قليل من المال كما هو الحال فى كثير من البُلدان.

وخاتمة الباب قول إبراهيم النخعي بأن أهل زمانهم كانوا يضربونهم وهم صغار على كلمة أشهد بالله لقد كان كذا وعلي عهد الله لقد كان كذا، حتى لا تُصبح هذه عادة تستمر معهم عندما يُصبحون مكلفين.

باب

ما جاء فى ذمة اللهٰ وذمة نبيه

وقول الله تعالى ﴿وأوفوا بعهد اللهٰ إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الآية (٩١ - النحل).

عن بُريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال: «أغزوا بسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم إدعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فأقبل منهم، ثم أُدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفيء شىء، إلا إن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فإستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن إجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن

تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟» رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا

الثالثة: قوله «إغزوا بسم الله فى سبيل الله».

الرابعة: قوله «قاتلوا من كفر بالله».

الخامسة: قوله «استعن بالله وقاتلهم».

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: فى كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى أيوافق حكم الله أم لا؟

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمة الله عليه من هذا الباب وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، تعظيمًا لله، وتنفيذًا للعهد الذى أعطي بإسمه.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب آية، وحديث واحد:

فالآية الكريمة فيها الأمر من الله بالوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة، سواء كانت هذه العهود والمواثيق بين فرد وفرد، أو جماعة وجماعة، أو بين دولة وأخرى أو بين مسلم وكافر فالعهد إلتزام أمام الله ويجب الوفاء به، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى «ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا».

يعني لا تُخالفوا ما عقدتم فيه الأيمان، فتكذبوا، وتنقضوه بعد إبرامه، وقد جعلتم الله كفيلًا على الوفاء بهذا العهد ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ بهذه العهود والمواثيق - أتبرون وتلتزمون بالوفاء بها أو تنقضونها وتتركون الوفاء بها فتكونون بذلك قد خالفتم أمر الله ونهيه.

بعد هذه الآية الكريمة يأتى حديث بُريدة رضى الله عنه، وهو يحتوى على توجيهات وتعليمات للمجاهدين فى سبيل الله فيقول بُريدة رضى الله عنه: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرًا على جيش[1] أو سرية[2] «أوصاه» بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا يعني أمره أن يكون قدوة حسنة لغيره، وأن يعامل من معه من المسلمين معاملة تُشعرهم

---

(١) الجيش: ما كان أكبر من السرية.

(٢) السرية أربعمائة من الخيل ونحوها.

بالعزة والكرامة، وتدفعهم إلى الإستبسال فى المعركة، وهذا عامل من عوامل النصر ثم بعد هذه الوصية يقول لهم إغزوا بإسم الله فى سبيل الله، يعني إبدأوا مستعينين بالله متوكلين عليه مخلصين له، «قاتلوا من كفر بالله» يعني لا تستثنوا أحدًا من الكفار سوى من كان بيكم وبينه عهد، وغير المحاربين عادة كالرهبان، والنساء، والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، فإن هؤلاء لا يصح قتلهم إلا إذا اشتركوا فى القتال بأى شكل من الاشكال فإن قتلهم جائز، «اغزوا ولا تغلوا» يعني لا تأخذوا من الغنيمة شيئا قبل قسمتها.

(ولا تغدروا) يعني لا تنقضوا العهد الذى قطعتموه على أنفسكم لأن نقض العهد دليلٌ على عدم تعظيم الله.

(ولا تُمثِلوا) يعني لا تشوهوا بالقتيل، نجدع أنفه أو قطع أذنبه مثلًا .

(ولا تقتلوا وليدًا) يعني طفلًا صغيرًا .

وبعد هذه التوجيهات النبوية، أمر عليه الصلاة والسلام قائد الجيش إذا لقى الكفار، وقبل أن يبدأ القتال بأن يعرض عليهم ثلاثة أمور:

الأول: أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن وافقوا وأعلنوا إسلامهم، وجب الكف عن قتالهم، وهذا دليل على أن المسلمين لا يُقاتلون من أجل الحصول على الدنيا، وإنما من أجل هداية الناس إلى دين الله فإذا دخلوا فى الإسلام «دعاهم إلى الهجرة من دارهم إلى دار المهاجرين» يعني المدينة وكان ذلك

مستحبًا أو واجبًا، على كل من أسلم من أهل مكة أو غير ها قبل الفتح، وأما بعد الفتح فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية.

وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين «الخ» يعني من إستحقاق الفيء والغنيمة وغير ذلك وإن أبوا التحول فهم كسائر المسلمين الساكنين فى البادية من غير هجرة ولا غزو, تجري عليهم أحكام الإسلام وليس لهم نصيب من الغنيمة أو الفيء إلا إذا جاهدوا مع المسلمين.

الثاني: إذا لم يوافقوا على الدخول فى الإسلام، وأعلنوا بقاءهم على دينهم أن يطلب فرض الجزية عليهم، فإن وافقوا وجب الكف عن قتالهم، وفى هذا دلالة على أن إكراه الناس بالقوة للدخول فى الإسلام أمر غير متفق عليه، «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾.

الثالث: إن رفضوا الدخول فى الإسلام ولم يقبلوا دفع الجزية، فليقاتلهم مستعينًا بالله معتمدًا عليه، ثم قال عليه الصلاة والسلام مختتمًا توجيهاته وتعليماته لأمير الجيش.

«وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه... إلخ» يعني إذا قمت بحصار بلدة، أو مدينة أو غيرها، وطلب منك أهلها إعطاءهم العهد والميثاق على سلامة أرواحهم وأموالهم، فلا تعطهم العهد

بإسم الله ولا بإسم نبيه ولكن إقطع لهم عهدًا على نفسك وأصحابك، حتى إذا حصل نقض لهذا العهد من جانب جاهل من أفراد الجيش، كان ذلك أهون من نقض عهد أُعطِيَ بإسم الله أو إسم نبيه.

(وإذا أرادوك أن تنز لهم على حكم الله.... إلخ)، يعني إذا طلب منك أهل حصن أن تفك الحصار عنهم على حكم الله فلا تفعل، فربما لا تدرى أتصيب حكم الله أم تخطيء، ولكن أنزلهم على حكمك حتى إذا أخطأت فى الحكم يكون أسهل من إنزالهم على حكم الله.

باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مطعم قال: (جاء أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال فإستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله، سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك أتدرى ما الله إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) وذكر الحديث رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: الإنكار على من قال نستشفع بالله عليك.

الثانية: تغيره تغيرًا عرف فى وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله.

الرابعة: التنبيه على تفسير سبحان الله.

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الإستسقاء.

◆ **الهدف:**

قصد شيخ الإسلام رحمه الله النهى عن الإستشفاع بالله على أحد من خلقه، تعظيمًا لذاته.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب حديث واحد، هو حديث جُبير هذا وفيه يذكر قصة أعرابى جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، يشكو له الفقر والجوع وهلاك الأموال بسبب تأخر نزول الأمطار عليهم، ويسأله أن يدعو الله لهم بتنزيل المطر لتسعد نفوسهم وتحيا مواشيهم، ويذهب الجوع عن أولادهم، فقال: إنا نستشفع بالله عليك وبك على الله فأخذ الرسول عليه السلام يرد التسبيح، ويقول: سبحان الله سبحان الله، ثم قال للأعرابى: «**ويحك أتدرى ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه**» يعني أن الله أعظم وأجل من أن يُستشفع به على أحد من خلقه مهما كانت منزلة ذلك المخلوق.

باب

ما جاء فى الأقسام على الله

عن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل والله لا يغفر الله لفلان: فقال الله عز وجل - من ذا الذى يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إنى قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم

وفى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألى على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: إن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله أن الرجل ليتكلم بالكلمة «الخ».

الخامسة: أن الرجل قد يُغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

◆ **الهدف:**

قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب التحذير من الحلف على الله.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب، حديث واحد هو حديث جندب بن عبد الله رضى الله عنه، وفيه أن الإنسان قد يقول كلامًا ، لا يرى فيه بأسا فيكون سببًا فى هلاكه, كما فى قصة ذلك الرجل مع صاحبة المذكورة فى هذا الحديث، والتي يرويها أبو هريرة رضى الله عنه بشيء من التفصيل فيقول إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أن رجلين من بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد فى العبادة، والآخر كأنه يقول: مذنب فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه، قال فيقول: خلني وربى، قال فوجده يومًا على ذنب إستعظمه، فقال: أقصر، فقال، خلني وربى أبُعثت علي رقيبًا فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يُدخلك الجنة أبدًا قال: فبعث الله إليهما ملكًا فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: إدخل الجنة برحمتي، وقال الآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا رب قال: إذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة رضى الله عنه: والذى نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، ولهذا جاء فى الحديث من ذا الذى يتألى علي ألّا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك، وفى هذه القصة تحذير للذين يودون أبواب رحمة الله أمام عباده المذنبين ويحلفون أنه لا يغفر لهم ذنوبهم.

باب

ما جاء فى حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير قال: إنطلقت فى وقد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلًا ، وأعظمنا طولًا ، فقال «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضى الله عنه أن أناسًا قالوا: يا رسول الله، ياخيرنا وإبن خيرنا، وسيدنا وإبن سيدنا، فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتي التي أنزلنى الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغُلو.

الثانية: ما ينبغى أن يقول من قيل له أنت سيدنا.

الثالثة: قوله (لايستجرينكم الشيطان) مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي».

◆ الهدف:

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب التحذير من كل ما ينافى عقيدة التوحيد، أو يُضعفها فى قلب المسلم.

◆ الشرح:

ورد تحت هذا الباب حديثان:

أولهما: حديث عبد الله بن الشخير رضى الله عنه، وفيه التحذير من الغُلو فى المدح لأنه قد يؤدى بالممدوح إلى نوع من الغرور والتعاظم، الذى يتنافى مع الذل والخضوع لله رب العالمين، ولهذا عندما قال وفد بني عامر لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنت سيدنا فقال: السيد الله، ثم قال فى آخر الحديث «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان، وقال فى حديث آخر (لا تطرونى - كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله).

وثانيهما: حديث أنس رضى الله عنه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كره مدح أولئك الناس وقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتي التي أنزلنى الله عز وجل).

والخلاصة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يُقال له سيدنا مع أن هذا جائز بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار «قوموا إلى

سيدكم» يعني بذلك سعد بن معاذ رضى الله عنه، كما أنه حذر من الغُلو فى المدح لما، من نتائج سيئة، كل ذلك من أجل المحافظة على العقيدة القائمة على الإعتراف بالعبودية لله وحده.

باب

ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾ الآية (٩٧ - الزمر)

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد، أنَّا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾ الاية، وفى رواية لمسلم «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله، وفى رواية للبخاري: «يجعل السموات على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، أخرجاه «ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا » يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون - أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأراضين السبع، ثم يأخذهن بشماله ثم يقول - أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأراضون السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم، وقال ابن جرير: حدثني يونس

أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما السموات السبع فى الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت فى ترس» قال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهرى فلاة من الا رض.

وعن ابن مسعود (قال بين سماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام وبين الكرسى والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)، أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله، قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال: وله طرق.

, وعن العباس بن عبد المطلب قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بين السماء والأرض»؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره.

◆ **فيه مسائل**

الأولى: تفسير قوله ﴿والأرض جميعا قبضته﴾.

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ولم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين وأن السموات فى اليد اليمني والأرضين فى اليد الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله كخردلة فى كف أحدكم.

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السموات.

العاشرة: عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسى.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسى.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسى والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذى فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

◆ **الهدف:**

قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن من عبد مع الله غيره ولم يقدره حق قدره، لم يعظمه التعظيم الواجب له.

◆ **الشرح:**

ورد تحت هذا الباب آية واحدة وأربعة أحاديث.

فالآية الكريمة جاء فيها قوله تعالى ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ يعني أن الذين يعبدون مع الله غيره، لم يعرفوا الله حق المعرفة، ولم يعظموه التعظيم اللائق به، ﴿**والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**﴾ يعني أن الأرض كلها ومن فيها ملكه وتحت قهره يتصرف فيها كيف يشاء، وكذا السموات خاضعة لأمره وإرادته، يطويها كما يريد ومع

هذه القدرة الإلهية الجبارة يشرك المخلوق مع الله فى عبادته مخلوقًا ضعيفًا لا يستطيع لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، ولا موتًا ، ولا حياة، ولا نشورًا ، ولذا قال تعالى فى آخر الآية ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يعني تقدس وتعالى عن كل شريك.

وسبب نزول هذه الآية كما ذكر ذلك الشيخان البخارى ومسلم أن رجلًا من أهل الكتاب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع والسموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك؟ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لكلام الحبر.

ومثل هذا الحديث الدال على عظمة الله التي لا نهاية لها، وعلى قدرته التي لا نظير لها حديث ابن عمر الوارد فيه أن الله جلت قدرته يطوى السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيمينه، ويطوي الأراضين السبع ويأخذهن بشماله.

ويرد بعد حديث ابن عمر هذا، رواية عن ابن عباس رضى الله عنه يبين فيها أن حجم الأرضين السبع فى كف الرحمن جلت عظمته، كحجم الخردلة[1] فى كف الإنسان، وهذا إشعار بعظمة الخالق لهذا الكون كله ثم

(1)الخردله هي حبة صغيرة جدا (حبة الثفاء).

يأتى بعد رواية ابن عباس رضى الله عنه، حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح فيه أن حجم السموات السبع بالنسبة لضخامة كرسى الرحمن جل وعلا - تشبه حجم سبعة دراهم وضعت فى ترس[1].

يأتى بعد ذلك حديث أبى ذر رضى الله عنه، ليبين ضخامة عرش الرحمن بالنسبة للكرسى بأنه كحلقة من حديد، وضعت فى وسط فلاة[2] من الأرض.

وفى آخر الباب يأتى حديث ابن مسعود رضى الله عنه، وحديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكلاهما يتحدثان عن المسافات الهائلة التي تفصل بين كل سماء وسماء ثم المسافات المذهلة التي تفصل بين هذه السموات السبع، وبين الكرسي والعرش، وأشياء يقف العقل أمامها مؤمنًا بالعظمة المطلقة لله جل شأنه.

والخُلاصة: أن كل الأحاديث الواردة فى هذا الباب تدل على عظمة الله التي لا حدود لها، وعلى أنه القادر على كل شىء، والقاهر لكل شىء، وأن هذا الكون كله كبيره وغيره، خاضع خضوعًا تامًا لأمره وإرادته - كما وردت فى بعض أحاديث الباب كلمة، كف الرحمن، وأن الله يضع السموات على إصبع وأنه سبحانه وتعالى يطوى السموات السبع ثم يأخذهن بيمينه، ويطوى

---

(1)الترس - هو ما يتقي به المقاتل ضربات السيف.

(2)الفلاة: الأرض الواسعة.

الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله وكل هذه صفات الله مذهب أهل السنة والجماعة فيها - إثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، كما ورد فى آخر حديث ابن مسعود إن الله فوق العرش لا يخفى عليه شىء من أعمال العباد، وقد ورد فى إستواء الله, على عرشه أيات كثيرة من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ ومذهب أهل السنة والجماعة فى إستواء الله على عرشه لا يختلف عن مذهبهم فى آيات الصفات الأخرى، فهم يثبتون أن الله مستوٍ على عرشه مطلع على خلقه، ويقولون الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وبعد:

بعون من الله بدأت، وبتوفيق منه إنتهيت سائلًا منه جلت قدرته أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الإهداء...3
مقدمة بين يدي الكتاب...4
بسم الله الرحمين الرحيم..5
ترجمة موجزة عن المؤلف...8
نسبه: 9
مولده ونشأته: 9
طلبه العلم: 9
عودته إلى نجد: 9
ابن تيمية وإبن القيم رحمهما الله. 10
إنتشار دعوة الشيخ فى الخارج: 11
شيوخه: 11
مؤلفاته: 12
منهجه فى الدعوة: 12
المفترون عليه: 14
المنصفون له: 15
نبذة موجزة عن شارح الكتاب...23
حياته العلمية: 24
حياته الوظيفية: 25
بعض مشائخه: 26
النشاطات الأخرى: 26
مؤلفاته: 27
باب التوحيد..28
فيه مسائل..29

الهدف: 31
الشرح: 31
والخلاصة من هذا الباب: 38
عبادته. 38
باب.. 39
فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.. 40
فيه مسائل: 41
الهدف: 42
الشرح:... 42
باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.. 49
الهدف: 52
الشرح: 53
باب الخوف من الشرك.. 59
الهدف: 60
الشرح: 60
باب الدعاء إلى شهادة إن لا إله ألا الله.. 64
الهدف: 67
الشرح:... 67
باب تفسير التوحيد، وشهادة إن لا إله ألا الله... 74
الشرح: 76
باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه............................... 83
فيه مسائل: 83
الشرح: 85
باب ما جاء فى الرقي والتمائم... 89
الهدف: 91
الشرح: 91
باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.. 95

فيه مسائل: 95
الهدف: 97
الشرح: 97
باب ما جاء فى الذبح لغير الله.. 101
الهدف: 103
الشرح: 103
باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.. 107
فيه مسائل: 107
الهدف: 108
الشرح: 108
باب من الشرك النذر لغير الله.. 113
فيه مسائل: 113
الهدف: 113
الشرح: 113
باب من الشرك الاستعاذة بغير الله.. 116
فيه مسائل: 116
الهدف: 117
الشرح: 117
باب من الشرك إن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.. 119
فيه مسائل: 119
الشرح:.. 121
باب... 130
الهدف: 133
الشرح: 133
باب... 138
الهدف: 141
الشرح: 142

باب الشفاعة.. 148
فيه مسائل: 149
الهدف: 149
الشرح:.. 150
باب.. 154
الهدف: 155
الشرح: 156
الهدف: 161
الشرح: 161
باب «ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده».............. 168
فيه مسائل: 169
الهدف: 171
الشرح: 171
باب ما جاء إن الغلو() فى قبور الصالحين يصيرها أو ثانا تعبد من دون الله...................... 176
فيه مسائل: 176
الهدف: 177
الشرح:.. 177
الخلاصة: 179
باب ما جاء فى حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.. 180
الشرح: 181
باب ما جاء إن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.. 184
الهدف: 187
باب ما جاء فى السحر.. 194
فيه مسائل: 195
الهدف: 195
الشرح: 195

باب بيان شيء من أنواع السحر 200
الهدف: 201
الشرح: 201
باب ما جاء في الكهان ونحوهم 204
فيه مسائل: 205
الهدف: 205
الشرح: 206
باب (ما جاء في النشرة) 208
فيه مسائل: 209
الشرح: 209
باب ما جاء في التطير 211
التاسعة: ذكر ما يقوله من وجده، العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك، الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة، الهدف: 212
شرا دون إرادة من الله، وإن ما يعتقده الناس قديما وحديثا من إن للطير أو الأيام أو الشهور دخلا في السعادة أو الشقاء - إنما هو خرافة أبطلها الإسلام لمنافاته للتوحيد،
الشرح: 212
باب ما جاء في التنجيم 216
فيه مسائل: 216
الشرح: 217
باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء 219
فيه مسائل: 220
الشرح: 221
باب 223
الهدف: 226
الشرح: 226
باب 229
فيه مسائل: 230

الشرح: 231
باب.. 235
فيه مسائل: 236
الهدف: 237
الشرح: 237
باب.. 239
فيه مسائل: 240
الهدف: 240
الشرح: 241
باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.. 244
فيه مسائل: 244
الهدف: 245
الشرح: 245
باب ما جاء فى الرياء.. 249
فيه مسائل: 249
الهدف: 250
الشرح: 250
باب من الشرك إراحة الإنسان بعمله الدنيا.. 252
فيه مسائل: 252
الهدف: 253
الشرح: 253
باب و من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله.. 257
فيه مسائل: 257
الشرح:.. 258
باب.. 260
فيه مسائل: 262

الهدف: 262
الشرح: 262
باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات.. 266
فيه مسائل: 266
الهدف: 267
الشرح: 267
باب.. 269
الهدف: 270
الشرح: 271
فيه مسائل: 273
الهدف: 274
الشرح: 274
باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.. 277
الهدف: 277
الشرح: 277
باب قول ما شاء الله وشئت.. 279
الهدف: 280
الشرح: 280
باب من سب الدهر فقد آذى الله.. 282
فيه مسائل:.. 282
الهدف: 282
الشرح: 283
باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه... 285
الشرح: 285
باب إحترام أسماء الله تعالى وتغيير الإسم لأجل ذلك.............................. 286
فيه مسائل: 286
الهدف: 286

الشرح:... 287
باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.. 288
الهدف: 289
الشرح: 289
باب.. 291
فيه مسائل: 293
الهدف: 294
الشرح: 294
باب.. 296
الهدف: 298
الشرح: 298
باب.. 301
فيه مسائل:.. 301
الهدف: 301
الشرح: 302
والخلاصة من هذا الباب: 303
باب لا يقال السلام على الله.. 304
فيه مسائل:.. 304
الهدف: 304
الشرح: 304
باب قول: اللّٰهُمَّ إغفر لي إن شئت.. 306
فيه مسائل: 306
الهدف: 306
الشرح: 307
باب لا يقول عبدي وأمتي.. 309
فيه مسائل: 309
الهدف: 309

الشرح: 309
باب لا يرد من سأل بالله.. 311
فيه مسائل: 311
الهدف: 311
الشرح: 312
باب لا يسأل بوجه الله ألا الجنة.. 314
الهدف: 314
الشرح: 314
باب ما جاء فى اللو.. 316
فيه مسائل:... 316
الهدف: 316
الشرح: 317
باب النهي عن سب الريح.. 319
فيه مسائل:... 319
الهدف: 319
الشرح: 319
باب... 320
الهدف: 322
الشرح: 322
باب ما جاء فى منكرى ما جاء فى منكري القدر.. 325
فيه مسائل: 326
الهدف: 327
الشرح: 327
باب «ما جاء فى المصورين».. 331
الهدف: 332
الشرح: 332
باب ما جاء فى كثرة الحلف.. 337

فيه مسائل: 338
الهدف: 338
الشرح: 338
باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.. 343
الهدف: 344
الشرح: 345
باب لا يستشفع بالله على خلقه... 349
الهدف: 349
الشرح: 350
باب ما جاء في الأقسام على الله... 351
الهدف: 351
الشرح: 352
باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك............ 353
الهدف: 354
الشرح: 354
باب.. 355
الهدف: 359
الشرح:.. 359